

والكثير من الذين على السبيل

الكرير بين المشير والتأشير

(٢) مكتبة البلاغ

والطبعة المحررة
مائله هـ بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله دقت صنعته ، وجلت حكمته ، فكل شيء عنده بمقدار ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه النجب الأخيار .

أما بعد ، فقد رأيت ظاهرة التكرير - أو التآكل بالمعنى الأدق -
تنتظم الحياة كلها بوصف يلفت لب اليب ، وعلى نسق يحمل هذه الظاهرة
قانوناً لا اعتدال الكون ، وسنة من سنن اطراده ، غررت مقالين
حول هذا الخاطر ، في صحيفة (الدعوة) الرياضية ، عنوانهما : (التكرار
وملحمة الوجود) وقد زعمت إذ ذاك أنهما يستنفدان طاقة استيلاء
الفكرة على نفسى ، ولكن ما لبث هذا الزعم أن تلاشى ، أمام انحياز
النظر إلى زوايا التكرير الصوقى فى الكلام ، فكان أن تركت القلم
فى أصابع الفكرة ، التى ما أطالت حتى سجلت هذه الصفحات .

وما يغرض على كاتبها أن يشير إليه ، أن إظهارها اليوم فى كتاب
مطبوع لا يعنى أنها فى مكان النضج والرضى لأنها بلغت الرشد حسناء
فارعة ، بل يعنى خوف لحاتها فى التبعثر والضياع بأمثال لها كثر ،
حسبت أن المستقبل كفيل بعودتى إليها أستكمل النقص وأسد الخلل ،
فكان الاشتغال عنها ساعد الزمن فى بوارها ، والزمن كلما مر مر ، فلتكن
هذه الصفحات - على هياتها - باعث عزم قتي ، لمن يحسن المقد
ويكمل النقص ، وبالله العون ، ومنه السداد ، وهو الذى بنعمه تم
الصالحات .

التكرير الصوتي في اللغة

التكرير - أو التماثل - الصوتي أمر لازم في لغة البشر ، فإن المعاني - من ناحية - أوسع مدى من الألفاظ ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات أو الدلالات المجازية والرمزية لاستيفاء المعاني . كما أنها - من ناحية أخرى - متكررة في الحديث الواحد عند قصد التأكيد ، وعند وقوع التكررة في الموصوف أو الصفة متى أريد النص واستقلال الأفراد دون ثنية أو جمع ، ولا شك أنه مقصده ما يبرره من الأسباب .

ولما كانت الحروف التي هي مادة تركيب الكلمة والكلام محصورة في عدد محدود ، لا يصل في لغتنا إلى الثلاثين ، فإن هذه الحروف لا بد أن تعود ثم تعود (١) في الكلام المؤلف منها ، وعودة الحرف في الكلمة الواحدة أو في الكلام أقرب للتصور من عودة الكلمة في الجملة أو في الكلام ؛ لأن وضع الكلمات التي تكرر فيها الحرف قد فرغ منه - أو كاد - بالفراغ

(١) إن الحرف أو اللفظ المنطوق أو المكتوب ، قد ذهب بذهاب حيزه من الزمان والمكان ، فليس هو ذاته العائد ، وإنما العائد مثله في الشكل أو الصوت ، بإطلاق لفظ التكرير أو المكرر أو عودة الحرف - مبناه المجاز المشهور ، فالتكرير وما مثله عائد على النوع باعتبار أفراد ، وليس واقعاً على شخوص الأفراد لعدم قبولها إياه ، وكان اللفظ الآخر هو (التماثل) إلا أني آثرت عليه المجاز المشهور ، الذي أصبح في مكان الحقيقة العرفية .

من وضع اللغة ، وعودة الكلمة في الكلام موصول بحياة البشر ، ما عاشوا
معبرين عن الصلة بين أنفسهم والحياة ، وبين بعضهم وبعض .

ولو صح أن نأخذ ميزانا تقريبياً للنسب التكرارية لحروف الهجاء
العربية - وقد شغلت القواميس التكرارية أذهان المحدثين من علماء اللغة
في العالم - لكان ما صنعه الأسلاف من حصر الحروف في القرآن مثلاً
صالحاً ، وقد لا تفترق طوال النصوص كثيراً عن القرآن في نسبة تكرار
الحرف ، وهذا الجدول الذي رتبته ترتيباً نسبياً بوضع لنا تلك الصورة ،
وهي تخالف ما قد يتحمله كثير منا لدوران بعض الحروف في الكلام قليلاً
أو كثرة ، لما يراه في نص قصير يحكمه طابع خاص ، يقتضى اللين أو الشدة ،
أو الكلمات ذوات الجرس المناسب لطاقتهم الشعرية .

لقد وجدوا (١) كلمات القرآن أربعين وأربعمائة وستة وسبعين ألفاً (٧٦٤٤٠)
تتكون من اثنين وثلاثين وثلاثمائة حرف بعد اثنين وعشرين وسبعائة
ألف حرف (٧٢٢٣٣٢) وهذا العدد هو المنسوب إليه في جدولنا ، ومن
المعلوم أن لغة الكتاب المبين أصفى المأثور من كلام العرب ، ولهذا لا نرى أن
بذل الجهد في نسب التكرار من كتاب آخر مما يفيدنا الآن بما يعادل التفقة ،
وما المسألة إلا لافتة رأيت مكانها من البحث يطلب التنبيه عليها ، لعلها تثير
لدى أهل التخصص رغبة نحو التحقيق في صورة أكمل .

الحرف	مرات التكرار	الحرف	مرات التكرار	الحرف	مرات التكرار
ا	٤٠٧٩٢	ز	٩٥٨٣	ق	٥٢٤٠
ب	١١٤٠	س	٤٥٩١	ك	٢٢٠٠٠
ت	١٢٩٩	ش	٢٥١٣٣	ل	١٤٥٩١
ث	١٢٩١	ص	١٢٨٤	م	٢٠٥٦٠
ج	٣٢٩٣	ض	١٢٠٠	ن	٢٠٣٦
ح	١١١٩	ط	٨٤٠	هـ	٧٠٠
خ	٢٤١٩	ظ	٩٣٢٠	و	١٣٧٠٠
د	٤٣٩٨	ع	١٠٢٠	ى	٥٠٢
ذ	٤٨٤٠	غ	٧٤٩٩		
ر	١٠٩٠٣	ف	٢٥٠٠		

بالترتيب من الأكثر تكرارا

الحرف	مرات التكرار	الحرف	مرات التكرار	الحرف	مرات التكرار
ا	٤٠٧٩٢	ق	٥٢٤٠	ص	١٢٨٤
ش	٢٥١٣٣	ذ	٤٨٤٠	ض	١٢٠٠
ك	٢٢٠٠٠	س	٤٥٩١	ب	١١٤٠
م	٢٠٥٦٠	د	٤٣٩٨	ح	١١٧٩
ل	١٤٥٩١	ج	٣٢٩٣	ع	١٠٢٠
و	١٣٧٠٠	ف	٢٥٠٠	ط	٨٤٠
ر	١٠٩٠٣	خ	٢٤١٩	هـ	٧٠٠
ز	٩٥٨٣	ن	٢٠٣٦	ى	٥٠٢
ظ	٩٣٢٠	ت	١٢٩٩		
غ	٧٤٩٩	ث	١٢٩١		

تكرير الحرف

تعرّف معاجم العربية ويعرف صرفها من تكرير الحرف في الكلمة صيغاً وأوزاناً كثيرة العدد تحت كل منها وفيها من الكلمات .

من ذلك : المضعف الثلاثي ، وقد عرفه السيوطي بحسب القسمة العملية فقال : « ما اتحدت فاؤه وعينه ، أو فاؤه ولامه ، أو عينه ولامه ، ^(١) لينطبق على ماورد قليلاً أو كثيراً ، مثل : بير ، وددن ، ودعد ، وسلس ، وعلل ، وبلل .

وهو في الأفعال ما اتحدت في الجنس عينه ولامه — وما أكثره — والتكرار فيه مرة واحدة .

كما عرفت لغتنا المضعف الرباعي ، وهو ما تركيب من مقطع ثنائي مكرر : أي ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من آخر . والتكرار فيه مزدوج ؛ إذ حدثنا في تكرار الحرف .

فإذا لوحظت كثرة أفراد هذين النوعين ، مع مزيد كل منهما بحرف أو أكثر ، ومع كل المشتقات المائلة في التضعيف .

وإذا لوحظ أن نوعاً آخر من تضعيف عين الثلاثي يأتي على القياس لمعان كتعدية اللازم ، وقد يقع على المضعف أصلاً كما يقع على الخالي من التضعيف فزيد التكرار تكراراً .

(١) المزهر : ٢ : ٥ — دار إحياء الكتب العربية .

إذا لوحظ هذا أيضاً مع مشتقاته - رأينا وفرة الكلمات التي يتكرر فيها الحرف في هذه اللغة .

على أن هذا - وقد كثر - ليس كل ما يحصل فيه التكرار من مفرداتنا؛ إذ لنا منه عدد كبير في الألفاظ المازيدة بقصد الإلحاق ، كما أن لنا عدداً كبيراً من الكلمات المضعفة اللام للبالغة في الوصف ، كثنائيات الألوان والعيوب وغيرها ، التي تنقل إلى وزن (افعل) الخماسي ، أو (افعال) السداسي ، مع مشتقاتهما ، والتي تجيء على وزن (افعلول) السداسي ، مع الأسماء الجارية عليه ، إلى كثير غير ذلك يقف عليه الناظر في كتب المقاييس والمهاجم .

وإن مما يؤكد حسن التكرار والإبقاء عليه لما له من مزايا ، أن نرى من رجال الفكر اللغوي في العصر ، من يطالب بإحياء صيغة (ففعلل) : كعصبب ، وغششم ، وسممع ، وعررم - باستعماله في كل وصف يكثر تحلى صاحبه به (١) .

وأسماء الحروف العربية ، منها ما حصل على التكرار : كالميم والنون ، وما يشارك غيره في حرف أو حرفين : كالدال والذال ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، والعين والغين . . . ومنها ما يجمع الزوج أو الثلاثة في تكرار الشكل خطأ فلا يتميز إلا بالإعجام .

وكلمة عنوان بحثناء التكرير ، ومرادفها العام : التكرار ، - وإن فرق بينهما فقها - يظهر في كل منهما حرف الزاء مرتين ، والراء بذاته حرف له صفة التكرار ؛ لأنه عند النطق به ساكناً لتحديد مخرجه ،

(١) نشوء اللغة العربية ونموها واكتناها - القاهرة - ١٩٤٨ ،

لا يقطع صوته اللسان بالتقائه ، أما مع مقابلته من الفك الأعلى ، بل يظل مرتعشاً به زمناً ما كأنه يكرره .

مزية التكرير الحرفي

لتكرير الحرف في الكلمة مزية سمعية وأخرى فكرية ، الأولى ترجع إلى موسيقاها والثانية إلى معناها .

القيمة السمعية في لغتنا :

يشير الجاحظ في (البيان والتبيين) إلى هذه القيمة حين يقول :

« الصوت هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف (١) . »

والذين درسوا هذه اللغة من أهلها ، يعرفون لها ميزة الجمال والسخاء ، على الحد الذي يقول فيه ابن سنان : « وقد نُصِرُّفَ في هذه اللغة بما لم أظنه تصرف في غيرها من اللغات ، فلم توجد إلا طيعة عذبة ، في كل ما استعملت فيه نظماً ونثراً ، وهي إلى الآن لا تنقف على غاية في ذلك ، ولا تصل إلى نهاية ، كما قال أبو تمام :

ولكنه صوب العقول إذا اجملت سحاب منه أعقبت بصحاب (٢)

وقد يقال : إن هذا الكلام وما أشبهه من ثناء العلماء على لغتهم ضرب من التعصب ، الذي هو شأن كل أمة مع لغتها ، غير أن الذين يدرسون هذه

(١) البيان والتبيين ٣ : ٧٧

(٢) سر الفصاحة : ٤٦

اللغة من غير أهلها ، يرون غناها بالخصائص السمعية ومنهم (بلاشير)
الذى يقول : « إن اللغة العربية أداة قوية وغنية بالأصوات التى تدفع إلى
الناس الانغماس الموسيقية (١) » ، وفى هذه المزايا يقول العقاد :

« إن التركيب الموسيقى أصل من أصول هذه اللغة لا ينفصل عن تقسيم
مخارجها ، ولا عن تقسيم أبواب الكلمات فيها ، ولا عن دلالة الحركات على
معانيها ومبانيها بالإعراب أو بالاشتقاق ، (٢)

« ولولا جريان اللغة فى أنفاظها وتراكيبها على السليقة الموسيقية ، لما
تيسر ذلك (الإيقاع العروضى) للشاعر الجاهلى بالأمس ، ولا للزجال الأمدى
فى هذه الأيام (٣) .

« وأبلغ من كل ما تقدم فى الإبانة عن معدن اللغة العربية ، وعن هذه
الخاصة الفنية فيها ، أن أوزانها تتفق فى كل ترتيل فصيح ، ولو لم يكن
شعراً مقصوداً ، كما اتفقت فى آيات كثيرة من القرآن الكريم .

« ويغنى أن يؤمن المسلم وغير المسلم ، بأن القرآن الكريم لم يكن
شعراً دوماً هو بقول شاعر ، كما جاء فيه ، وكما جاء فى كلام الرسول الذى
أوحى إليه ، (٤) :

« حقاً إن كل حرف له صوت ، ترجع طابعته من التنغيم إلى مخرجه من
جهاز النطق ، وقد قام العلماء بتشريح هذا الجهاز ، وبيان المخارج التى
تنسب إليها حروف الهجاء العربية ، وكأنها أوتار يعزف عليها الإنسان

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى : ٤٨ - دار الفكر ١٩٥٦

(٢) اللغة الشاعرة : ٣١ ط نجيب

(٣) نفسه : ٣٢ .

(٤) نفسه : ٣٣ .

فيخرج من كل وتر صوت ، فنتسمع الأذن من هذا همسا ومن هذا جهازة ،
ومن أحدهما رخاوة ومن الآخر شدة ، وتأليف الكلمة من حروفها
كتأليف اللحن من نغماته ، كل يعبر تعبيراً تحسه الأذن ويفسره العقل
والوجدان التفسير اللائق بإيقاعه .

صلة ذلك بالتكرار الحرفي :

كما أن عودة النقرة على الوتر تحدث التجاوب مع سابقتها ، فتأنس
الأذن بأزدها وجهها وتآلفهما ، فإن عودة الحرف في الكلمة تسكب الأذن
هذا الأنس ، لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه ، فإذا كان
بما يزيد المأني شيئاً ، أفاد مع الجرس الظاهر جرماً خفياً لا تدركه الأذن
وإنما يدركه العقل والوجدان وراء صورته .

وقد وضعت مفردات اللغة في الأهم الأغلب — ما كرر فيه الحرف
وما خلا عن التكرير — وضما بجانب انشاز الصوت ، الذي يخلق الأذن
وينفر منه الوجدان ، فإذا نظرنا في قاموس ما تكرر فيه الحرف ، مع
قصر الصيغة كضعف الثلاثي ، ومع طولها كما في الخماسي والسداسي ، لا نجد
ثقلًا يبهط السمع ، ولا تنافراً يرهق النفس ، فقد تجنبنا أنواع من التركيب
لا يسلس بها نطق الالفاظ ، كما أشار إلى ذلك علماء فقه اللغة في (الاشتقاق
الكبير) ونذكر ما تنافرت حروفه من الكلمات ، التي يمثل بها علماء البلاغة
والقد ، لخروج الكلمة عن الفصاحة بسبب تنافر حروفها ، حتى يكاد من
شاء حصر هذا النوع في صفحة أو ما قاربها . أن يحصل على مشبته ، ومع
هذا فإن مع الجاحظ في قوله :

« وليس في الأرض لفظ يسقط ألبته ، ولا معنى يبور ، حتى لا يصلح
لمكان من الأماكن » (١)

النون والميم

ومن أكثر الحروف ارتباطاً بالصوت - فيما نشاهد ونتكلم - حرفا (النون والميم) حتى نراهما في أكثر المفردات اللغوية على درجة كبيرة من تعديل الصوت وتلطيفه . والنون كثيراً ما نراه مكرراً في الكلمات الدالة على نوع من الصوت ذاته .

قال الثعالبي في (فقه اللغة) :

« إذا أخرج المكروب أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرنين ، فإن أخفاه فهو الهنين ، فإن أظهره فخرج خافئاً فهو الخنين ، فإذا زاد فهو الآنين فإذا زاد في رفقه فهو الخنين ، (١) »

كما نراه في مصادر الصوت من المضعف الرباعي كالطنطنة والدندنة وسواهما .

والتنوين والنون يصاحبان الغنة ، وهي نغم شجي تعشقه الأذن وتلذه النفس ، ولذلك يكثر دخوله في تركيب مفردات اللغة تطريباً وتشجيعاً ، فترى منه الكثير المكرر في تضاعيف الكلام وقوافيه ، وقد توفر للقرآن منه أكبر ما يرى في قول قائل ، ولحب الوجدان العرى للنون وصوتها ، الحق بالقوافي المطلقة نوعاً منها سماه تنوين الترخم .

وقد فطن لهذا علماء اللغة من القدم ، ومن ذلك ما يقوله السيوطي مدهوماً بكلام سيبويه :

«كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ،

وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك ، كما قال سيبويه : إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون ، لأنهم أراحوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء القرآن على أسهل موقف وأعظم موقع ، (١)

موضع الحرف المكرر :

والحرف المكرر في الكلمة الواحدة ، إما أن يجيء على التابع وإما أن يجيء على الانفصال ، وكلاهما في أصل الحسن سواء ، فرى بما تتابع فيه التكرار ، كل المضعف الثلاثي وما تفرع عنه ، وطائفة كبيرة من الأسماء ، وأخرى من الأفعال الناقصة تآبة العين الملحقمة بتاء التأنيث مثل : (أنت) و (عنت) وكل ما كان على (فاعيل) يأتى اللام .

وقد جاء من هذه الألفاظ في بليغ القول ما عذب جرسا وطلب نغما ، فن المضروب من حرف (الدال) في محل الفاصلة وهي مكان الجرس المتحد ومن سورة واحدة هي سورة (مريم) :

د ونعد له من العذاب مدا ، (٧٩)

د ويكوفون عليهم ضدا ، (٨٢)

د لقد جئتم شيئا إذا د (٨٩)

د وتخر الجبال هدا ، (٩٤)

د لقد أحصام وعدم هدا ، (٩٠)

د سيجعل لهم الرحمن ودا ، (٩٦)

د وتُنذِر به قوما لدا ، (٩٧)

لفضل عن أمثلة منه مختلفة تراها خلال هذه النصوص ،

بل انظر إلى التكرير دون إدغام في مثل :

دكنا طرائق قددا ، (الجن : ١١)

دولو جثنا بمثله مددا ، (الكهف : ١٠٩)

دوأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ، (الجن : ٢٨)

دثم اسلكي سبيل ربك ذائلاً ، (النحل : ٦٩)

دلهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، (الزمر : ١٦)

وهذه أمثلة من وزن د فعيل دوما يشبهه مما تكرر فيه الياء ، وعلى الأخص في مواضع التطريب وهي الفواصل - تراها كذلك في سورة (مريم) .

دإذ نادى ربه نداء خفياً ، (٣)

دولم أكن بدعائك رب شقياً ، (٤)

دذهب لي من لدنك وليا ، (٥)

دواجعله رب رضا ، (٧)

دلنجعل له من قبل سمياً ، (٨)

دوقد بلغت من الكبر عتياً ، (٨)

بل انظر إلى تجاوز الحرف ثلاث مرات فيما ضغفت عينه من الثلاثي المضمف أصلاً في قوله تعالى :

دفعزنا بالشاة ، (١٤ : يس)

دأفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، (التوبة : ١٠٩) .

، الذي جمع مالا وعدده ، (٢ : الحمزة)

، وفي عمد مددة ، (٩ : الحمزة)

، وظللنا عليكم الغمام ، (٥٧ : البقرة)

، وظللنا عليهم الغمام ، (١٦٠ : الأعراف)

وشبه ذلك في الشعر :

قول الخطيئة يمدح آل شماس : (مع الإدغام) .

أفلوا عليهم لا أبا لأبيكم

من اللوم أو سدوا المسكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى

وإن عاهدوا أو فوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت انعمى عليهم جزوا بها

وإن أنعموا لا كدروها ولا كدروا

وإن قال مولام على كل حادث

من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وقول ابن الرومي . (مع الفك) :

تلوح في دوله الإسلام دولتكم كأنها ملة الإسلام في الأمم

والمثني :

جسد الأمير به لي في مواهبه

فزانها ، وكساني الدرع في الحال

ومحمد بن حازم :

مفيا ورجيا لأيام الشباب وإن لم يبق منك له رسم ولا طلل

ومن مُضَعَّف الياء قول الميكالي :

أقول لشادن في الحسن فرد يصيد بلحظه قلب الكمي
ملكك الحسن أجمع في نصاب فاد زكاة منظر ك البهي
وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي
فقال : أبوحنيفة لي إمام وعندى لازكاة على الصبي

وقول أبي الفضائل أحمد بن يوسف ، وقد استغل فواصل سورة
(مریم) .

لست أنسى الأحباب مادمت حيا إذ تَوَوَّا للنوى مكانا قصيا
وتلوا آية الدموع نفروا خيفة البين سجداً وبكيا
وبذكراهم يسبح دمعى كلما اشتقت بكرة وعشيا
وأناجى الإله من فرط حوني كمناجاة عبده زكريا
واختفى نورهم ففاديت ربى في ظلام الدجى فداء خفيا
ومن العظم بالبعد فهب لي رب بالقرب من لدنك وليا
واستجب في الهوى دعائى فإنى لم أكن بالدعاء منك شقيا
قد فرى قلبي الفراق وحقا كان يوم الفراق شيئا فريا
ليتى مت قبل هذا وأنى كنت نسياً يوم النوى منسيا

ومع الانفصال :

- ومع انفصال المكرر نرى الكثير الذى منه .
- من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه ، (٧٢ : القصص)
- دن . والقلم وما يسطرون ، (١ . القلم) .
- وما أدراك ما هيه ، (١١ القارعة)
- ومن آياته منامكم بالليل والنهار ، (٢٣ : الروم)
- فقول عنهم فما أنت بملوم ، (٥٤ : الذاريات)
- فالتقمه الحوت وهو ملوم ، (١٤٢ : الصافات)
- ومقام كريم ، (٥٨ . الشعراء)
- وينصرك الله نصراً عزيزاً ، (٣ : الفتح)
- ولكم فى القصص حياة ، (١٧٩ : البقره)
- أن تقول : لامساس ، (٩٧ : طه)
- الله الذى جعل لكم الأرض قراراً ، (٦٤ : غافر)
- وهذا ملح أجاج ، (٥٣ : الفرقان)
- لا ظليل ولا يغنى من الذهب ، (٣١ : المرسلات)
- وجزيئنا بما صنعوا جنة وحريراً ، (١٢ . الإنسان)
- لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً ، (١٣ : الإنسان)
- ودانية عليهم ظلالها وذلقت قطوفها تذليلًا ، (١٤ : الإنسان)
- وأنزّلنا من المعصرات ماء ثجاجاً ، (١٤ : انبيا)
- (٢ - العنكبوت)

وصنوان وغير صنوان ، (٤ : الرد)

وإليك من الشعر شبه ذلك :

قال السموأل .

تميرنا أنا قليل عديدا فقلت لها إن الكرام قليل
وماضنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

ابن الطائي .

أليس قليلا فطرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل
فياخلة النفس التي ليس دونها لنا من أخلاء الصفاء خليل
أما من مقام أشتكى غربة النوى
وخوف العدى - فيه إليك سبيل

ابن خفاجة :

الأساجل دموعي ياعمم وطارحني بشجوك يا حمام ؟
فقد وفيتها ستين عاما وفادتي ورائي : هل أمام ؟

طرفة :

وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وأن لسان المرء مالم تكن له حصاة على عوراته لدليل

موقف العلماء من هذا التكرير

هذه الأمثلة القليلة التي يعود فيها صوت الحرف في الكلمة طيب الوقع، يختلف العلماء فيما تجاور فيه الحرفان منها ، متجانسين أو متقاربين المخرج ، فيتهم بعضهم هذا النوع بالثقل ، ولا وافقهم - على الإطلاق - وهم يحملون هذا الثقل سبب الإدغام عند توفر شروطه .

قال العيني في (ملاح الألواح في شرح مرااح الأرواح) (١) .

« واعلم أنه إذا اجتمع حرفان من جنس واحد أو متقارب في المخرج ، يدغم الأول في الثاني لثقل المكرر . وذلك لأنه نقل عليه التقاء المتجانسين لما فيه من المود إلى حرف بعد النطق به ، وشبهه التحليل بوطء المقيد ، فإن المقيد يمنع من توسع الخطو ، فيصير كأنه يعيد قدمه إلى موضعا الذي نقلها منه ، وذلك ما يشق على النفس ، وشبهه بعضهم بوضع القدم ورفعها في حين واحد ، وبعضهم بإعادة الحديث مرتين فكل ذلك مستكره . فلذلك صارت الحروف المتباعدة في المخرج أحسن في التأليف مما تدانت مخارجه ، .

وهذه القضية من المردد المعاد ، منذ أثارها سيديويه والتحليل ، ينقلها بعض العلماء عن بعض بذلك التعليل ذاته .

ونستطيع أن نرد هذا الإطلاق بأمور :

١ - أن الثقل المنافي لحسن الجرس ليس سيئه نكوار الحرف ، وإلا لا طرد ، وعدم اطراده ظاهر في كثير من الألفاظ التي تجاور فيها المتجانسان دون أدنى ثقل ، بل أكسبها تجاورهما حسن الجرس ، كما شهدناه قبل .

(٢) إنما ينشأ الثقل من تكيف المتجانسين بالحركات ، بدليل عودة الحقة مع فك الإدغام في المضعف الثلاثي ، إذا اتصل بضمير رفع متحرك ، لسكون الثاني منهما . كما أن الإدغام ليس موجبة اجتماع المتجانسين في ذاته ، وإلا لا طرد ، وعدم اطراذه ظاهر ، ولذلك اتخذوا من أوصاف المتجانسين الأخرى شروط الإدغام .

(٣) أن اللغة قد حرصت على قلب أحرف بعينها ، وإدغام أخرى ، للحصول على التكرار بتجانس الحرفين متجاورين ، ولو كان اجتماع المتجانسين ثقيلًا لما احتمالت لتوفيره تخفيفاً وتحسيناً للجرس .

يظهر هذا في أماكن منها ما اشتهر تطبيقه على كتاب الله : من إدغام النون الساكنة والتنوين بالغنة إذا تلاهما حرف من حروف (ينمو) ، ودون الغنة إذا تلاهما اللام أو الراء .

ومثله ما يسميه علماء التجويد إدغام المتجانسين ، ويوجبونه متى سكن السابق منهما في ستة مواضع :

(٢) في الدال الساكنة قبل التاء ، مثل : د قد تبين الرشد ، .

(٢) في التاء الساكنة قبل الدال ، مثل : د فلما أُنْزِلَتْ دعوا الله ، .

(٣) في التاء مع الطاء ، مثل : د ودت طائفة ، .

(٤) في الذال مع الظاء ، مثل : د ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم

(٥) في التاء مع الذال ، مثل : أ وتتركه يلهث ذلك مثل القوم ..

(٦) في الباء مع الميم ، مثل : د يا بني اركب معنا ،

وكل ذلك لما يقلب فيه الأول من الحرفين ليجانس الثاني ، فيوفر بالتكرار والإدغام حسن الجرس ويسر النطق ، وإلمه من المقرر المعلوم أن الإدغام لا يخرج الحرفين عن الحكم بالتكرير ، فلكل منهما صورة نطقاً وسماعاً ، وإن خالفاً غير المتأمل حرفاً واحداً .

ثقل الحركة وطلب التجانس

والثقل الناشئ عن الحركة معروف لدى العلماء ، وقد اتبته إليه الكثيرون ومنهم ابن الأثير ، وتبعه القلقشندي في مثال منه وهو قول أبي نواس :

ما أحل الله ما صنعت عنه تلك العيشة بي
قلت إنسانها كبدي بهام للردى صُيَّبِ

حيث جمع « صائب ، على (فعل: صُيَّبَ بضمين) دون « صوائِب ، أو « صائبات ، أو « صيب ، مما قبح الكلمة فجاءت غثة كريهة ، نافية عن السمع ، نافرة على اللسان (١) مع أنها لا تكرر فيها الحرف ، بل إن اللفظ المكرر فيه الياء ساكنا ففتوحا وهو « صُيَّب ، عد خفيفا حسن الجرس في تمثيلهم ، ولذلك نراه كذلك جميلا عندنا في قول البحري :

وقد زادها إفراط حسن جوارها
خلاتق أصفار من المجد صُيَّبِ

وحسن دداری الكواكب أن ترى
طوالع في داج من الليل غيب
كما ترى حسن تكرير الراء والياء في « دداری ، ، والكاف في « الكواكب ، .

وعما ينصل بثقل حركة دون أخرى ، مالا أعرف كيف نصب فيه الثقل إلى التضعيف في قول البطليموس : « وقد أجاز أبو العباس المبرد وغيره في كل جمع من المضاعف على (فعل) (بضمين) الضم والفتح لثقل التضعيف ، فأجاز أن يقال : جدد ، وجدد ، وسرر ، وسرر . وقد قرأ بعض القراء « على سُررٍ موضونة ، (٢) » .

وإذا كان الثقل والخفة راجعين إلى الحركة في اللفظ الواحد . يخف بالحركة ويثقل بالأخرى ، فلا اعتداد إذن بما نسب إلى التكرار من الثقل .

كما أن من أدلة الثقل بالحركة عند تكرارها ، وأدلة طلب تجنيس الصوت قول ابن يعيش : « وهم يكرهون توالي الحركات ، فيخلصون منه في كلمات كثيرة ، ولتقرأ في شرح « الملوكى ، له هذه السطور التى تحقق طلب التجانس لحسنه ، لا طلب التجافى والتباعد :

« إذا كانت فاء (افتعل) صاداً ، أو طاء ، أو ظاء - قلبت تاؤه طاء . . . والعلة في هذا الإبدال أن الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء من حروف الاستعلاء وهى مطبقة ، والتاء حرف مهموس منفتح غير مستعمل ، فكروها الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه ، فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد . . . وفي الطاء استعمال وإطباق يوافق ما قبله ليتجانس الصوت ، ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم ، (٢) » .

(١) الانتخاب : ٢١٠ .

(٢) شرح الملوكى : ٢١٦ - ٢١٨ .

هذا عمل قوم في إبدال حرف لا يجانس ما قبله في طبقة صوته بحرف
يجانسه ، لأن التجنيس أخف وأجمل .

ولسبب نفسه يعكس الأمر قوم آخرون .

د قال أبو عثمان : د هذا هو الكلام الصحيح ، ومن العرب من يبدل
التاء إلى ما قبلها ، فيقول : اصَّهَرَّ يصبر ومصر . واضرب يضرب ،
ومضرب . . . ، كأنَّ هؤلاء لما أرادوا ما ذكرناه من تجانس الصوت
وتشابه قلبوا الحرف الثاني إلى لفظ الأول ، وأهغوه فيه ، لأنه أبغ
في الموافقة والمشاكلة ، (١) .

ويقول ابن السيد في (الاقتصاب) :

د اصطفاق ، افتعال من الصق ، والطاء مبدلة من تاء الافتعال : أبدلت
الطاء لتوافق الصاد التي قبلها في الاستعلاء ويتجانس الصوت ولا
يتنافر ، (٢) .

ويقول : د والازدياد : افتعال من الزيادة ، وأصله د ازتهاد ، أبدل
من التاء دال لتوافق الزاي في الجهر طلباً لتشاكل الألفاظ وهرباً من
تنافرها ، (٣) .

وكذلك هم يصنعون في فاء (افتعل) إذا كانت هالا ، أو ذالا أو واما .
فالطائفة الأولى تقلب التاء دالا قلباً واجبا في مثل : ادرا . واهكر ،

(١) نفسه : ٣١٨ .

(٢) الاقتصاب : ١٢ .

(٣) نفسه : ٩ .

وازدجر. والأصل : ادترأ ، واذا تكرر ، واذا تكرر ، قال ابن يعيش : إنما وجب هذا الإبدال لما ذكرناه من إرادة التجانس الصوت وكرهه تباينه . . . (١) ثم قال : وقد حملهم طلب التجانس وتقريب الصوت بعضه من بعض ، على أن أبدلوا من التاء دالا في غير (افتعل) وذلك نحو (دوجل) (٢) في (توجل) كأنهم رأوا التاء مهموسة والواو مجهورة ، فأبدلوا من التاء الدال ، لأنها أختها في المخرج وأخت الواو في الجهر ، لتحصل المجانسة في الصوت ، وهذا قليل شاذ في الاستعمال وإن كان حسنا في القياس ، لكن لقلة استعماله لا يقاس عليه ، (٢) .

كما أنهم يكرهون توالي الحركات للثقل ، فيخلصون منه في كلمات كثيرة بتسكين حرف ، وقد ورد ذلك التخفيف بتسكين الأول قياساً مطرداً في ثمانية أوزان وهي (انفعّل ، وافتمّعّل ، وافعلّعل ، واستفعلّعل ، وافعالّعل ، واففعولّعل ، واففعولّعل) لزمت أولها ، همزة الوصل لسكونه وإنما سكنت أوائلها لثلاث توالي فيها أكثر من ثلاثة متحركات ، ألا ترى أننا لو حركنا النون من (انطلق) والطاء ، واللام ، والقاف لتوالي أربعة متحركات وذلك مفقود في كلامهم ؟ والباقي محمول على ما ذكره (٤) .

كما أن مما يدل على الثقل بالحركة قوله : وليس في الكلام (فعّل) كأنهم

(١) شرح الملوكي : ٣٢٢ .

(٢) الدوجل : كناس الوحش .

(٣) شرح الملوكي : ٣٢٥ ،

(٤) شرح الملوكي : ٧٤ .

كروهوا الخروج من الكسر الذى هو ثقيل إلى الضم الذى هو أثقل منه، (١) وكذلك قول الأزهري: «والصلعة: موضع الصلح من الرأس، وكذلك النزعة، والكشفة، والجلحة، جاءت مثقلات كلها» (٢) أى محركات العين لاساكتاتها.

عودة إلى تكرير الحرف

إن تكرار الحرف لو كان ثقيلًا بذاته، لما جاز أن يتضمن قاموس اللغة هذا الحشد الحاشد من الكلمات، بل لما جاز أن يوجد المضعف الرباعى ومزيده وفروعهما؛ فإن كل لفظ منها يتضمن تكريرين معاً. والكوفيون يرون أن أصله المضعف الثلاثى الذى ضعف عينه، فحصل على ثلاثة أحرف من جنس بعد فائه، فجاز إبدال مثل فائه من الأوسط قياساً غير مطرد موقوفاً على السماع، كما فى: صرصر، وقلقل، وككم، ونحوها.

وإذا كان هذا النوع سماعياً فمن أين لهم هذا الإبدال، وأطراد صحة المطابقة فى أصل المعنى بين لفظ الأصل ولفظ البدل؟

والذى يعنينا هنا أنهم أخرجوا الكلمة من تكرار إلى تكرار، وكلاهما مستعمل فى فصيح القول غير نافر.

أما البصريون — وأرى رأيهم — فإنهم يرون المضعف الثلاثى كلمة برأسها، والمضعف الرباعى كلمة برأسها، وهو أقرب لمجاراة الطبيعة وإلى

(١) قصه: ٢٤.

(٢) تهذيب اللغة: ٣٢: ٢.

التصور ، وقد ذكر رأييهما ذين العلماء ، ومنهم صاحب الاقتضاب (١) .

أما ما ورد من المضعف مضعف العين في فصيح الكلام فنه :

« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، .
(١٠٨ : التوبة) .

« ويل للمطففين ، (١ : المطففين) .

« من شدد شدد عليه ، .

« سدّدوا وقاربوا ، .

فليس الذى حلّته بمحلل وليس الذى حرّمته بمحرّم
إذا ما رأى يوماً مكارم أقبلت

تيمم كبراهن ثمت صمما

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض المصفور بلله القطر

وأما ما ورد من المضعف الرباعى في الفصيح فهو كذلك في وفرته ،
ومنه .

« على رفرف خضر ، (٧٦ : الرحمن) .

« بريح صرصر عاتية ، (٦ : الحاقة) .

« في سلسلة ذرّعها سبعون ذراعاً ، (٣٢ : الحاقة) .

« وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، (٩٦ : البقرة) .

« والليل إذا سمس ، (١٧ : التكويد) .

• إذا زلزلت الأرض زلزالها ، (١ الزلزلة) .

• مالى لا أرى الهدمد ، (٢٠ النحل) .

• من صلصال من حمأ مسنون ، (٢٦ : الحجر) .

• الذى يُوسِّسُ فى صدور الناس ، (٥ الناس) .

• فوسوس لهما الشيطان ، (٢٠ الأعراف) .

• ونعلم ما توسوس به نفسه ، (١٦ : ق) .

• يا أم السائب مالك تزفزين ؟ ، .

• صلصلة كصللة الجرس ، .

• لا أحسن دندتك ولا دندنة معاذ ، .

• شفشنة أعرفها من أخدم .

أبو كبير :

أزهير هل عن شذببة من معدل أو لا سبيل إلى الشباب الأول

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره أشهى إلى من الرقيق السلسل

علقة :

نخشخش أبدان الحديد عليهم كما خشخت ببس الحماد جنوب

المجاج :

تسمع للحلى إذا ما وسوسا زفرة الريح الحماد اليسا

ابن الرومى :

سلام وريحان وروح ورحمة عليك وعمود من الظل سجع

البحرئى :

فهو يبدى تجلداً وعليه كل كل من كلال الدهر مرص
امرو القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل كل
ليبد :

أو ذو زوائد لا يطاق بأرضه يغشى المهجج كالذنوب المرسل
عدى بن زيد :

فأسأل الناس أين آل قيس طحطح الدهر قبلهم سابورا
الأعشى .

ومر القبالى كل وقت وساعة يزعر عن ملسكا أو يباعدن دانيا
ربيعة بن توبة :

إذا شاء طلع أو أراك وسخبر لديه وذو ظل من الغار أجرف
يكسر أطراف البشام بروقه ومن دونه مضب منيف وتنفق

ابن مقبل :

يقلقل من ضمم اللجام لهاته
تقاقل عود المرخ فى الجمعة الصفر

النابعة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذنب

الرقائى :

فقل للطايا قد أمنت من السرى وطى الفيا فى فدفا بعد فدفا
أبو الطمحان :

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
أبو كبير :

قالطن شغشة والضرب هيقمة ضرب المولى تحت الديمة الضدا
وللـ قـى لزاميل وغنمة
حسن الجنوب نسوق الماء والبردا

إن تكرار الصوت فى المضعف الرباعى ألحق بموسيقا الطبيعة وبالنفس من الثلاثى، ولذلك لا ينبغى أن نذهب مذهب الناسين الثقل إلى تكرار الحروف أو قرب المخارج دون تقييد، كابن سنان الذى يشترط لفصاحة المفرد ولفصاحة الكلام خلوه من تكرار الحرف ومن قرب المخارج، فأول الشروط عنده : أن يجتنب الناظم تكرير الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام، كما أمرناه بتجنب ذلك فى اللفظة الواحدة، بل هذا فى التأليف أقبح، وذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مثل ما يستمر فى الكلام المؤلف إذا طال واتسع، وما زال أصحابنا يعيون هذا البيت :

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما كنا نكون ولكن ذاك لم يكن
وليس يحتاج إلى دليل على قبحه للتكرار أكثر من معاهه . . . (١).

ابن الأثير وتكرار الحرف

مع أن مذهب ابن الأثير هو مذهب ابن سنان ومن سبقه بالرأى في هذا التكرير الحرفي - فإنه يحكم لنوع منه بالعذوبة والحسن ، هو ما جاء من وزن (أفعل) على صيغة (افمعمل) مثل : اعشوشب .

يقول : وهي على ما فيها من تكرار الحروف طيبة عذبة ، وكذلك سائر ما في وزنها ، نحو : اخشوشن المسكان ، واغرورقت العين ، واحلولى الطعم ، وما أشبه ذلك .

ونعجب من ابن الأثير بعد ذلك في قوله :

«ألم تعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة ، قد عدلوا عن تكرار الحروف في كثير من كلامهم ؟ وذلك أنه إذا تكررت الحروف عندهم أدغموها استحسناء ، فقالوا : «جعل لك ، وفي «تضربوني ، تضربوني ، وكذلك في «استعد ، فلان للأمر إذا تأهب له ، والأصل : «استعد ، و«استتب ، الأمر إذا تهيأ وكل ، وأصله : «استتجب ، وأشبه هذا كثير في كلام العرب ، حتى إنهم لشدة كراهيتهم لتكرار الحرف أبدلوا أحد الحرفين لما تكرر حرفاً آخر غيره ، فقالوا : أمليت الكتاب ، والأصل : أمليت ، فأبدلوا اللام ياء طلباً للخفة على اللسان ، وفراراً من الثقل والاستكراه .

واعلم أن ورود الإدغام في هذه اللغة أقوى دليل على كراهة العرب لتكرار الحروف ، وفيما أشرنا إليه كفاية للمبتأمل فاعرفه ، (١) .

ومكان العجب أن ابن الأثير - فيما قدمناه عن وزن «افمعمل ، قد

رفع المكرر على أصله الذى لا تكرر فيه درجات في العنوبة والحسن ، وهذا يחדش كلامه الأخير .

أما عدولهم إلى الإدغام عن التكرير ، فى كثير من كلامهم ، - على فرض تسليمه - فهو ينشأ عن التكرير لذاته ، ولكن عن الجمع بينه وبين الحركات .

ولو كان الحسن فى الإدغام فى مثل : جعل لك ، - وهو مع الإدغام ما يزال مكرراً - لوجب بلاغة أن يُلْزَمَ فى القرآن المعجز وكل قول بليغ ، وليس الإدغام عسيراً حتى يترك المتكلم الحسن بتركة .

والحق أنهما لغتان حسنتان لا تفضيل لإحدهما على الأخرى ، وقد جاءتا معاً فى القرآن الكريم وفى رواية واحدة هى رواية حفص التى عليها أكثر المصاحف شيوعاً ، ومنهما :

« يا قوم لم تؤذوني ، (ه : الصف) بالفك .

« قل أغفیر الله تأمروني أعبد ... » (الزمر : ٦٤) بالإدغام .

ولو أدركنا الحسن مع البسر والشيوع لجللناه لغة الفك لأنها الأكثر .

أما مثل : « استعد ، واستتب ، فإن منشأ الثقل المؤدى إلى الإدغام هو الحركة لا التكرار ، فلما زالت الحركة زال الثقل ، وما أزال الإدغام التكرار نطقاً ، والنطق مدار الخفة والثقل ، وما يؤكد أن الثقل فى الحركة لا فى الفك ، خفة التضعيف مع وجوب الفك عند الإسناد إلى ضمير الرفع المتحرك ، الذى يحل فيه سكون الثانى من المثليين محل الحركة ، فالثقل فى (استعد) بحصول الحركتين على المثليين ، والخفة فى (استعد) لزوال حركة أول المثليين بسكونه ، وفى (استعدتم) لزوال حركة ثانيهما بسكونه . وفى القرآن :

« وإن يمسك الله بضرسٍ فلأكاشف له إلامو ، (١٧ : الأنعام) .

« ثم رددناه أسفل سافلين ، (٥ : التين) .

« ولم يمسنى بشر ، (٤٧ : آل عمران) .

زالت الحركة بتسكين المثل الثاني للجزم أو البناء فحسن الفك ، ومثله الأمر :

« هذا عطاؤنا فاقمِّنْ أو أمسك بغير حساب ، (٣٩ : ص) .

« ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ، (٨٨ : يونس) .

« واجعل لى وزيراً من أهلى هرون أخسى اشدد به أزرى ، (٣١ : طه) .

ولغة قریش وهى لغة الفك يجنح إليها سيبويه عند اختلاف اللهجات ، وفيها يقول الجوهري :

كانت قریش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عما فى النفس ، .

ولغة تميم ونجد لغة الإدغام متى توفرت شروطه ، وكل من اللغتين فصيح (١) .

على أن المتحركين من المكرر كثيراً ما يتجاوزان مع حسن الجرس ، كما فى قوله تعالى :

« ومن الجبال جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ، (٢٧ : قاطر) .

« كنا طرائق قدداً ، (١١ : الجن) .

« وآتيناه من كل شيء سيباً فاتبع سيباً » (٨٤ - ٨٥ : الكهف) .
 « وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم » . (٤٨ : هود) .
أمليت وأملت :

أما قول ابن الأثير بأن السبب في إبدال الياء من اللام في (أملت) هو شدة الثقل بتكرار الحرف - فهو سهو عن ورود القرآن باللغتين كما يشير ابن يعيش في شرح الملوكي بقوله : « وقالوا : (أملت) الكتاب و (أملت) فالياء بدل من اللام الثانية ، قال تعالى : « فهي تملي عليه بكرة وأصيلا ، (٥ : الفرقان) وقال : وليليل الذي عليه الحق (١) » ، (٢٨٢ : البقرة) .
 بل إن (الإملا) دون إبدال قد تكرر في هذه الآية مرات ، ولو كان ثقيلا مستكرها لما جاز وروده أصلا في القرآن فضلا على أن يكرر في سياق واحد قصير كهذا ، قال تعالى :

« وليليل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يخس منه شيئا ، فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يَمْل هو فليمل وليه بالعدل » .

كما أن هذا الإبدال لو صحت لهم علتة تلك في بعض الكلمات لصح طرده قياسا في كل مكرر على وزنه ، وقد يكون الحرف الذي وقع عليه التكرار أشد ثقلا من اللام ؛ فإن (اللام) من الحروف العذبة في النطق والسمع ، ولعلهم لم يبدلوا اللام الثانية استكرها أو استثقالا ، وإنما أبدلوا خوف اللبس بالاشتقاق من (الملل) ، وإن كان بعض الصرفيين ذكر لهذه اللفظة أشباها محصورة لا يصلح طرده القياس بها ، والأفضل إيقاف ذلك على السماع ، وهي كلمات اختلف العلماء في تخريج أكثرها على أنه أصل

لا بدل فيه ، وقد ذكر ابن يعيش منها : « لَبَّيْتُ بِالْحَجِّ » ، و « فَايْتَصَلْتُ » ، بمعنى « فَاَتَصَلْتُ » ، و « قِرَاطٌ » ، على أنها « قِرَاطٌ » ، و « شِرَازٌ » ، على أنها « شِرَازٌ » ، و « قَسْرِيَّتٌ » ، من « قَسْرَتٌ » ، و « قَصِيَّتٌ أَطَافَرِيٌّ » ، من « قَصِيَّتٌ » ، و « دَهْدِيَّتٌ الْحَجَرِ » ، من « دَهْدَتٌ » ، و « دِيَوَانٌ » ، من « دِيَوَانٌ » ، (١)

وكل ذلك مع الخلاف فيه لا ينهض بقاعدة تطلق في القياس ، ولا يستدل به على كراهة واستثقال ، لأن ما ثبت فيه التكرار أشمل وأكثر دورانا في اللغة بلا إبدال ، على أن بعضه فيما أبدلت منه الياء أخف من البدل ، والذي أرجحه أن كلا من اللفظين أصل .

ابن الأثير مرة أخرى :

يعمل ابن الأثير للثقل - من جانب آخر - بقرب المخارج ، وهو أدعى إلى تحقيق الثقل بالتكرار .

يقول : « وإنما القول السديد في حسن اللفظ المتباعد المخارج ، وقبح اللفظ المتقارب المخارج ، ما سنورده هاهنا ، وهو أن الفائدة في الأشياء المركبة إنما هي اختلاف أجزائها وتباين مفرداتها ، ليؤثر التركيب عند ذلك شيئا لم يكن ، إما حسنا وإما قبحا . . . فأما إذا كانت أجزاؤه مشابها بعضها البعض ، فإنه لا يكون لتركيبها حيف شديد فائدة ، وهذا مما لا نزاع فيه لوضوحه وبيانه . »

وحيث كانت الحال في الأشياء المركبة كذلك فسنا عليه تركيب مخارج الحروف ، وذلك أن من المخارج ما هو مختلف ، ونعني بالمختلف هاهنا المتقارب كالراء واللام ، والطاء ، والسين ، وغير ذلك مما يجرى هذا

المجرى ، فتي كانت الكلمة مركبة من حروف متباعدة المخارج أثر التركيب فيها أنراً وهو الحسن والجودة في الغالب ، ومعنى كانت الكلمة مركبة من حروف متقاربة المخارج جاء بخلاف ذلك في الغالب أيضاً (١) .

وقياس ابن الأثير غير مسلم ، وهو قائم على ألفاظ مشكوكة المفهوم ، كاختلاف الأجزاء وتباين المفردات ، ولو قسمنا تركيب اللفظ على تركيب الأشياء لصح لنا تركيب الكلمة من مكرر الحرف الواحد مرات ، كما يتركب المثلث المتساوي الأضلاع والمربع والخمس ، فهل انتفعت الفائدة والحسن من هذه الأشكال للتركيب من أجزاء متشابهة تمام التشابه ؟

وهل انعدمت الفائدة والحسن من تركيب جسم الإنسان من شقين متشابهين في الأعم الأغلب من الأعضاء ، وتركيب الأصابع المتشابهة في كنى ابن الأثير ؟

إن الكلمة صوت ، فائدته الأساسية التامة هي الدلالة على معناه ، والحروف في أى وضع ومن أى جنس قد اتخفت شكلا يميز معنى من معنى ، مع رعاية اليسر على اللسان والسمع ، ولا يخلو لفظ موضوع بعد العلم بالوضع من إفادة هذه الدلالة ، فكيف يكون لبعد المخارج وقربها سلطان في تحديد فائدة اللفظ ، حتى يصير التشابه خطراً على مفهـم الفائدة ؟

إن ابن الأثير يوهل في الخيال حين يقول : «إنها اكتسبت حسناً عند تركيبها من حروف متباعدة المخارج ، واكتسبت قبحاً عند تركيبها من حروف متقاربة المخارج ؛ لأن النطق إذا أتى على مخارج حروف اللفظة وهي متباعدة ليجمعها ويؤلفها كان له في ذلك مهلة وأناة ؛ لأن بين المخرج

إلى الخارج فسحة وبعداً ، فتجىء الحروف عند ذلك متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة . وإذا أتى النطق على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة ليجمعها ويركبها لم يخلص من مخرج إلا وقد وقع في المخرج الذي يليه لقرب ما بينهما ، فيكاد عند ذلك يعثر أحدهما بالآخر ، فتجىء مخارج حروف اللفظة قلقة مكدودة غير مستقرة في أماكنها ، (١)

إية مهلة وأية أناة في تجميع حروف الكلمة البعيدة المخارج يتمكن معها النطق ؟ وأية فسحة وبعد بين أبعد مخرج لحرف وأقرب مخرج لآخر ، يمكن أن نتصوره حين النطق بالكلمة ؟

إنه يصور لنا تجميع حروف الكلمة صورة تجميع أرقام الهاتف بالعقل وراء الإصبع على دائرة الأرقام ، وما أظن أحدنا فكر حين ينطق بالثلاث من الألفاظ في دقائق معدودة — في هذا التجميع للحروف من مخارجها لأنه عمل تلقائي . نعم قد يتصور شيء من ذلك في تعلم الأطفال قراءة الألفاظ من حروف مرسومة لم تنطبع صورها في أذهانهم بعد . وهذا أمر خلاف ما نحن فيه .

ثم أية عشرة يصطدم بها اللسان عند النطق بلفظ ذي حرفين متجانسين أو ثلاثة فضلاً على أن يكونا من مخرجين متقاربين ؟ .

لقد مثلنا من القرآن المعجز ، ثم بالكثير من كلام الفصحاء ، بما تجاوز فيه الحرف مكرراً ، فما نقص الحسن ولا قلت الفائدة .

إن ابن الأثير يحس عدم الإقناع بتعليله — وما كان أغناه عنه — فيقول : « واعلم أن تباعد المخارج ليس بكاف في حسن اللفظة ولا مقنع في جودتها ، فإنه قد أتى لفظة مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ولكنها

تكون مبنية من حركات ثقيلة ، أو تكون وحشية ، أو غير ذلك من الصفات الذميمة ، فيعارض الوصف المحمود هذا الوصف المنموم فيذلة وينهب به (١) .

ولعله من أجل هذا الانفلات بنى كلامه السابق على د الأظب ، بل إنه يكاد ينقض كلامه الأول وهو يرد على ابن سنان : في نظرية قرب المخارج وبعدها ، ويجعل المقياس الصحيح للسمع وللدوق حين يقول في (المثل السائر) :

« إذا سئلت عن لفظة من الألفاظ وقيل لك : ما تقول في هذه اللفظة أحسنه هي أم قبيحة ؟ فإن لا أراك عند ذلك إلا تفتي بحسنها أو قبحها على الفور ، ولو كنت لا تفتي بذلك حتى تقول للسائل : اصبر إلى أن أعتبر مخارج حروفها ثم أفتيك بعد بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ما ذهب إليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطاً في اختيار الألفاظ ، (٢) .

« فإن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ ويُقبح ما يقبح وقد ورد من المتباعد المخارج شيء قبيح أيضاً ، ولو كان التباعداً سبباً للحسن ما كان سبباً للقبح إذ هما ضدان لا يجتمعان ، (٣) ،

ولقد أحسن ابن جنى كل الإحسان ، حينما بين أن الإدغام إنما هو لتقريب الصوت من الصوت (٤) ، وتقريب الصوت من الصوت إذا كان مقصوداً للتخفيف فكيف يكون تقارب الصوتين أو تجانسهما تقبلاً ومستكرها ؟

(١) الجامع الكبير : ٤١ .

(٢) المثل السائر : ٩٢-٩٥ القسم الأول .

(٣) نفسه ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٤) الخصائص : ٣٥١ .

ونكرر بعض ما أسلفناه من قول ابن يعيش: «وقد حملهم طلب التجانس وتقريب الصوت بعضه من بعض، على أن أبدلوا من الفاء دالا وذلك نحو (دولج) في (تولج) كأنهم رأوا التاء مهموسة والواو مجهورة، فأبدلوا من التاء الدال لأنها أختها في المخرج وأخت الواو في الجهر لنحصل المجانسة في الصوت...» (١).

ونذكر من إبدال التاء دالا للتجانس لفظه يَهْدَى، في قوله تعالى: «دأفن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يَهْدَى إلا أن يَهْدَى» (٣٣ : يونس).

قال الزخشري ومثله أبو السعود وغيرهما: «الأصل (يهتدى) فلهضم...» (٢).

وهذا الإدغام القائم على الإبدال للتجانس جوازي غير مطرد، فقد ورد الفعل في القرآن على أصله مرات، كما في قوله تعالى:

«فن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه» (١٠٧ : يونس).

«وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» (٤١ : الأعراف).

«ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون» (٤١ : النمل).

كما جاء هذا الإبدال للتجانس في أماكن أخرى، منها:

«انثأقنتم إلى الأرض» (٣٨ : التوبة).

«لا يسمعون إلا الملا الأعلى» (٨ : الصفات).

«وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها» (٧٢ : البقرة).

«بل ادأرك عليهم» (٦٦ : النمل).

(١) شرح الملوكي: ٣٢٦.

(٢) للكشاف: ٢ : ١٩٠ التجارية.

، حتى إذا اداركوا فيها جميعاً ، (٣٨ : الأعراف) .

على أن هذه القيمة الصوتية لا تنفرد عن لسة معنوية بضيقها الإبدال والإدغام على الوجه الآتي بيانه .

العلقشندى :

وقد تعقب العلقشندى مسألة بعد المخارج وقربها رداً على ابن الأثير بما يكتفى في بطلان البناء عليها ، كما استشعر ذلك ابن الأثير نفسه على ما بيناه ، قال في صبح الأعشى :

« على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الألفاظ : أمى متباعدة أو متقاربة ؟ لطال الخطب في ذلك وعسر ، ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ، ولا الكاتب ينشئ كتاباً إلا في مدة طويلة والأمـر بخلاف ذلك ، فإن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام في تحسين لفظ وتقييح آخر ، .

وقد ضرب أمثلة لما تباعدت مخارج حروفه وهو في غاية العذوبة والحسن ، ولو كانت مخارج الحروف معتبرة في الحسن والتقيح لما قفهرت ، هذه الأحكام (١) .

على أن الأدواق تتأثر بكثير من العوامل التي تفرق في اللغة الواحدة بين اللهجات وأنواع الإبدال لحفة البذل ، ومثال ذلك ما رواه أبو يزيد في نوادره قال :

« وقال طباء بن أرقم ، :

يا قبح الله بنى السملات عمرو بن ربوع شرار النسات

غير أعزاء ولا أكيات

الثات : أراد الناس ، وأكيات : أراد أكياس . قال أبو الحسن : هذا من قبيح البدل ، وإنما أبدل التاء من السين ، لأن في السين صغيراً فاستثقله فأبدل منها التاء ، وهو من قبيح الضرورة ، (١) .

فالعلة للإبدال عند أبي الحسن هي الاستثقال للسين ، والسين حرف - مع صغيره - غير ثقیل ، وقد يكون الراجز إنما استخفه ليجانس صوت التاء الذي بدأ به قافيته - كما استحسّن أخو الكلجة إبدال اللام من الهمزة في قوله :

ألم تك قد جربت ما الفقر والغنى ولا يعظ الضلّيل إلا أو لالكا
عقوقاً وإفساداً لكل معيشة فكيف ترى أمست إضاعة مالكا ؟

« قال : وأو لالكا : أراد أولئك ، (٢) .

مع توفر القافية دون التزام ، ولكنه ربما رأى في الالتزام كمال للنغم فأبدل .

(١) النوادر في اللغة : ١٠٤

(٢) نفسه : ١٥٤ .

التكرير والحسن

إن القيمة الصوتية هي قيمة جمالية كالتى فى جميع الفنون ، والفنون من رسم ، وموسيقا ، وشعر ، وغيرها ، من ألمع قوانينها التكرير ، وهو فى إطار الكلمة مثيله فى إطار الكلام ، له حسنه وإيقاعه ، مادام أنيساً غير قافر ، ومنطلقاً به اللسان غير منكب ، وإن هذه القيمة الصوتية الجمالية توجد فى الألفاظ على درجات كما توجد الألوان فى الرسم ، والألحان فى العزف ، يناسب كل منها مقامه وسياقه طولاً وقصراً ، وبساحة وتركيباً ، وتفصيلاً وعمقاً . وهذا ما تدركه الأذن والوجدان فيما نسمع ، وقد تدركه العين أيضاً فيما نرى ونبصر ، والجناس كما يقع على أشكال وأضرب بين الألفاظ يقع على أشكال وأضرب بين حروف الكلمة ، فلا ينقص حسنه تنابع دكرام بررة ، ولا انفصال دينا فيها تسمى سلسيلا .

القيمة السمعية

لتكرار الحرف فى الكلام

لذا نكرر الحرف فى الكلام على أبعاد متقاربة ، أكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعاً مبهجاً ، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين ، فضلاً على إدراكه السمعى بالأذن : وأقول : على أبعاد متقاربة ؛ تفادياً للإكثار المقصد ، والتباعد الذى يفقد التكرار قيمته الصوتية الناشئة عن سرعة التردد .

إن التكرار المتزن نوع من الوزن ، والوزن — كما شبهه ريتشاردز — وإذا ما قصد استعماله لأغراض شعرية ، أشبه ما يكون بالخبرة ، فالخبرة

في حد ذاتها عديمة القيمة . . . ومع ذلك فهي تضيف على الشراب الذي تُمزج به بنسب معقولة روحاً وحيوية (١)

وتكرار الحرف على هذه الأبعاد يحسن حسناً كبيراً ، إذا جاء بطريق التداعي غير متكلف له ، بحيث يتسق المعنى اتساقاً يشغل النفس عن أن جانباً كبيراً من حسن العبارة راجع إلى التكرار ، وإنما يظهر ذلك عند التأمل .
ومن تكرار الحرف ما يأتي عفواً فيثقل ، وما يأتي مصنوعاً فيكون أشبه بالمطبوع ، أو يظهر فيه التكلف فيزدري ، إلا إذا جاء على وجه الفكاهة والطرفة :

ونمثل هنا لهذه الأنواع ، وأعلى ما نتخذ منه المثال الرائع هو القرآن الذي تداعت الحروف خلال تعبيره ، توفيراً لحسن الجرس وتآلف النظم لإيقاعاً ومعنى ، على شاكلة تلفت النظر .

اقرأ هذه الآيات وتأمل ما فيها من حروف معادة على أبعاد تتجاوب أصواتها في النفس ، دون أن تفتن إليها إلا عند القصد :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازهتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً . ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ،

(١) مبادئ النقد الأدبي : ١٩٢ ت . د محمد مصطفى بدوي .

وانظر بعد قليل إلى هذا السياق :

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً .
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسلياً ، (٥٦ - ٦٥ وما بعدها : النساء) .

تأمل عدد الميمات ومواقعها من النظم .

ثم تأمل عدد التواتات وأماكنها .

ثم حرف التاء في (الصالحات - جنات - تجري - نحتها)

ثم انظر في الآية الثانية :

حرف الكاف في : (بأمركم - حكتم - تحكوا - يعظكم - كن) .

والتاء في : (تؤدوا - الأمانات - حكتم - تحكوا - نعماء - يعظكم -
سعيها)

فس على هذا ، ثم انظر في الآيتين الأخيرتين :

إلى السين في : (أرسلنا - رسول - أنفسهم - استغفروا - استغفر
الرسول - أنفسهم - يسلووا تسلياً) .

وإلى اللام في : (أرسلنا - رسول - ليطاع - الله - لو - ظللوا - الله -
لهم - لوجدوا - الله - فلا - لا - لا - يسلووا - تسلياً) .

وإلى الميم في (ما - من - أنهم - ظللوا - أنفسهم - لهم - رحيماً - يؤمنون -
يحكموك - فيما - بينهم - أنفسهم - لما - يسلموا - تسلياً)

وإلى النون في : (أرسلنا - من - ياذن - أنهم - أنفسهم - يؤمنون -
بينهم - أنفسهم) .

وإلى الجيم في الجزء الصغير من الآية الأخيرة ، فيما شجر بينهم ثم
لا يجدون في أنفسهم حرجاً بما قضيت ، .

ثم انظر إلى حرف القاف كيف تردد على هذا الوجه العجيب في
السياق الآتي :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً . ألم تر
إلى الذين قيل لهم كففوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب
عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا
ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل متاع الدنيا
قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً . أينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ، وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من
عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فسا
لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) .

إن حرف (القاف) يظهر ظهوراً عجيباً في هذا السياق مع كثير من
الأحرف المنكرة الأخرى كاللام ، والنون ، والتاء ، والسين ، والكاف
والشين .

أنظر كذلك إلى قوله تعالى :

« فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين ، عسى الله
أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً . من يشفع شفاعاً

حصنة يمكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعته سيئة يمكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقبلاً .

كم مرة عادت أصوات تلك الحروف : (اللام - النون - السين - الشين - الكاف - الغاء) .

إننا الآن ننظر في تردد صوت الحرف ، مفضين عن تكرار الكلمات لئلا نملأ من مكان آخر يأتي بعد .

اقرأ النص الكريم الآتي وترقب صوت الكاف ، ثم أعد وترقب صوت اللام ، ثم زد مع النون ومع الدال . .

« ولکم نصف ما ترک أزواجکم إن لم یکن لهن ولد . فإن کان لهن ولد ، فلكم الربع مما ترک من بعد وصية يوصي بها أو دين . ولهن الربع مما ترکتم إن لم یکن لکم ولد ، فإن کان لکم ولد فلهن الثلثان مما ترکتم من بعد وصية توصون بها أو دين . وإن کان رجل یورث کلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فی الثلث من بعد وصية یوصی بها أو دين غیر مضار والله علیم حکیم » .

وترقب النون في هذه الآيات الثلاث من سورة آل عمران وبخاصة في الثانية والثالثة :

« قل أو نبشکم بخیر من ذلکم ، للذین انقوا عند ربهم جنات تجری من تحتها الأنهار وأزواج مطهرة ورضوان من الله واقع بصیر بالعباد ، الذین یقولون : ربنا إننا آمنّا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتین والمستغفرین بالأسحار » (١٥-١٧) .

وانظر إلى الكاف وغيرها وكيفية توزيع الحروف المرددة في قوله تعالى :

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعملون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أياً أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون . وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . »

(٧٩ - ٨١ : آل عمران)

ثم إلى الهاء ومواقعها فيما يلي :

« كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين . أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ، (٨٦ - ٨٨ : آل عمران) . »

ثم لا تسأم وانظر إلى هذه القافات وتأمل غيرها مما يتردد في هذا السياق :

« وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبعدنا كم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون . الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل : فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . . . »

(من ١٦٦ : آل عمران)

« الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار » .

وهكذا ترى صوت النون والميم والهمزة :

« ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار .
ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .

تستطيع أن تدبّر بأذنك الحرف الغالب على بقية حروف هذه الكلمات :

« وائل عليهم نبا ابني آدم بالحق إذ قرّباً قرّباً فقتل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلك قال : إنما يتقبل الله من المتقين . لن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك » (المائدة : ٣٧) .

هذا لون من تكرار الحرف في القرآن على أبعاد تكسب الكلام حسناً ولا تؤكد السمع جساوة ، فضلاً على ما ترى من تكرار الحرف التزاماً في كثير من فواصل السور التي قد تشمل آيات السورة كلها .

وإليك ألواناً من تكرار الحرف في كلام البشر ، لها من الحسن ما لا يسعنا أن نذكره ؛ لأنها من اجتلاب المعنى للكلمات المتناسقة بقوة التداعى ولمح الخيال الوثاب ، وكثيراً ما نرى ذلك في شعر أناس توفرت لهم هذه الحاسة الغنائية بالسليقة .

ومن ذلك لابن مخزومة السعدي أو يزيد بن النعمان كما في حاشية اللآلي على الأملال :

وهاتفين بشجو بعد ما سجمت

ورق الحمام بترجيع وإرنان

باتا على غصن بان في ذرا فتن

يرددان لحونا ذات ألوان

لعلك فاظر إلى (الجيم) في : (شجو - سجمت - ترجيع) و (العين)
في المتجانس المعنى (سجمت - ترجيع).

(والراء) في (ورق - ترجيع - إرنان - ذرا - يرددان)

و (الاء) في (هاتفين - سجمت - ترجيع - باتا - ذات) و (النون)

في (هاتفين - إرنان - غصن - بان - فتن - يرددان - لحونا - ألوان).

فضلا على التنوين فيما نون من الكلمات موصولا .

ولبلال بن أبي بردة ولا أظنه عمد إلى تلك الكلمات ذوات (الصاد) :

فصلت بحكمة فأصبت منها

فصوص الحق فاقفصل انفصالا

كما لا أظن أن المتنبي قصد إلى (الصاد) في قوله :

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضى ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

ولعلك ترى أن عمرو بن كلثوم وهو يرتجل قصيدته - كما قالوا -

لم يكن لديه من سعة الوقت وتحكيم الصنعة ما يجتمع له به كل هذه الثنونات ،

والراءات ، والدالات ، والباءات .

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد رويتنا

وأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتليتنا

وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شبتنا

ونشرب إن وردنا الماء صَفَرًا ويشرب غيرنا كدراً وطينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ القطام لناصبى تحر له الجبار ساجدينا
كان مروان بن أبي حفصة لم ينخل مُعْجَمَه ليختار ذوات الميم
في قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
أسود لها في غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
لها ميم في الإسلام سادوا ولم يكن
كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا
أجابوا وإن أخطوا أطابوا وأجزلوا
قد يكون بيته الأخير مشوباً بانتخاب الألفاظ التي تمت بها الموازنة ،
ولكن ذلك لا يسوغ طرد الحكم على تكرار الحروف الأخرى كهذه
الميمات في : (مطر - كأنهم - يمنعون - كأنما - لجارهم - السماكين - منزل
- لها ميم - الإسلام - لم - كأولهم - هم - القوم) .

وهذه اللامات في : (اللقاء - لها - غيل - أشبل - الجار - لجارهم -
- منزل - لها ميم - الإسلام - لم - أولهم - الجاهلية - أول - القوم - قالوا -
- أجزلوا) .

وهذه التونات في : (بنو - كأنهم - - خفان - يمنعون - كأنما - بين -
- السماكين - منزل - يكن - إن - إن - إن - التاعلون - إن - أحسنوا -
- الثابتات ...)

قس على هذا ما تكرر من الحروف في قول ذى الرمة :
إذا هبت الأرواح من نحو جانب
به أهل ليلى هاج قلبى لميها
هوى تذر فى العنان منه وإنما
هوى كل نفس حيث حل حبيبها
كم من الهاءات فى البيتين ؟

لقد تخلل حرف الباء الشطر الأول مرتين والثانى مرتين .
والكلمات النونية فى آخر الشطر الثالث ثلاث ، والحائية فى آخر
الشطر الرابع ثلاث :
إنه فعل التداعى لاريب !

التزام الحرف

الآن نعود إلى نوع آخر من التكرار الحرفى ، الذى يلتزمه المتكلم
متكلفاً له كقول القائل :

رمتنا يد الأيام عن قوس خطبها
بسبع وهل فاج من السبع سالم
غلاء ، وغارات ، وغزو ، وغربة
وغم ، وغدر ، ثم غبن ملازم (١)
إنه التزم فى الكلمات السبع أن يبدأ بحرف الغين بعد أن أخبر بعدوها
آخر بيته الأول .

(١) كل الأمثلة فى صفحات الأزهار : ٣٢٣

لأنها بدعة ابن سكرة في كافات الشتاء التي عنه أخذها الحريري ودار
حولها مدار ، وعلى هذا الفرار قول عبد الرحمن الشافعي الطيب :

إن قدر الله لي في العمر واجتمعت
سبع فإنا في اللذات معبون
قصر ، وقدر ، وقواد ، و.. وقهوة ، وقناديل ، وقانون

وقد ساقها ثمانية من ذوات الميم في هذين البيتين
ثمانية إن يسمح الدهر لي بها فإلى عنها بعد ذلك مطلوب
مقام ، ومشروب ، ومزح ، وماكل
ومُلته ، ومشوم ، ومال ، ومحجوب
وهو نفسه القائل :

إلى متى أنا لا أفك في بلد
رهن حبات جور كلها عطب
الجوع ، والجري ، والجيران ، والجدرى
والجهل ، والجبن ، والجردان ، والجرب
إن ذلك وأشباهه يساق للتطرف والترفيه ، فله علة نفسية من أجلها
يخف على القلب .

أما كافات ابن سكرة ففي بيته الثاني (١)
جاء الشتاء وعندي من حوائجه
سبع إذا الفيد من حاجتنا حبا

كن ، وكيس ، وكانون ، وكأس طلا
مع الكباب و... ناعم ، وكسا
ولها يلح الجزار بقوله :

وكافات الشتاء تعد سبعا ومالى طاقة بلفاء سبع
إذا ظفرت بكاف الكيس كفى ظفرت بمفرد يأتى بجمع

وعدت طائفة من أدباء الأندلس ، تكرار الحرف فى جميع الكلمات
على وجه الالتزام ، اقتدارا على التصرف باللغة ، ومنه ما نراه فى مثل كتاب
(الذيل والتكملة) (٢) من أنه لما ورد أبو عبد الله بن عابد الأندلس ، وتعرض
فيها للتلبس بالكتابة عن بعض رؤسائها ، خاطبه أبو عبد الله بن الجنان
برسالة التزم العين فى كلماتها جمع وهى هذه :

ياظاعنا عنا ظعننت بعصمة ورجعت معتمدا بمن صاعد
عرج على ربع العلاء معرسا بمعان عز المعزى للعابد
العالم الأعلى العميد لعصره المعلى لأعلام العلوم العاقد
وعساک تعلمه بعقد معظم عنى وعهد مساعد كالساعد
لتمود عنه برقة فرقاعه عندى لعمر هلاه أعظم عائد

طاعتك يا عمادى الأرفع ، وعنادى الأتقع - علا كعبك - وعن شعبك ،
وساعدك عصرك ، وتباعد عنك عصرك ، وارتفعت مصاعدك ، وعمرت
معاهدك ، وأعجزت بدائمك ، وأعجبت صنائعك ، وسعد معاشرك وتعاشرک
وقعد معاليك عن ممالك ...

(٢) الذيل والتكملة : ت لإحسان عباس ص ٣٤٨ - القسم الأول من
السفر الخامس .

ومنها :

فالمعينك تدعوك للإسعاف ، ومعالانك تعطفك على الضعاف ، فعلامه
 عمان، وشاعر النعمان ، والساعدي وأسجاعة ، والعبادي وإمناحه ، والأصمعي
 ومماعة ، يعجزون عن تنويع بديعك ، وبديع تنويعك ، فنفراً لمنتجع
 تضييع قُشْبُبه ، ومتبع تصدع شعبه ، أطلعها عليك متلفعة بالحق عباية ،
 ومستطلعة عندك عناية ، يدعو عهدك ليجمع شفاعه ، وبطلع عليك
 شعاعه ... اعزت المداوات لعادتك ، وهممت عين سعادتك ، وأعزك العزيز
 بطاعته ، وحسم العلم بمصمتك عن إضاعته ، بعزته العظيمة ، ونعمته العيمة ..

وأمام هذا الالتزام ، الذي ذهب بشهرة الملتزم في أبناء العصر ، عجز
 ابن عابد عن الرد بمثله ، فأنبرى له أبو الحسن الرعبي «وزاد التزام العين
 قبل روى الآيات التي افتتح بها هذه المراجعة وهي :

أعد التعهد للعميد بطفة تعنى برجمة عهدك المتاهد
 وأعد سمك للعتاب أعيد لتعود للأعتاب عود مساعد
 أهبت عقد العزم هندي عاربا

عن رعى عهد معاهد ومواهد ؟
 فعدوت عادتك العلية منزا

وعدلت عن عهد عرفت وساعد
 وعطفت عن عهد عنان حناية
 عنى فعدت بعزك المتساعد
 ونعمت بعيون سمك أعين

نعمتها وسامع لا باهد
 عجا لساح معمل لعناية تعدوه منفعة العناء لقاعد

يا على المتبع ، وعارضى المتجع ، ومعتدى المطاع المتنع ، تمهدك
للتعم مع عهادها ، ورعتك للتعصم شرع صعادها ، واعتنى السعد بإعلانك ،
واعتنى العلم باعتنائك ، ورفعت الأعين لزعامه لإبداعك ، وعمدت البراعة
بدعامه اختراعتك ، وسعد سمعك ، ووسع المعارف وعيك ، وأمرع ربك
وأمرى طبعك ، وصرع عدائك ، وصعدت معانؤاتك ... ،

ومنها :

وعنك يارافع أعلام المعالي ، والمدافع للبراع عن العوالى عبر الاعتبار
وللحلاك أعيد المستعار ، فعبادان وعمان ، والعراق والنعمان ، والصرب ،
والخليع ، والبديع والبعيث ، والعقيلي والعنابي والعنبي ، والأعشيان
والأعيان والعينان والعلمان ، والأعلام وبقاعهم ، والعلماء وأسطانهم ،
عندك اجتماعهم ، وعليك انعقد إجماعهم ... ،

ولم ينته الأمر إلى ذلك بل راجعه ابن الجنان يلتزم (العين) برسالة
طويلة صدرها الأسمر وعجزها النثر فكنتى منها بما يلي :

أعتبني	بعمد عين	وعين العذر تعرفه كمين
وعهدى عهد معتقد عليم	بمعتز اعترائك فى رعين	
وعجزى معلى العذر عنى	فدع عتبى أياسمعى وعينى	
وعودنى التعهد باعتناء	وعوذ ههدنا عن لقع عين	
وضع لتعدل معيار اعتدال	عظيم معتل عن عيب عين	
أأعد البديع بديع عصرى	بعين المى عنى بالمعين	
وعندى عقد إعظام وعلم	بعلياه لعمدى مانعين	
وضغى عاقى عن بعث عين	تعرضها ببقيان وهين	
فندت عل مقتصدى صنيع	لتصغى على رهى وهين	

وهكذا إلى البيت العشرين قبل نثر الرسالة الجارية على التزام حرف العين في كل لفظ ، وقد أشار في هذه الآيات السابقة إلى أنه بديع عصره ، كما زى التزامه في الروى كلمة مرددة باختلاف معانيها على وجه الجنس الدائم في جميع آياته ، وقوبل صنيعه بما لا يقل عنه وبالصورة نفسها من الشيخ الرعنى ، ولنا بذلك كفاية ، وهذه النماذج بروح عصرها تعد من الأنماط العالية في البلاغة ، وإن غدت بروح عصرنا ضرباً من إعنات النفس وتكبير العاطفة ، مهما ألمت بعتاب أو تنصل أوزمو ، من الأغراض التي لها صلة كبيرة بالوجدان وللحريرى رسائل طويلة من هذا النوع .

ابن الأثير وتفریق المكرر

رأينا أن كثيراً من الحسن والانسجام الصوق ينشأ عن تكرير الحرف في الكلمات على أبعاد مناسبة لسلامة الجرس وصحة الإيقاع في بناء الجملة أو النسق ، وأن هذا النوع من التكرير عمل تلقائى في أكثر الأحيان ، يأتى من المتكلم اللماح الخيال دون عمد إليه ، كما أنه يأتى قصداً لمن شاء فيحسن تارة ويقبح أخرى ، وليس كل فافر على الأوتار هازفاً .

غير أن ابن الأثير يدفع حسن التكرار الحرفى دفعة واحدة دون تفریق ، غير ملق باله لما ورد منه في الكتاب الكريم وفي أجود أقوال البشر ، ترى ذلك في (الجامع الكبير) حيث يقول .

داعلم أن هذا النوع لا يتعلق بتكرير الالفاظ ولا تكرير المعاني بماسبق ذكره في باب التكرير ، لأن تكرار الحروف هو أن يأتى حرف واحد أو حرفان في كل لفظة من ألفاظ الكلام أو في أكثرها ، فيثقل على اللسان النطق بها ، فمن ذلك ما أنشده الملاحظ .

وقهر حرب بمسكن قهر وليس قرب نهر حرب فبه

ألا ترى إلى هذه الرأىات والقافات التى فى هذا البيت من الشعر ؟ فإنها فى متابعتها كلسلسة ، ولاخفاء بما على الناطق بها من الكلفة ، وليس الكلام العارى من ذلك بمعوز ولا عزيز ، ولا هو بالذى لا يستطيعه إلا الشاعر المبرز أو الكاتب المفلق ، بل هو مما يصعب النطق به ، ولذلك كان كلام الناس فى محاوراتهم ومكاتباتهم خاليا من هذا القيل ، ولذلك أنه لا يحصل إلا بالتسكف ، والقصد للإتيان به ، فأما إذا أرسل الإنسان نفسه على سجيته ، وخلق بينها وبين طبيعتها فإنه لا يعرض له ذلك ، فليت شعرى أى أمر يضطر مؤلف الكلام حتى يأتى به مستكرها ثقيلًا على اللسان ويترك ما هو سهل عليه ؟ (١)

ونحن لانأريه فى فضيلة السهاحة والطبع ، وبُغْض التكلف المفقوت ، ولكننا نعارضه فى طرد الحكم بالبيت الممثل به على كل تكرير حرفي ، ولو كان مما جره العمد . وقد سبقنا القلقشندى بالرد على ابن الأثير فقال :

قلت : ليس تكرار الحروف مما يوجب التنافر مطلقا كما يقتضيه كلامه ، بل بحسب التركيب ، فقد تتكرر الحروف وتترادف فى الكلمات المتتابعة مع القطع بفصاحتها وخفتها على اللسان وسهولة النطق بها . ألا ترى إلى قوله تعالى : د قيل : يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ،

كيف اجتمع فيه ست عشرة ميمًا فى آية واحدة ، قد تلاصق منها أربع ميمات فى موضع ، وميمان فى موضع ، مع ما اشتملت عليه من الطلاوة والرواق الذى ليس فى قدرة البشر الإتيان بمثله والله أعلم (٢) .

(١) الجامع الكبير : ٢٧٣

(٢) صبح الأدهنى ٢ : ٢٧٣

إن القيمة الموسيقية لتكرير الحرف دعت أناساً ليرسموها حدوداً في البديع ، وليقفوا عندها موقفاً هندسياً في التركيب ، يحصل للكلام به أنواع من التوازن الصوتي ، كما في «التوأم» ، ولزوم ما لا يلزم ، و«الجناس» ، بأنواعه ، و«السجع» ، بأنواعه ، وسيرد تفصيل ذلك في تكرير الكلمة والكلام .

كما أن أناساً من المتأخرين أدركوا الجمال الصوتي في التكرار الحرفي وشدة الملافة بين صوت الحرف المكرر ورسم الصورة ، فيقول صاحب دقة اللغة وخصائص العربية .

« فإذا استمعت إلى إنشاد بيت البحري في وصف الذئب الجامع المرتجف بسبب البرد ظننته أمامك :

يقضض عصلا في أسرتها الردى

كقضضة المقرور لرعدة البرد

فإن تكرر القاف وتواليها خمس مرات ، وتكرر الراء ست مرات مع الحروف الأخرى يوحى بصورة الذئب في ضراوته وجوعه وارتجافه ، (١) .

ولسنا وحدنا الذين يلفتهم جمال الحرف المكرر ورجع صوته إذا عاد على أبعاد متجاوبة في التركيب ، وإن كنا قد سبقنا غيرنا في الدلالة على ذلك .

ينقل : آرثر سيمونز Arthur Symons عن إرنست دوسون إقراره بأن مثله الأعلى في الشعر هو هذا البيت للشاعر الأمريكي (بو Poe

The viol, the violet, and the vine

وأنه كان يرى أن الحرف (v) هو أجمل الحروف في اللغة الإنجليزية (١) وقد أتى هكذا مكرراً في أوائل الكلمات الثلاث متجاوب النغم ، كما رأينا في أمثلتنا من النصوص العربية .

تكرار المدود

كما تعطى أصوات الحروف الصحيحة هذه القيمة السمعية عند التكرار ، تهب هذه القيمة بشكل أوفر حروف المد الثلاثة (الألف ، والواو ، والياء) عندما تجانسها حركة ما قبلها ، فتمحض لانطلاق الصوت مسافة أطول . وهي عند التكرار يُلمَسُّ لها تطريب تطيب به النفس ، ويأنس إليه السمع والوجدان ، وقد انتبه إلى هذه الخصيصة اللغوية المتعلقة بالجرس هلمونا السابقون ، فقال السيوطي : ذكر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك ، كما قال سيديويه : إنهم إذا ترنموا بالألف والياء والنون ، لأنهم يريدون مدَّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، (٢) .

ولتوفير هذه المدود تلجأ اللغة إلى إيجادها لإيجاداً ، إذا لم تكن من طبيعة البنية ، وذلك عن طريق القلب والإبدال والنقل للحركة ، فالياء تبدل من الهمزة - مثلاً - إذا كسر ما قبلها ، فيقال في (ذئب) ذيب ، وفي (بئر) بير ، وقد أبدلت من الراء ، والنون ، والباء ، والواو ، في (قيراط) و (دينار) و (ديباج) و (ديوان) وأصولها على الترتيب : قرطاط ، ودنار ، ودباج ،

(١) الشعر والتأمل : روستريفورهما ملتون ت . د . محمد مصطفى بدوي

ودوان - بالتضعيف ، وذلك لإبدال سباعى ، وليس فيه عودة للاستدلال به على التخلص من التكرار بسبب الثقل ، لأنه - أولاً - مسموع فى ألفاظ معدودة ، ولأن الثقل - ثانياً - حاصل بالانتقال من كسر فاء الكلمة إلى التضعيف ، بدليل بقاء التضعيف مطرداً مع فتح الفاء فى الصيغة مع هذه الحروف نفسها مثل :

تقريبهم لـ هذميات نقدها ما كان خاط عليهم كل زراد
فأنت ماسرتَ فى أرجاء بهجتها
فى روضة من رياض القلب غناء
أخفى هموى فما يدرى بها أحد
غيرى ومثلى على الأواء صبار
يقول بشعب بوان حصافى أعن هذا يصار إلى الطعان

كما أن من الوسائل الموفرة للد ، إبدال الألف وجوباً من الهمزة الساكنة بعد فتح فى مثل : (وَأَمْسَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) ومثل : فكيف آسى على قوم مجرمين ، ود فلما آسفونا انتقمنا منهم ، كما تبدل منها جوازاً إذا تحركت بعد فتح مثل : سال من السؤال ، وقرا (دون همز) من القراءة ، وجوباً من الواو والياء إذا تحركتا واقتح ما قبلها ، كما فى : قال من القول ، وباع من البيع ، وسما من السُمُو ، وبني من البناية .

وأبدلت الواو من الهمزة المضموم ما قبلها إبدالاً جازاً فى مثل : (يومن ياقه ، وجوباً من الياء الساكنة المضموم ما قبلها فى مثل : بقاء ربكم توقنون ، وإننا موقنون .

تلك نماذج لتوفر المدود فى الكلام ، لما لها من صلة نفسية فى راحة

القلب بمد النفس، وراحة الأذن بطيب النغم، وإعطاء النظم من تجاوب الجرس ما لا يعطيه توالي الحروف والحركات - فضلا على ما لهذه المدود من وظيفة دلالية، كما في أسماء الأصوات والأفعال من دلالة الياء على مد الصوت واتصاله في مثل : الحفيف، والأزيز، والصليل . . . بينما يدل المضعف الرباعى منها على التقطع في مثل : الثثرة، والصلصلة والوسوسة . . فهذه الأحرف الثلاثة للد، يكثر أن تجيء زائدة لتعطى مع القيمة السمعية تمييزاً لصيغة عن أخرى . له دخل في الدلالة وتقويم الوزن أو السجع أو غير ذلك من ألوان البديع .

بل يذهب العلماء إلى أن هذه الأحرف الثلاثة أصل لحروف الزيادة العشرة التى يجمعها قولهم : دهناء وتسليم،

يقول ابن يعيش :

« وأصل حروف الزيادة حروف المد واللين ، التى هى : الواو، والياء ، والألف ، لأنها أخف الحروف ؛ إذ كانت أوسعها مخرجاً ، ثم يستشعر معارضة بكلام النحاة فيدفعها بقوله : فأما قول النحويين : إن الواو والياء ثقيلتان ، فبالنسبة إلى الألف ، وأما بالنسبة إلى غيرهما خفيفتان . »

ثم يعود إلى الاستدلال لقضيته فيقول : « ولأنها مأنوس بزيادتها ، إذ كل كلمة لا تخلو منها أو من بعضها ، ألا ترى أن الكلمة إذا خلت من زيادة أحد هذه الأحرف فلن تخلو من حركة : إما فتحة ، وإما ضمة ، وإما كسرة ، والحركات أبعاض هذه الحروف ، وهى زوائد لا محالة ، فلما احتيج إلى حروف تزداد فى كلامهم لغرض كانت هذه الحروف أولى ؛ إذ يبدؤوا

غيرها لم تؤمن بقرة الطبع ، والاستيحاش من زيادته إذ لم تكن زيادته مألوفة، وبغير حروف المد من حروف الزيادة مشبهة بها ومحمولة عليها... (١) ، ويؤكد هذا الكلام خفة حروف المد وطيب صوتها لسعة مخارجها، وأخفها الألف ، كما يؤكد صلتها النفسية التي مردها أنها مألوفة ، لأنها وليسدة الحركات التي لا يمكن خلو لفظ عنها ، ولذلك يأنس بها الطبع ، كما يفهم مصاحبة هذا للوظيفة الدلالية من قوله : « فلما احتيج إلى حروف تزداد في كلامهم لغرض... »

ولعل قوله هذا وما أشبهه من أقوال الجدد ، هو الذي جعل الأحفاد يقولون : « إن لها مع وظيفة تنويع الأصل وظيفة موسيقية فنية ، فإنها تفسح المجال لتنوع النغم الموسيقي للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة ، لسعة إمكانياتها الصوتية ومرونتها ، وتقاربها في ذلك بقية حروف الزيادة ، لخصائصها الصوتية المواتية (٢) » .

إن المتنبع للأوزان والهيئات التي أنت عليها مفردات اللفظ ، والتي كثير منها يباح فيه القياس ، ليجد هذه المدات في عدد ضخم ، لا يختص نوعاً من أنواع الكلمة ، فهي موجودة حتى في الحروف المحصورة بعدد يكاد يكون مستقصى ، مما يشهد لهذه اللفظ بالمطاوعة النادرة في العطاء للوزن والترنم ، والمواكبة لأصوات النفس الباطنة من أفراح وأشجان .

(١) شرح الملوكي : ١٠١ .

(٢) فقه اللغة وخصائصها : ٢٥٦ .

مواقع المدود

أما مواقع المدود على أبعاد في الكلام متجاوبة الجرس ، فإليك منه
في الكتاب العزيز على سبيل المثال ، وأنت واجد المثال في صحيفة صحيفة
من المصحف :

د من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله
محيماً بصيراً. يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم
أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا
الهوى أن تعدلوا، وإن تلوهوا أو ترمضوها فإن الله كان بما تملكون خبيراً ،
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ، (١٣٤ - ١٣٦ : النساء) .

رتل هذا المثال الواحد أو استمع إليه مرتلاً ، وسجل هذه المدات بحسبك
المتذوق لتعرف ما لها من قيمة إيقاعية مشتهة للقلب مشتهة للسمع ، ثم قس
عليها الأعم الأغلب من آيات القرآن .

أنواع المد

المد قصير بقدر بحركتي إصبع على التوالى ، أو طويل يمتد إلى أربع أو ست ، يعطى قيمة صوتية أمد ، كالواقع قبل الهمز أو السكون ، ومزج الكلام بهذه المدود على اختلافها لا يختار اختياراً ، وإنما يأتي في الأغلب بجانب الفكرة والإحساس الممتزج بالفكرة ؛ يعطيها جانباً من التصوير بقوة التداعى .

ولعلك راء في قوله تعالى : « فبأى آلاء ربكما تكذبان ، - وقد تكرر في سورة (الرحمن) على أبعاد متجاوبة - صوت هذا المد الطويل يكتفه ثلاثة مدود قصار ، تؤدي مع التكرار العام للآية تنغيماً داخلها فيها له أخذه وأسرّه ، وفلاحظ أن المد الطويل قد وقع في لفظ الارتكاز من مدار المعنى وهو (الآلاء) ليزيد تميزاً ووضوحاً في مقام التضمن والإلزام بالحجة .

وهكذا تجد قوله تعالى :

« اق له لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ، (٨ : طه) يمتزج فيه المدان الطويلان بالمدود القصيرة امتزاجاً يشمر فيه القارىء بتكوين النفي لغير الإله الحق بهذا الطول ، وبتحقيق (الأسماء) الحسنى مقابل النفي ، بالتركيز عليها بامتداد صوتها .

المدود والفواصل

والمدود في الفواصل وهي نهايات الدفقات الصوتية للجمل عند الوقف . نجد لها في القرآن الكريم من الحلاوة والإطراب حظاً يثير الحكم بأن لها دخلاً كبيراً في الإعجاز ، وهي إما مدود مطلقة يوقف عليها صوتها ، وإما ملحقة بحرف صائت تسبقه ، وقد تتكرر في كلمة الفاصلة فيضاعف التكرير قيمتها بما لا يخفى جماله وأسر إيقاعه .

أنظر إلى هذه الفواصل المطلقة ، وقد تكرر في كل من ألفاظها المد ، فضلاً على تجانسها العام في السياق :

« والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها .
والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس
وما سواها ، فالهمهما فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب
من دساها . . . »

ثم رتل سورة (ق) كلها ، واقفاً عند كل فاصلة ، وانظر تجاوب
المدود في نفسك ، وتثبيتها لجمالها كأنها أطناب الخيام في منسى .

ما هي إلا إشارات وراها أن تعطى سمعك للقارئ أو بصرك
للصنف مرتلاً واعياً ؛ لترى تكرار المدود وتذكر ما يصنع .

في الشعر

حينما نقرأ الشعر في جميع عصوره ، نحس هذه الخصائص الصوتية
ظاهرة قوية هي ألمع الظواهر منه ؛ لأن أوزان الشعر أو مقاييسه وهي
تسمى (التفعيلات) لا تخلو إحداها من ساكن ، وكثيراً ما يكون الساكن

مدا ، والمدود للتطريب هي بالشعر ألصق ، لأن الشعر في الأعم - وبخاصة العربي - يمثل غناء النفس أشواقها وآلامها وأفراحها ، التي تناسبها مدات الشجاء ، والألمى ، والحنين ، والآنين ، والسراء ، والضراء .

هذه المدات دخلت في حسابان النقد الأدبي ، وسيلة من وسائل تصوير المشهد الذي ينقلنا إليه الشاعر بنشيدده .

فطن إلى ذلك الشاعر الناقد المرفه سيد قطب - رحمه الله - وهو يتأمل قول أبي العلاء :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من هدى عاد .

قال : « فالوزن يؤلف الموسيقى الخارجية المحسوسة ، وهناك موسيقيا داخلية ، ناشئة من طبيعة قوالب الحروف ومخارجها ، لامن حركة هذه الحروف التي يتم بها الوزن العروضي » .

وفي البيت الأول : (من أبيات اختارها) رنة إعلان وإشارة إلى مجال فسيح :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب

ولعل لهذه المدات الثلاث المتوالية : (صاح - هذى - قبورنا) دخلا في ذلك الإيقاع الموسيقي الخاص (١) .

وهو في هذه الالتفاتة المتذوقة منتفع بما أسسه لهذا التذوق علامة الأصوات أبو الفتح بن جني ، والذي ربط بين الجرس والمدلول ربطا ينبغى أن يكبر كل الإكبار ، وأن يعنى الناقدون به كل العناية في تقويم النصوص .

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه : ٦٩ - ١٩٦١

وقد سبق أن مثلنا التكرير الحروف بأبيات من قصيدة عمرو بن كلثوم، ونعيدها مرة أخرى اظهر المرات مفرقة فيها على أبعاد دقيقة التصويت ظاهرة التناوب مع تدفق وجدان الشاعر في نثره وزهوه وحماسه .

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قدروينا
وأنا المعظمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا وأنا التنازلون بحيث شئنا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الطعام لنا صبي نخر له الجبابر ساجدينا

الآن نذكر هذه المدود ، وقد ظفرت كلمات القافية كلها بمدين مدين ، وقع الثاني منهما في مكان الفخامة والإطلاق ؟

اقرأ هذه الآيات لعروة بن حزام في النسب :

على كبدى من حب عفرأ قرحة وعيناي من وجدى بها يكفان
تحملت من عفرأ ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علفت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان
جملت أعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا : نعم نشفي من الداء كله وقاما مع العواد يتدبران
فأتركا من رقية يملئنا ولا ملوة إلا وقد سقياني
وما شفيا الداء الذى بي كله ولا فخرأ نصحا ولا ألواني
فقالا : شفاك الله ! والله ما بنينا

بما ضمنك منك الطلوع بدان !

إن مد الصوت كتنفيس الصعداء ، وهذه المدود الكثيرة المتنوعة والمصاحبة للنص إلى منتهاه ، إفضاءات بآلام الشاعر داخل إفضاءه الظاهر بشكواه .. إنها موسيقا شجوه تملئت موسيقا العروض : إنها أنقاسه داخل كلماته تهب الأبيات حياة وصدقا .

الوظيفة الفكرية لتكرير الحرف

إن صوت اللفظ ومعناه يكادان يرتبطان برباط وثيق ، في هذه اللغة التي تقوم فيها الأسماء والأفعال على صيغ وأوزان ، وعلى خصائص صوتية لتكوين كلماتها من حروف لكل منها مخرج في الفم وصفة في النطق . وقد أجهد هذا الكشف أناساً وهبوه الكثير من أعمارهم فأرسوا هذه اللغة على أشباه القواعد الثابتة ، وجعلوا للصوت جزءاً من الدلالة على المعنى ، فما رق ولان من الحروف لما راق ولان من المدلولات ، وما خشن وصلب منها لما خشن وصلب ، وكل صيغة على صوت هي للملول لا يدل عليه غيرها مشتقة كانت أو أصلاً ، وأصوات الحروف الأصول في المادة تتقلب قلباً مكانياً فتعطى معنى عاماً واحداً ، ثم يختص كل وجه تحت هذا العموم بصفة ليست لسواه .

وقد كان لأبي الفتح ابن جنى أكبر الأثر في هذا المضمار المجهد ، حتى أصبح مرجعاً وأساساً يرجع إليه ويبنى عليه ، وإن كان قد اتخذ مفتاح بحثه من ملاحظات لاحظها سيبويه والخليل ، لم تطل ولم تكثر ، ولم تنفرد بالبحث المتخصص إلا في يديه .

ونحن هنا قاصرون الحديث على سبيل المثال ، فذاكرون بعض النماذج التي يشترك فيها الصوت واختلاف جرس الحروف في الدلالة على المعنى .

الدلالة بالصيغة

بصرف النظر عن أصوات الحروف مفرقة ، أو مجتمعة ، أو مرتبة بترتيب خاص ، اشتهر في صرف لغتنا ما يدل من الصيغ على الذات الفاعلة ، أو ما وقع عليه الفعل ؛ أو ما دل على زمانه أو مكانه ، وما دل على صفة منقولة ، أو دل على صفة لازمة ، وما تتابعت حركة حدوده من الفاعل وما تقطعت ، وما ينسب لفاعله المعلوم ، وما جهل فاعله فنسب إلى نائب عنه ، وما يولغ من الفاعل في فعله وما لم يبالغ ..

هذه الهيئات النوعية التي يؤخذ لها ميزان عام في الصرف من مادة (فعل) ينطبق كل منها حيناً وجد على هذا المدلول المفروغ من العلم بمطابقته ، إلا عند قيام القرائن على استعماله مجازاً وتوسماً لعلاقة قائمة .

وفي هذا الجنس الذي يعزى إلى الاشتقاق الصغير ، يتصل بموضوعنا - موضوع التكرير - ما تكرر فيه الحرف ، ليفيد صوته جديداً في المعنى ، فيكون للتكرار الحرفي دلالة سمعية ودلالة فكرية .

وأظهر ما يظهر ذلك في المزيد بتضعيف المين أو اللام من الأفعال وما اشتق على غرارها ، وفي بعض المزيديات مما أحدثت الزيادة فيه تكريراً ، ولنا كفاية في التمهيل بتلك الصيغ : (فعَّـل - تفعَّـل - أفعـل - أفعَّـل - أفعَّـل) وهي من أوزان الأفعال ، ومعها صيغة (فعَّـل) من صيغ الأسماء .

صيغة (فعل)

أما صيغة (فعل) مكرر العين بالضعيف ، فهذا التكرير فيها معاني يدل عليها هذا الصوت ، قد أنهاها صاحب (أوزان الفعل ومعانيها) إلى الواحد والستين ، متقبلاً ما ذكره الصرفيون واللغويون ، وركيزته الأولى من هؤلاء (لسان العرب) .

وقد جعل ابن يعيش من أول تلك المعاني (التكثير) قال : وهو الغالب على هذا البناء . تقول : كَثُرَتِ المتاع ، وغلقت الأبواب ، وقَطُرَتِ الثياب إذا أردت تكرير الفعل ، فتكرير العين أفاد الدلالة على تكرير الفعل مرات . وهذه أم المعاني المداول عليها بتلك الصيغة .

١ - القيام بالفعل بقدر العدد الذي هو أصله . يقال : سَبَّحَ الإله ؛ غسله سبعاً ، ومنه الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم سلمة حين تزوجها . إن شئت سبَّعتُ عندك ثم سبعت عند سائر نسائي وإن شئت نلت . وجاء في اللسان أنه يطرد من الواحد إلى العشرة في كل قول أو فعل .

٢ - وجود الشيء على صفة ، ومنه : طَيَّبَهُ وجده طيباً ، وصعب الأمر : وجده صعباً .

٣ - بمعنى صار له كذا ، ومثله : قَصَّبَ الزرعُ : صار له قصب ، ولبب الحب : صار له لب .

٤ - الإقامة بالمكان الذي هو أصل الفعل ، يقال : حَصَّبَ : أقام بالمحصب .

(٥) الإصابة بأصل الفعل ، يقال : رُمِدَ الشَّوَاهُ أَصَابَهُ بِالرَّمَادِ .

(٦) جعل له كذا : صَدَّرَ الْكِتَابَ : جعل له صدرا ، وخير صاحبه جعل له الخيار .

(٧) الظهور . يقال : شَعَّرَ الْجَنِينَ : نبت عليه الشعر ، وعذَّرَ الْغَلَامَ : نبت شعر عذاره ، ونَوَّرَ الصَّبِيحَ ظَهَرَ نَوْرُهُ .

(٨) جعل الاسم المأخوذ منه الفعل في المفعول ، ومنه : قَيَّرَتْ الْمُسْفِينَةَ طَلَبَتْهَا بِالْقَارِ ، وَحَنَّنَا لِحَيْتِهِ خَضِبَهَا بِالْحَنَاءِ .

(٩) الإقامة مدة الوقف الذي هو أصل الفعل : قَيَّظُوا : أَقَامُوا زَمْنَ الْقِيْظِ .

(١٠) الطَّيَّبُ : حَكَمُهُ : طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ ، وَصَبَّوهُ : طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَصِيرَ .

وهكذا إلى آخر المعاني التي زادها تكرير العين وخلا عنها الثلاث قبل التضعيف .

تَفْعُلُ

كما استنبط صاحب هذا الكتاب من أقوال العلماء خمسة وثلاثين معنى لوزن (تَفْعُلُ) المكرر العين مع زيادة التاء أوله ، ومنها :

(١) التحين : يقال : تَفَقَّسْهُ : تحيّن غفلته ، وَتَفَقَّسَ الشَّيْءُ : تحيّن اغتنامه .

(٢) الشكوى : يقال تظلم : شكاه ظلمه ، وتوجع : شكاه وجعه .

(٣) تناول : تمخَّصت الإبل : أكلت الخشب ، وتعشَّبت : رعت العشب ، وتسحَّر الرجل : تناول السحور .

(٤) الانتساب : يقال : تسكَّوف : انتسب إلى الكوفة ، ونشأ : انتسب إلى الشام .

(٥) جعل الشيء كذا : يقال : تمَّوله : جعله مالا ، وقوَّنه : جعله قوتا .

(٦) الدخول في مكان : تغوَّروا : دخلوا الغار ، وتكسَّس : دخلت الكناس ، وتجبَّأوا : دخلوا الجبل .

(٧) نسبته إلى كذا : تعيَّبه : نسبه إلى العيب ، وتكذبوا عليه : نسبوه إلى الكذب ، وتقصَّوا الرجل نسبوه إلى نقصان .

(٨) صار كأصل الفعل : تذَّأب الرجل : صار كالذئب خبثا ، وتليَّث : صار كالليث ، وتفغَّى : صار كالأفعى .

(٩) بمعنى الشد : تعصَّب : شد العصاة ، وتنطق : شد النطاق ، وتلقَّم : شد اللثام .

(١٠) المبالغة : تفصَّح الرجل : ازداد فصاحة ، وتنصَّح : أكثر النصح .

إلى آخر المعاني التي تدل عليها الصيغة بتكرار العين وزيادة التاء أولا .

أفعوعل

عما يأتي له هذا الوزن المكرر العين :

(١) أن يكون بمعنى صار كذا . يقال : اخشوشب : صار خشبا ، واعصصبوا : صاروا عصابة ، واخلوق السحاب صار خليقا للبطر .

(٢) وقال ابن يعيش : د وأما أفعوعل فهو بناء موضوع للبالغة ، قالوا : خشن المسكان ، فإذا أرادوا المبالغة والتوكيد قالوا : اخشوشن ، وقالوا : أعشب الأرض ، فإذا أرادوا الكثرة والعموم قالوا : اعشوشب . فعنى : خشن وأعشب دون معنى اخشوشن واعشوشب ، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ، وقوة اللفظ ومؤذنة بقوة للمعنى . : (١) .

أفعوّل

وقال : د وأما (أفعوّل) نحو : اخرّوط ، واجلوّذ ، واعلوّط ، فعناء المبالغة (كأفعوعل) لأنه على زنته ، إلا أن ثم المكرر العين ، وهاهنا المكرر الواو المزيدة ، (٢) .

وهذا راجع إلى كلام ابن جني في (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) (٣) قال : د هذا فصل من العربية حسن ، منه قولهم : خشن واخشوشن ، فعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن) : لما فيه من تكرير العين

(١) شرح الملوكي : ٨٥ :

(٢) قصه : ٨٧ .

(٣) الخصائص ٣ : ٢٦٤ :

وزيادة الراو ، ومنه قول عمر (رضى الله عنه) : اخشوشنوا
وتمعدوا . . .

وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا :
اعشوشب ، ومثله : حلاوا حلوبى ، وخلقوا خلقى ، وغدنوا غدون .

ويتصل بذلك تكرير الحرف فى الأسماء .

قال فى الباب نفسه : ومن ذلك أيضا قولهم : رجل جميل ووضىء ،
فإذا أرادوا المبالغة فى ذلك قالوا : وُضْءًا وجَمَّالًا ، فزادوا فى اللفظ هذه
الزيادة لزيادة معناه . قال :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضءاء
وقال :

تمشى بهم حسن مُرْلَاحٍ أَجْمٌ حنى م بالصباح
وقال :

منه صفيحة وجه غر جرمال

وكذلك : حسن وحسان ، قال :

دار الفتاة التى كنا نقول لها يا ظية عطلا حُسْرَانَة الجيد

وكان أصل هذا إنما هو لتضعيف العين فى المثال ، نحو : قطع وكسر
وبأيهما ، وإنما جعلنا هذا هو الأصل لأنه مطرد فى باب أشد من اطراد
باب الصفة . . .

فأما قولهم : (خُطْطَاف) وإن كان اسمًا فإنه لاحق بالصفة

في إفاة معنى الكثرة ، ألا تراه موضوعاً لكثرة الاختطاف ؟ وكذلك
(سكين) إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابج به . . . ،

وفي مثل ذلك يقول ابن فارس في الكتاب (الصاحي) :

« ومن سنن العرب الزيادة في حروف الاسم ، ويكون ذلك إما للبالغة
وإما للتشويه والتقييح .

سمعت من أئق به قال : تفعل العرب ذلك للتشويه ، يقولون للبعيد ما بين
الطرفين المفرط الطول : (طرمّاح) وإنما أصله من (الطرح) وهو
البعيد ، لكنه لما أفرط طوله سمي (طرمّاحاً) فشوه الاسم لما شوهت
الصورة ، وهذا كلام غير بعيد . . .

ويكون من الباب (سمعة نظرنه) ومن الباب (كبير وكبار ،
وطويل وطوال) ، (١) .

ومثل ذلك يشكر في كتب الأسلاف من صرفيين ولفويين
وبلاغيين ، كالذي نراه في الجامع الكبير لابن الأثير (٢) دون
زيادة فرق .

فعلل

أما صيغة (فعلل) المضعف الرباعي ، فإن ما تأتي له :

(١) أن تكون بمعنى قال كذا . يقال : بأبأت الصبي ، وبأبأت به :

(١) الصاحي : ٧٠ - السلفية ١٣٢٨ هـ

(٢) الجامع الكبير : ١٩٣ .

قلت له : بأى أنت وأمى ، وجاجا بالكبش ، إذا قال له : جاجا زجرا ،
وبنجح إذا قال : بنج بنج .

(٢) الترجيع والتكرار . يقال : تأنأ الرجل ، إذا كان يتردد في
التأ . إذا تكلم ، وفافأ فلان في كلامه ، قال المبرد : الفافأة : التردد في
القاء . إذا تكلم . وكذلك : صرصر ، وصلصل ، إذا أردت أن الصوت
تكرر . . .

(٣) التناول . في مثل : سلسلُ : أكل السلسلة وهي قطعة طويلة
من الأنعام ، وجشجت البعير : أكل الجشجات .

(٤) التلبس ، في مثل . تملخلت المرأة : لبست الخلخال .

وهذا الوزن تكرراره في مكانين ، ويرده الكوفيون إلى الثلاثي المضعف
إذا ضعفت عينه ، بحيث يجتمع فيه ثلاثة أحرف من جنس ، فيبدلون من
أوسطها حرفا مائلا لفاته . ويجعله البصريون كلمة ، والثلاثي كلمة ، على
الاستقلال في كل منهما ، ولكنه على أى حال يمثل بتكرار حرفيه تكرار
المعنى الذى هو أصل مادته ، سواء كانت فعلا أو صوتا ، وإلى هذا يشير
ابن جنى في مثل : الرعزة ، والقلقة ، والصلصة ، والققعة ، والجرجرة
والفرقرة (١) .

ويفسره البطليوسى على فك جزئية لبيان الوحدة التى هى أصل بنائه
فيقول :

المهامه : القفار الملس التى لابات فيها ، واحدها مهمه ، واشتقاقه من
قولهم : مهمت بالرجل إذا زجرته ، فقلت له : مهمه ، كأنهم أرادوا أنه

فقر يخاف فيه الهلاك ، فإذا تكلم فيه الرجل وجره أصحابه من الكلام (١) ،

وارتباط صوت اللفظ الذى وقع فى حروفه التكرار بالمعنى ، لا يرجع إلى ابن جنى ومن سبقه أو لحقه لحسب ، بل هو ظاهرة يراها المحدثون من علماء اللغة ، وبخاصة فى طائفة كبيرة من الألفاظ ، يرجع بعضها إلى الرابطة الطبيعية ، والآخر إلى الرابطة الوضعية ، كما صنع الدكتور على عبد الواحد فى (فقه اللغة) .

و أما الروابط الطبيعية فأساسها محاكاة الأصوات ، فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان والحيوان والأشياء ، وبعض الكلمات الدالة على الأفعال التى يحدتها الإنسان أو غيره ، تحكى أصواتها - فى صورة ما - الظواهر التى تعبر عنها ،

ومن ذلك القهقهة ، والدندنة ، والنحضة ، والمهممة . . .

كما أن منها ما يأتى على وزن آخر ، لم يخل من تكرير الحرف : كالرنين والأنين ، والحنين ، والكثير ، والهرير ، والخفيف ، والصليل والأزيز ، والفحيح ، والكشيش . . .

وأما النوع الثانى وهو العلاقة الوضعية فيكون بالاشتقاق (٢) .

تلك بحالة فى تكرير الحرف فى الكلمة ، ومثيرة مزية تعود على الجرس وأخرى تعود على المعنى ، وقد استغل هذه النظرية الأزدواجية كثير من النقاد

(٢) الاقتصاب : ٤٧٣

فقه اللغة : ١٧٠ - دار نهضة مصر .

القدامى والمحدثين ، في بيان تمثيل الألفاظ للمشاهد المعبر عنها بما لا يخلو من إصابة نظر ، كما أومأنا إلى ذلك من قبل ، وقد تمثلت في هذا الصدد ، بقوله (صلى الله عليه وسلم) لام السائب وكانت مريضة بالحمى : د يأم السائب مالك تَزَفِرَ فَرِين ؟ .

فإن ذلك اللفظ بما فيه من التكرار يصور لنا رعدة الحمى وتكرر الحركة والصوت من فكى أم السائب (رضى الله عنها) وكذلك قوله (صلوات الله وسلامه عليه) الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام الهرة ، والذى يقرأ القرآن ويتمتع فيه وهو عليه شاق له أجران ، فإن الفعل د يتمتع ، بما فيه من التكرار والتضعيف يرسم صورة اللسان وهو يحاول النطق في معاناة ومشقة ، وهذا الفعل مقصود منه (صلوات الله وسلامه عليه) لإداء ما يريد منه على تلك الصفة ، وإلا لصح الاكتفاء بقوله : د والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران ،

كما نرى مثل ذلك لفظ د الثنارون ، فى قوله : د إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى أساوتكم أخلاقا : الثنارون والمتشدقون والمنفيقون ، ونظيره الفعل د يتجلجل ، فى الحديث : د بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه ، مرجل رأسه ؛ يختال فى مشيته ، إذ خسف به فى الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، (١)

كما ندرك خشونة الصوت وتكراره ونكاد نلصق فى الخيال الصورة المعبر عنها من قول علقمة :

تخشخش أبدان الحديد عليهم

كما خششت يبس الحصاد جنوب

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ، فصل د تصوير المعنى بجرس اللفظ ،

ص ٢٨٠ وما بعدها

ويتجسم بالتكرار صراع الدهر مع سابور وهو يدفعه بعنف دفعة بعد أخرى ليؤيله من الوجود، في قول عدى بن زيد :

فاسأل الناس أين آل قيس طحطح الدهر قبلهم سابورا
وتكرار المعاناة تحت الضغط يرسمها ذلك التضعيف في قول ابن متهبل
يصف لهاة فرسه :

يقلقل من ضغم اللجام لهاة
تقلقل عود المرخ في الجعبة الصفر

وذلك الهمس الرقيق الجرس المتتابع الإيقاع ، يصوره التكرار في
«الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس» .

وعلى ذلك الوجه من مشاركة التكرير الحرفي في تشخيص المعاني
وتقريبها من إدراكنا الحسى ، يمكننا التطبيق على هذه المضعفات من صفات
أو أفعال ، وهو أمر لا نحكم به تخيلا ، فإن صلة اللفظ فيه بمذلوله منقولة
عن الواقع .

(٣) تكرير الكلمة والكلام

يطرب الإنسان كثيراً إذا رد الصدى صوته ، مع أن الصدى الذي يرد
قد تذهب فيه الكلمات فتفقد صدق المحاكاة ، كما يزداد الإنسان طرباً للكلمة
ذاتها بعيداً إلى سمعه من يحب أن يسمعها من فمه ، لما طبعت عليه نفس
الإنسان من طبيعة التكرار ، المثلة في ذاته وحياته بصورة لا يستطيع
الإفلات منها متى شاء . فالإنسان والتكرار صديقان منذ الطفولة المبكرة ،
التي يبدأ فيها بسماع دقات قلب الأم جنيناً ووليداً ، وبتكرار حركة الفم في
الرضاع وفالجين في بطن أمه يسمع دقات قلبها ، ويتأثر بها ، وينفعل معها ،
وبطل يسمعها وهو على صدر أمه بعد الولادة حتى يشب ويكبر ، ولذلك
تكون أول كلماته ثنائية التركيب ، مبسطة النطق تماماً مثل دقات القلب ،
فيكون أول نطقه لكلمات مثل : بابا وماما ... وغيرها ... (١) .

وكثير من الكلمات ذات التكرير في اللغة مرده إلى محاكاة الطبيعة ،
وأصوات الأشياء التي حول الإنسان من مهده إلى منتهاه .

ولو نظرت إلى الأطفال وهم يلعبون فإنهم يلجأون إلى التكرار في
حركاتهم ، وإلى المنظوم في أناشيدهم ، وإلى التصفيق المنتظم المنغم في مرحهم
وإلى كل ما يحمل صفة التكرار

فهذا الإيقاع المنتظم المستمر يثير في نفوس الأطفال السرور
والبهجة ، (٢) .

وهذا كما يرى صاحب (نقح اللغة) راجع إلى أسباب كثيرة منها :

(١) لغة الحمس : ٥٧

(٢) لغة الحمس : ١١٢

أن النشاط الحركي يتجه دائماً إلى الأشكال المتماثلة والأوضاع المتشابهة، ومنها أن إيقاف الحركة فجأة يتطلب مجهوداً أكبر من المجهود الذي يتطلبه استمرارها، فالطفل بتكراره هذا يميل بفطرته إلى أخف المجهودين، وإلى هذا يرجع السبب في حدوث هذه الظاهرة نفسها عند الكبار أحياناً، وخاصة حينما يتكلمون بسرعة (١).

ومع السرعة نضيف هنا الحالات النفسية والانفعالية التي تعد مثيرة للتعبير وحاملة على التكرير، والإنسان في مثل هذه الحالات ينفلت من قوة التحكم في النطق، فيعود في صورة ما إلى ما صاحب الفطرة من بدء الحياة.

مزية التكرير

إذا كان لتكرير الحرف الواحد في الكلمة أو في الكلام على أبعاد ما قد عرفناه من القيمة السمعية، فإن تكرار الكلمة في الجملة أو النص، وتكرار الجملة في السياق، لا بد أن يكون له من القيمة ما هو أكبر وهذا ما يلجأ إليه لقصر المستمعين المطربون وصانعو الألحان، وإذا لم يكن الكلام المغنى حاصلًا على هذا التكرار أصلاً، وحينما تأخذ المستمع نشوة التأثير، قد ينطلق هو يكرر المسموع إعجاباً به أو تعجيباً منه أو غير ذلك، كاذي أخبر به الجاحظ عن عمر (رضي الله عنه) في قوله.

« ولقد أشدوه شعراً لزهير، وكان لشعره مقدماً، فلما انتهوا إلى قوله :

وإن الحق مقطعه ثلاثٌ عشرين، أو نزار، أو جلاء»

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق، وتفصيله بينها، وإقامته أقسامها:

(١) فقه اللغة د. علي عبد الواحد ١٣١ : ط السلفه .

وإن الحق مقطعه ثلاث . . .

يردُّ البيت من التعجب .

وأشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التي على اللام ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

المرء ساع لشيء لبس بدركه والعيش شح ، وإشفاق ، وتأميل
قال عمر متعجباً :

والعيش شح ، وإشفاق ، وتأميل - يعجبهم من حسن ماقيم
وفصل ، (١).

ومثل هذا التردد ، ما ذكر عن ارتجاز الصحابة وهم يضربون الخندق حول المدينة ، فقد كان النبي (صلوات الله وسلامه عليه) يردد لفظ الروى :
(عمراً ، وظهراً) كلما انتهوا إليهما من قولهم .

سماه من بعد جُعيل عمراً
وكان للبائس يوماً ظهراً

ولتكرار الكلام أوضاع مختلفة ، تتوفر لها القيمة الصوتية ، سواء نظرنا إلى المعنى أو مجردنا مؤقتاً عنه ، لنسمع جرس الحروف العائدة مرة أخرى أو مرات .

إن هذه النظرة الصوتية المنفصلة إلى جرس الحرف في الكلمة ، وجرس الكلمة في الكلام ، وإلى صوت الكلام المعاد - لا يمكن أن تكون إلا فرضية الوقوع عند العالم بمعاني الألفاظ ، التي تجري هذه الدراسة عليها ، فإن

اللفظ ومدلوله غير مفترقين بعد العلم بالوضع أو إدراك قرينة المجاز ووجه العلاقة .

واللغة العربية في كثير من الكلمات تمثل المعنى بصوت الحرف، ونصور الخفة، والثقيل، والطول، والقصر، والخشونة، والنعومة، وغير ذلك من المفاهيم بجرس الكلمات . فالصوت والمعنى بذلك مقترنان .

فالدراصة لهذه الجزئية لا تعنى استقلال القيمة الصوتية عن غيرها من القيم الشمورية والدلالة الفكرية، بل هي متجاوبة معها تجاوب صوت المنشد مع سائر أصوات المنشدين وآلات الإنشاد في إلقاء نشيده ما، بحيث لا يعمى التأثير للواحد المنفرد، حتى إن بعض العلماء كابن تيمية (رحمه الله) يكاد يهمل دلالة المفرد، لعدم تعيينها إلا في التراكيب، موافقة للمعقول بالافطرة بما نسمع، حيث لا تلتقي اللغة مفردات، بل جملا وأساليب تعبير . يحدد نظمها على وجه دلالة كل مفرد في المجموع .

فاللفظ ما دام يراد به الحديث لابد من دلالاته على معنى في تركيب ما فوظ أو مقدر، ساعد جرسه على تمام الأداء أم لم يساعد، ويعلم أنه إذا كان ملحق ابن تيمية وأمثاله بمبعث تنبيه النقاد الغربيين لهذه الزاوية، أو إلهامها مجال للتوارد، لما لها من تأكيد واقعي في الأذهان بالتجارب .

إن عدم انفصالية العناصر في التجربة بالنسبة إلى وجودها، هو حقيقة مقررة، يظهر عنها رومستر يفور هاملتون على هذا الوجه الذي نقله إذ يقول :

« إن اعتبار التجربة كالأركان تتألف من أجواء يمكن فصلها افتراض أول، لاستغنى عنه أية نظرية موضوعية في الجمال، ولكنه افتراض كاذب،

فلا يتألف الكل العضوى من أجزاء ، ولا يمكن بناؤه من أجزاء ، ولكنه مركب من عناصر لا توجد منفصلة ، وإنما توجد فى هيئة واحدة ، مردها مبدأ حياة معين فى باطن الشيء ، وهكذا فالنجربة الجمالية هى كل عضوى ، مصدر الوحدة فيه نوع خاص من الاهتمام الجمالى ، (١) .

فالركب الكلامى ككل المركبات الممتزجة من مجموع عناصرها ، غير أن هذا التحليل يقرب إلينا أسس التأثير الناجم عن التقائها بنفسنا ، ولعدة الاتصال بينها يقول لانسون :

«... إن التحليل القوى ينتهى بنا إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من العناصر : الأصوات ، وتلك عناصر علم الأصوات ، والمفردات ، وتلك عناصر المعاجم ، وعوامل الصيغة ، وتلك عناصر النحو بمحضه الدقيق...» .

«... ومع ذلك فهى شديدة الاتصال بعضها ببعض ، حتى ليمكن اعتبارها دراسة لشيء واحد من جهات ثلاث ، وذلك الشيء هو اللفظ الصوتى مستعملاً فى الحديث ، ومع ذلك فإن صعوبات المنهج القوى لا تنتهى هند تعرفنا على هذه الأنواع الثلاثة التى هى الوحدات الأساسية فى اللغة ، ونعنى بها : الصوت ، واللفظة المفردة ، وعامل الصيغة ، (٢) .

وينقل روستر عن رتشاردز قوله :

«ولا يحدد الصوت ذاته طريقة تأثيره بقدر ما تحدها الظروف التى يدخل فيها هذا الصوت . هذه التوقيعات جميعاً مرتبطة بعضها ببعض الآخر

(١) الشعر والتأمل : ٦٣ .

(٢) منهج البحث فى اللغة : ٨٠ .

ارتباطا وثيقا . والسكلة الناجحة هي التي تستطيع أن تشبع هذه التوقيعات جميعاً في نفس الوقت، إلا أنه يجب علينا ألا نعزو إلى الصوت وحده ميزات تتضمن هذا العدد الكبير من العوامل الأخرى . ولا يعنى قولنا هذا أننا نقلل من أهمية الصوت في شيء ، فالصوت في معظم الحالات هو مفتاح التأثيرات الأخرى في الشعر ، (١) .

لأنه ببعض التحوير في الاتجاه يمثل نظرية النظم عند عبد القاهر ، الذي يؤمن بالقيمة كل القيمة في التماسك والانسجام ، ولا يهمل جانب اللفظ في تلك القيمة ولكنه لا يعزوها جميعاً إليه .

حقاً إن الصوت في معظم حالات لغتنا هو مفتاح سريع الدوران لوضوح الرؤية من وراء المسموع ، فالهياش بأوزانها وحروف الزيادة في الصيغ - وما هي إلا أصوات مكيفة بالحركة والسكون والمد - لها كبير الدخول في تصوير المعاني وتحديد المروق ، غير أنها مع هذا الدخول ، ومع القيمة الجمالية للصوت ، لا يمكن عد الصوت فيها - كما أسلفنا - عنصراً مستقلاً يأتي عن طريق الانتخاب الواعي في التجارب الفنية الكاملة ، التي يكون باعثها المثير الوجداني الغالب على الوعي ؛ إذ تأتي حينئذ دفعة واحدة ، كالسيل الذي يشق مجراه بقوة . قاسراً كل ما يعترضه في هذا المجرى على الخضوع لسلطانه .

ولأنما يتصور - ضرباً من الصور - أن يكون انتخاب اللفظ ذي الصوت الخاص دون آخر يمكن أن يدل - في الجملة - دلالة ، من صانع البيت من الشعر أو الفقرة من النثر ، يقف منها موقف البناء والهندسة بكثير

من وعيه إن لم نفل بكل وعيه ، مع قليل من الوجدان إن لم نفل مع فقد الوجدان .

وللى التجاوب الصوتى الذى يقع على التجربة من الغيب ، يشير القرطاجنى ، بعد سوقه وجوها من تحسين الكلام بتحسين الهيئات فيقول :

« ومنها أن تناسب بعض صفاتها ، مثل أن تكون إحداها مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات ، أو تتماثل أوزان الكلم ، أو تتوازن مقاطعها . ومنها أن تكون كل كلمة قوية الصلب لما يليها من الكلمة أليقها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها . وقد تقدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلمة وتكون مع ذلك متلائمة التأليف ، لا يدري من أين وقع فيها التلاؤم ، ولا كيف وقع ، ليس ذلك إلا افسدة وتشاكل يمرض فى التأليف ، لا يعبر عن حقيقته ولا يعلم ما كنهه ، إنما ذلك مثل ما يقع من بعض الألحان وبعض ، وبعض الأصباغ وبعض ، من النسبة والتشاكل ، ولا يدري من أين وقع ، (١) .

ومعنى ذلك لا يتأتى إلا عن عمل خفى فى العقل الباطن ، الذى يعمل ونحن فى غفلة عنه ، فتتسق فيه الكيفيات انساقاً يمكن الخيال من جذبها إلى اللسان أو القلم عند الإحساس بالمشير والحاجة إلى التعبير ، وإلا فن أين تأتى للمرئىل المفاجأ بموقف ما بلاغة خطبة قصيرة أو طويلة ، لو أعطيناهما حقهما من النقد التحليلى لوجدنا العجب العاجب الذى يفوق منعة المتصنع فى كثير من الأوقات ؟

ومهما يكن من شأن ، فإننا نعيد على الإجمال قولنا : إن القيم الصوتية

لجرس الحروف أو الكلمات عند التكرار ، لا تفارق القيمة الفكرية والشمورية المعبر عنها ، ومثير هذا التطريب لتكرير الحرف أو الكلمة - غالبا - هو حب امتلاك الكلام بإيقاعه قلب السامع ، وهذا المثير قد يتحقق له المرتجى بطريق مباشر هو طريق الصنعة ، أو غير مباشر في أسمى التجارب الفنية الأدبية ، عند كمال النضج في الجانب المحجوب خلف بؤرة الشعور من رأس المبدع ، وقد يكون مرجع هذا النضج محاولات من الصنعة في المبدأ ، مازالت تتكرر حتى انطبعت على لوح الخيال منها المتجانسات ، فصارت كأنها للنفس طبع جديد ، ورب جد جره اللعاب .

المبْتَدِئُ لِلتَّكْرِيرِ

المبْتَدِئُ لِلتَّكْرِيرِ إِذْنٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، إِمَّا أَنْ يَمُودَ عَلَى الْإِيقَاعِ ، وَإِمَّا أَنْ يَمُودَ عَلَى مَوْضُوعِهِ . وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَخْلُو أَحَدُهُمَا عَنْ اقْتِرَانِهِ بِصَاحِبِهِ ، وَلَعَلَّ هَذَا النَّظَرُ هُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الْبَدِيعِيِّينَ مَحْسَنَاتِهِمُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا التَّكْرِيرُ عَلَى مَا هُوَ لَفْظِي وَمَا هُوَ مَعْنَوِي ، فَقَدْ جَعَلُوا (الْإِرْصَادُ أَوِ الْقَسِيمُ) ، مِثْلًا مِنْ الْمَحْسَنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَهُوَ حَاصِلُ بِحُرُوفٍ مَكْرُورَةٍ عَائِدَةِ الصَّوْتِ ، فَلَمَّا جَرَّهَا الْمَسْمُوعُ ، وَلَكِنَّهُ كَالْمَقْفُولِ عَنْهُ . كَمَا جَعَلُوا مِنْ أَخْمَسِ الْمَعْنَوِي (الْمَشَاكَاةُ) وَشَأْنَهَا فِي التَّكْرَارِ شَأْنَ (الْإِرْصَارِ) .

وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ عَمُوا (الْجِنَاسُ) مَحْسِنًا لَفْظِيًّا جَاهِلِينَ فِي مَقْدَمَةِ النَّظَرِ الْإِعْتِدَادَ بِالصَّوْتِ ، مَعَ مَا فِي الْجِنَاسِ مِنْ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى بِالْمِثَالَةِ عَنْهُ فِي إِبْدَاعٍ وَلَطْفٍ

وَالْحَقُّ كَمَا — أَسْلَفْنَا — أَنَّ كُلَّ حَسَنِ يَمُودُ عَلَى الْفَلِظِ هُوَ ذَاتُهُ عَائِدٌ عَلَى مَعْنَاهُ ، وَكُلَّ حَسَنِ يَمُودُ عَلَى الْمَعْنَى هُوَ ذَاتُهُ عَائِدٌ عَلَى لَفْظِهِ ؛ إِذَا الْحُرُوفُ وَمَعْمُونُهَا مَعًا هُمَا الْفَلِظُ ، غَيْرَ أَنَّنَا مَعَ نَظَرَةِ الْإِثْنَيْنِيَّةِ الْمَقْتَرَعَةِ ، نَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَنْوَاعِ الَّتِي كَانَتْ لِلتَّكْرِيرِ فِيهَا نَصِيبٌ أَوْفَرُ مِنَ الصَّوْتِ ، وَالَّتِي كَانَتْ لَهَا فِيهَا كِبِيرُ الْأَثَرِ عَلَى الْمَعْنَى ، رَاطِبِينَ بَيْنَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْأَسْلَوِيَّةِ الرِّقِيقَةِ وَفَنُونِ الْقَوْلِ ، الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْمَثِيرَاتُ فِي الْغَالِبِ اقْتِعَالَاتِ النَّفْسِ مَعَ الْمَوَاقِفِ ، وَهِيَ الْمَقَامَاتُ الْخُصَائِيَّةُ ، الَّتِي عَزَى إِلَيْهَا شِعْرُنَا الْفَنَائِي وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ ثَرٍّ بِحَمْلِ صَحَافِ الْعَمْرِ .

والمعنى لم نفس منذ بدأنا البحث ، أن مقصودنا بالتكرير هو إعادة اللفظ مطلقاً ، فيندرج تحت هذا العموم ما عده العلماء نوعاً من الإطناب . وما جرى على وجه التحسين في علم البديع ، وإن كان الجميع له باعث يحمل على التعبير به ، وأغراض ومقامات يكثُر فيها ويحسن .

التكرير على وجه الإطناب

إذا كان اللفظ مكرراً مثله السابق عليه وليس مناه غير معناه ، وإنما كرر تقريره بالتاكيد - عد العلماء ذلك التكرير إطناباً ، وهذا المفهوم هو مقصودهم عند إطلاق اللفظ ، ولا يخلو كتاب تناول موضوع الإطناب من عده في الأنواع المندرجة تحته ، وهو بذلك من فروع علم المعاني ، كما لا يخلو باب التأكيد في كتاب نحوى من عده في المؤكدات ، ولا هذا الباب من كتب علوم القرآن والأصول التي تناولت سنن العرب في كلامها من بيان وجه التعبير به والحاجة إليه ، ولذلك أحببت أن أشير إليه هنا إشارة مسبقة ، قبل الحديث عنه في مكانة من ذكر الأنواع التي معتمداً عليها تكرر اللفظ ، لأجل بيان الأسباب التي حثت هؤلاء جميعاً على الحفاوة به خاصاً وعاماً ، إطنابياً وغير إطنابياً ، في فقرة واحدة أوفى بمجموع كلام أو كتاب .

السبب الأهم

هذه الدراسة فضلاً على أنها لظاهرة أسلوبية تستحق الحفاوة لذاتها ، كان من أكبر الحوافز إليها ما أوجّه على القرآن المجيد من طعن بكثرة التكرار فيه ، وذلك ممن يجهلون موازنة التكرار للفترة أولاً ، وأن له وظيفة مزدوجة الأداء ثانياً ، تحمل مع التوثيق للبعث ودفع المساهلة في القصة إليه ، قيمة صوتية وفنية تزيد القلب له قبولا ، والوجدان به تعلقاً ، ومن هذه الوجهة اتصلت تلك الدراسة عن قرب بمسائل الإعجاز البهاني للقرآن .

ولما كان مدار الحديث حول هذا السبب ، والقرآن كما قال الله فيه :

« والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تسفلون » ، (٢ ، ٣ : الزخرف) .

« فإنما يسرفاه بلسانك لعلهم يتذكرون » ، (٥٨ : الدخان)

كان حديث العلماء على اختلافهم في التكرير ، دائراً على محور أبلغية تلك الظاهرة ، بيان لداعى إلى وجودها ، والاستشهاد لها من مآثور اللغة التي بها نزل الكتاب المبين ، بلجلاء عن اتصالها الوثيق بهذا اللسان ، حتى رأيتهم لانحداد المستشهد به ، يكادون يتفقون على المنقول منه ، فترى الأمثلة في كتاب المتأخر ما استشهد به المتقدم .

والقرآن في ذاته أعلى من أن يدافع عنه ذوهه ، وما أصدق أن ينطبق على هذا الموقف منه قول ابن المنفع : « إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم بما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فإنهما لا يرضيهما شيء ، وأما الجاهل فلست منه وأيس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال : رضا الناس شيء لا ينال (١) .

ولكن الفائدة التي لا تنكر لحديث العلماء في ظواهر الأساليب ، هي نقل هذه القيم من جبل إلى جبل ، تذكيراً بها وحفظاً لأصالتها ، ومحاولة لبقاء انطباع أبناء هذا اللسان بطابعه ، حتى لا تبعد المسافة بين الأجداد والأحفاد ، فيصبح القديم متحفاً للآثار ، ويصبح الجديد نافعاً عنه متعالياً عليه .

الملاحظ ٢٥٥ ت

ومن أوائل المتكلمين في التكرار وترديد الألفاظ صاحب (البيان والتبيين) الذي كان تكرر اللفظ من أظهر سمات أسلوبه ، فلا تقرأ فصلاً من فصول كتبه إلا طالعك بهذه السمة ، فيقول - مثلاً - وهو يذكر العمائم والأزياء .

« وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقاة عمة ، وللأعراب عمة ، وللصوص عمة ؛ وللأبناء عمة ، وللروم والنصارى عمة ... »

ولكل قوم زى ، فلقضاة زى ، ولأصحاب القضاة زى ، وللشرط زى وللكتاب زى ، ولكتاب الجندي ... »

« وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنة ؛ ومنهم من يلبس الدراعة ، ومنهم من يلبس القباء ، ومنهم من يلبس البازيكند ... » (١)

ومن حديثه عن التكرير قوله :

وليس التكرار عيباً مادام لحكمة كتقرير المعنى ؛ أو خطاب النبي أو السامع ، كما أن تردد الألفاظ ليس بعي مالم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث . وهذا القرآن قد رددت قصة موسى ، وهود ، وهارون ، وشعيب ، وإبراهيم ، ولوط ، وعاد ، وثمود ، كما ردد ذكر الجنة والنار وغيرهما ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غفلة ؛ أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب ،

وفي هذه المبارات يبان الأمر الداعى إلى التكرار والترداد والضابط
المفرق بين ما يكون منه عيا وما يكون بلاغة ، كما فيه إعلان سبب الترويد
القرآنى للقصاص والأخبار ، ثم إنه يرى تحديد المواقف الباعثة على التكرار
أمرأ عسيراً ، فيذكره ويعمل لعمره بقوله :

« وضبط الحاجة إلى الترداد والتكرار غير ممكن ، لأنه أمر يتصل
بأقدار المستمعين ، ومن يحضر الحديث من العامة والخاصة ، (١) »

ويترك هذا الضابط لبصر المتكلم بالمقام فيقول في صفة الكلام :
« وإنما ينبغي للمتكلم أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاظه ، ولا يردد
وهو يكتفى في الإفهام بشرطه (٢) فما فضل على المقدار فهو الخطأ ،
ويأتى شبيه هذا الذى أدلى به فى كتابه (الحيوان) فى كتابه (البيان
والتبيين) حيث يقول :

« وجلة القول فى الترداد أنه ليس فيه حد ينتهى إليه ، ولا يؤتى
على وصفه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوام
والخواص ... »

« وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد
المعاني عيا ، إلا ما كان من النخار بن أوس العنبرى ، فإنه كان إذا تكلم
فى الحالات ، وفى الصفح والاحمال ، وصلاح ذات البين ، وتخويف
الفریقین من التفانى والبدار - كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل
والتخويف وربما حمى فنخر ، (٣) .

(١) الحيوان ١ : ٩١ .

(٢) نفسه : ١ : ٩١ .

(٣) البيان والتبيين : ١ : ١٠٥ .

وهو هنا يربط التردد بالمثير النفسى والغاية النفسية أيضاً ، فإن التكرير فى أعلى صورته انبعاث وجدانى يفيض على السامع حرارة يتحرك لها قلبه ، وإلا كان صورة باردة تفقد نبض الحياة .

ويؤكد الجاحظ على وجوب الحذر فى استعمال هذا الأسلوب إلا عند مقتضاه ، وعلى القدر اللائق به ، فيذكر من قصصه ما فيه إشارة لطيفة إلى ذلك ...

ويحكى عن ابن السكك أنه جعل يوماً يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه ، (١)

ويذكر فى مقام السخرية من تكرار المعنى هذه الطرفة .

قال ابن بشار البرقى : كان عندنا واحد يتكلم فى البلاغة ، فسمعتة يقول : لو كنت ليس أنا ، وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه ، فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه ، (٢) .

ويذكر من التكرير المحسن فى مقام المدح ما اهتز له قلب الممدوح فأحسن الصلاة حتى حمد المادح من كان فى مجملته .

قال : د أخبرنى إبراهيم بن السندى قال : دخل العمادى الراجر على الرشيد لينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكور ، وخفان دمايقان قال إبراهيم

(١) البيان والتبيين : ١ : ١٠٤

(٢) نفسه : ٢ : ٣١٥

قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وتزيا بزي الأعراب فانشدته ثم دنا
فقبل يده ثم قال :

يا أمير المؤمنين قد واثقه أنشدت مروان ، ورأيت وجهه وقبلت يده ،
وأخذت جائزته . وأنشدت يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ، ورأيت
وجوههما ، وقبلت أيديهما ، وأخذت جوائزهما . وأنشدت السفاح ،
ورأيت وجهه ، وقبلت يده ، وأخذت جائزته . وأنشدت المنصور ، ورأيت
وجهه ، وقبلت يده ، وأخذت جائزته . وأنشدت المهدي ، ورأيت
وجهه ، وقبلت يده ، وأخذت جائزته . وأنشدت الهادي ، ورأيت وجهه ،
وقبلت يده ، وأخذت جائزته . هذا إلى كثير من أشباه الخلفاء ، وكبار
الأمراء والسادة والرؤساء . ولا والله إن رأيت فيهم أبهى منظرًا ،
ولا أحسن وجهًا ، ولا أنعم كفاً ، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين
ووالله لو ألتقي في روعي أني أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت .

قال : فأعظم له الجائزة على شعره ، وأضعف له على كلامه ؛ وأقبل
عليه ببسطه حتى تمنى - والله - جميع من حضر أنهم قاموا ذلك
المقام (١)

ابن قتيبة (ت ٢٧٦)

في كتاب «تأويل مشكل القرآن» ، يقول ابن قتيبة (١) :

«وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها : طرق القول وما أخذه ،
ففيها الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ،
والتكرار . . . مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز إن شاء
الله تعالى ،

فتراه ما هنا يعد التكرار طريقاً وماخذاً من طرق القول وما أخذه ،
وهي أساليبه وخصائص تعبيره التي تقتضيها مقاماته . ثم يذكر بعد سرد
ما سرد منها مكان الاهتمام لديه فيقول : «وبكل هذه المذاهب نزل
القرآن» .

وقد حدثنا عن باعث تكرار أخبار القرآن وقصصه ، فذكر
نزل القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة ، وعدم حفظ الكثيرين من
الصحابة والمسلمين للقرآن كله ، وتلقى بعض الوفود بعضاً منه دون
بعض ، . .

«وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام ، فيقرئهم
المسلمون شيئاً من القرآن ، فيكون ذلك كافياً لهم :

وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلو لم تكن الأنبياء
والقصص مثناة ومكررة ، لوفعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى
قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم .

فأراد الله بلفظه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ،
ويلقها في كل سمح ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام
والتحذير . .

ثم بين الفارق بين القصص والأحكام الواجب عليها أجمع ، فقال :
« وليست القصص كالفروض ؛ لأن كتب رسول الله ﷺ كانت تنفذ
إلى قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة وعددها وأوقاتها ، والزكاة وسناتها ،
وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وهذا ما لا يُعرف كيفيته من
الكتاب ، ولم تكن تنفذ بقصة موسى ، وعيسى ، ونوح ، وغيرهم
من الأنبياء ، وكان هذا في صدر الإسلام قبل إكمال الله الدين ،
فلما نشره الله عز وجل في كل قطر . . . وجمع القرآن بين
الدينين ، زال هذا المعنى ، واجتمعت الأنبياء في كل عصر وعند
كل قوم . .

تكرار الكلام من جنس

أما التكرار بغير ثنية القصص والأخبار ، وهو الأقرب إلى
موضوعنا ، فيرد ابن قتيلة ما وقع منه في القرآن ، إلى ما عرف من
سنن العرب .

يقول : « وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجرى عن
بعض : كتكراره في : « قل : يا أيها الكافرون ، وفي سورة
(الرحمن) بقوله : « فبأى آلاء ربكما تكذبان ، فقد أعلنتك أن
القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار ، إرادة

التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار ؛ إرادة التخفيف والإيجاز وقد يقول القائل في كلامه : والله لا أفعله ثم والله لا أفعله ، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أن يفعله . . .

قال الله عز وجل : دكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، وقال : د فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ، وقال : د أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ، . . .

كل هذا يراد به التأكيد للمعنى الذى كرر به اللفظ ، وضرب ابن قتيبة المثل لسنة العرب فى ذلك ، والتى عليها جرى القرآن بأقوال منها :

• كم نعمة كانت لكم كم كم لكم .

• هلا سألت جموع كندة يوم ولوا : أين أبنا :

• وكادت فزارة نصلى بنا فأولى فزارة أولى فزار

ثم عاد ليبين بالقياس على الرغبة منهم فى تأكيد تلك الممانى ، رغبة القرآن تأكيد مدلول المكرر على وجه أولى ، فقال : دولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذى أنزلت فيه : دقل : يا أيها الكافرون ، لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون ، ليعبدوا ما يعبد ، وأبدأوا فى ذلك وأعادوا ، فأراد الله عز وجل حسم أطماعهم ، ولم كذاب ظنونهم ، فأبدأ وأعاد فى الجواب ، وهو معنى قوله : دودوا لو تدهن فيدهنون ، (١) .

وعلى هذه الشاكلة مضى يقرر وجه التأكيد الذى اقتضى ظاهرة التكرار ، ليقاس عليه مثله .

أبو سليمان الخطابي (ت ٥٣٨ هـ)

وفي هذا الاتجاه من الدفع عن القرآن بقول الخطابي :

« وأما ما عابوه من التكرار فإن تكرار الكلام على ضربين : أحدهما مذموم ، وهو ما كان مستغنى عنه ، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول ؛ لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ، وليس في القرآن شيء من هذا النوع .

والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة ، فإن ترك التكرار في الموضوع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه ، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار . .

وهو بذلك يسوى بين الإيجاز والإطناب في الحسن واللزوم متى اقتضى أحدهما مقامه ، وفي الذم ووجوب الترك إذا جاء خارجا عن المقتضى .

ويذكر الخطابي البواعث النفسية الموجبة للتكرار فيقول :

« وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة ، التي قد تعظم العناية بها ، ويخاف بتركها وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها . .

فالاهتمام ، وخوف وقوع الغلط أو النسيان أو الاستهانة ، علل نفسية تدعو إلى التأكيد بإعادة لفظ ما بهتم به ويخاف عليه .

ويضرب لها الأمثال بنص ما قالوا أو بفريق منه : « وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على العمل : عجل عجل ، وأرم أرم . (٧ - التكرار)

كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور المكتب : مهم مهم مهم ، ونحوها من الأمور ، وكقول الشاعر :

هلا سألت ربوع كندة يوم ولوا : أين أننا ؟

وقول الآخر :

يا بكر أنثروا لي كلبا يا بكر أين أين الفرار

ثم يعقب بأمثلة من القرآن قام فيها التكرار على ذلك الباعث ، منها قوله تعالى : د فبأى آلاء ربك أن تكذبان ، من سورة (الرحمن) ود ويل يومئذ للمكذبين ، من سورة (المرسلات) (١) .

ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)

وابن فارس في كتابه (الصحاحي) الذي بين فيه سنن العرب في كلامها يقول :

« ومن سنن العرب التكرير والإعادة لإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالآمر ، كما قال :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حبالى

فكرر قوله : « قربا مربط النعامة منى » ، في رموس أبيات كثيرة ؛ عناية بالآمر ، وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير ، وكذلك قول (الأشعر) :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى يقول نساؤهم هذا فتي

فكرر هذه الكلمة في رموس أبيات على هذا المذهب ، وتكرير من كور :

مهلا بنى عننا مهلا موالينا

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ٤٧ - ٤٩

قال علماءنا : فبلى هذه السنة جاء مافى كتاب الله جل ثناؤه ، من قوله :
« فبأى آلاء ربكما تكذبان ، » .

ويختار ابن فارس من وجوه التعليل لتكرار قصص القرآن وأخباره
وأبأله وجأته فيقول : « فأما تكرير الأنباء والقصص فى كتاب الله
جل ثناؤه ، فقد قيلت فيه وجوه ، وأصح ما يقال فيه :

إن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله
آية أصح إنبوة محمد (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) ثم بين وأوضح الأمر
فى عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة فى « واضح » لإعلاما أنهم عاجزون عن
الإتيان بمثله بأى نظم جاء ، وبأى عبارة عبر ، فهذا أولى ما قيل فى هذا
الباب ، (١) .

ابن جنى ت ٣٠٢ هـ

لابن جنى فى خصائصه (باب فى الاحتياط (٢) يقول فى مسئله :
« لعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له ، فمن ذلك
التوكيد وهو على ضربين :

أحدهما تكرير الأول بلفظه ، وهو نحو قولك : قام زيد قام زيد ،
وضربت زيدا وضربت ، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، والله أكبر
الله أكبر . وقاله :

إذا التباز ذو العضلات قلنا إليك إليك ضاق بها ذراعا

(١) الصحاحي : ١٧٧

(٢) الخصائص : ٣ : ١٠١

وقال :

وإياك إياك المرء فإنه إلى الشر دعاء وللشر جالب

وقال :

إن قوما منهم عمير وأشباهه • عمير ومنهم السفاح
لجديرون بالوفاء إذا قا ل أخو النجدة : السلاح السلاح

وقال :

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وقال :

أبوك أبوك أربد غير شك أحلك في المخازي حيث حلا

وقال :

فأين إلى أين النجاة ببغلتى أذاك أذاك اللاحقون احبس احبس
« وهذا الباب كثير جدا ، وهو في الجمل والآحاد جميعا ، .

أما الضرب الثاني فهو تسكير الأول بمعناه ، وقد أطل في أمثله كما صنع
في هذا الضرب .

وهذه الآيات التي ذكرها أبو الفتح ، تشير بذاتها إلى الاهتمام بالباطن
للتسكير على وجه التأكيد ، فقد جاءت في مقامات : الفخر ، فالوعظ ،
فالمدح ، فالإغراء ، فالهجاء ، فالتوبيخ ، وكلها خطابي يقوم على أساس من
انفعال النفس ، ولتصوير هذا الانفعال بالتسكير أثر في السامع يزيده
اهتماما بمذلول ما يسمع .

أبو هلال العسكري ٥٢٩٥

من ملاحظة أبي هلال لما بدأ به الجاحظ ، أن الحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، وأن الإطناب إذا لم يكن منه بد لإيجاز (١) ، وقد فرق بينه وبين التطويل الذي هو من العي الخلوه عن الفائدة ، وذكر عدة مقامات يحمل بها الإطناب : كالكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة ، والفتوح الجليلة ، وتفخيم النعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة ، والنهي عن المعصية .

ومن هذه المقامات الموعظة ، والخطابة في الصلح ، والمدح .

وزاء يمثل لذلك الإطناب اللازم بأمثلة التكرير فيقول :

« والموعظة كقوله تعالى : « أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، (٩٩ : الأعراف) فتكرير ماكرر من الألفاظ هنا في غاية الحسن (٢) . »

« وكلام الفصحاء إنما هو مشوب بالإيجاز بالإطناب ، والفصحى العالى بما دون ذلك من القصد المتوسط ، ليستدل بالقصد على العالى ، وليخرج السامع من شيء إلى شيء ، فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته ، فيصرفه في وجوه الكلام : لإيجازه ، وإطنابه ، حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع .

وقد جاء في القرآن وفصحى الشعر منه شيء كثير .

(١) الصناعتين : ١٨٥ ط صبيح .

(٢) الصناعتين : ١٩٠ .

ثم يأتي بالكثير مما مثل به السابقون، ولا ينسى أن يشير إلى المثلث النفسى
فى تكرير الحارث بن عباد :

قربا مربوط النعامة منى .

وتكرير مهمل بن ربيعة :

على أن ليس عدلا من كليب .

فيقول : وهذا لما كانت الحاجة إلى تكريرها ماسة ، والضرورة إليه
داعية ، لعظم الخطب وشدة موقع الفجعة . فهذا يدل على أن الإطناب فى
موضعه عندهم مستحسن كما أن الإيجاز فى مكانه مستحب ، على أن أبا هلال
مع ذلك ينهى عن تكرار الكلمة الواحدة فى كلام قصير ، ويمثل له بما كتب
سعيد بن حميد : ومثل خادمك بين يديه ما يملك . فلم يجد شيئا يفي بحقك ، ورأى
أن تقرظك بما يبلغه اللسان — وإن كان مقصرا عن حقك — أبلغ
فى أداء ما يجب لك ، فكرر ذكر الحق مرتين فى مقدار يسير .

قال صاحب صبح الأعشى : على أن أبا جعفر النحاس قد ذكر فى (صناعة
الكتاب) أن ذلك ليس بمعيب عند كثير من أهل العربية ، وهو الحق ، فقد
وقع مثل ذلك من التكرير فى القرآن الذى هو أفصح كلام وأتق نظام ، فى
قوله تعالى : « والسماء رفعها ووضع الميزان . أن لا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، (٩ : الرحمن) فكرر ذكر الميزان ثلاث
مرات فى مقدار يسير من الكلام ، وأمثاله فى القرآن كثير (١) .

ومع مانهى عنه من ذلك الاستعمال أبو هلال ، أباح التكرار الممنوى
بديلا منه ، وقد استقبحه غيره كابن الأثير ، الذى تعقب أبا إسحق الصابى
يعيبه بمثل هذا الترادف فى كتابه (المثل السائر) والذى يقرأ أمثلة العسكرى

التي يؤيد بها ظاهرة التكرير، يرى الكثير منها تكراراً للفظه واحدة، ومنها ما ترددت فيه الكلمة ست مرات كقول الشاعر :

كم نعمة كانت لكم كم كم وم كانت وم

والمكرر هذا العدد كله مفرد، وهو (كم) الخيرية، كما أن المكرر في البيت التالي مفرد، وهو (أين) الاستفهامية :

هلا سألت جموع كنسدة يوم ولوا أين أين

ابن سنان الخفاجي ٤٦٦ هـ

يعد ابن سنان تكرير الحروف والكلام في ضروب الفصح، فيقول في وسط كلام له: «وإذا ثبت ما ذكرناه فقد بان أن تكرار الحروف والكلام يذهب بشطر من الفصاحة، وقد كان بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى
مى ومى مالمته لمته وحدى

تكرر حروف الحلق، على سلامة المعنى واختيار اللفظ .

فأما قول أبي الطيب :

العارض الهمتن بن العارض الهمتن بن العارض الهمتن
فن أقبح ما يكون من التكرار وأشنعه، وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج، فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع (١) .

غير أنه يعتمد للتكرار الذي لا يستغنى عنه بناء الكلام لعدم تمام المعنى
إلا به ، كقول أبي الطيب :

وأنت أبا الهيجا بن حمدان يابننه تشابه مولود كريم ووالده
و حمدان حمدون ، و حمدون حارث
و حارث لقمان ، و لقمان راشد

قال : « فليس هذا التكرار عندي قبيحا ، لأن المعنى المقصود لا يتم إلا
به ، وقد اتفق له أن ذكر أجداد الممدوح على نسق واحد من خير حشو
ولا تكلف ، لأن أبا الهيجا هو عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث
ابن لقمان بن راشد ، ولو ورد هذا الكلام نثرا لم يزد على هذه الصفة ، فلما
عرض في هذا التكرار معنى لا يتم إلا به سهل الأمر فيه ، وكان البيت مرضيا
غير مكروه . وعلى ذلك يجب أن يحمل كل تكرار يجري هذا المجرى (٢) . »

وهذا الضابط لقبول التكرار أخرج من المعيب قول القائل :

ولولا دموعي كتمت الهوى
ولولا الهوى لم يكن لي دموع

وقد ساق في المعيب أمثلة لا يرى غيره فيها رأيه كقول أبي الطيب وقد
أحسن الكنايات :

لك الخير ، غمري رام من غيرك الغنى
وغيري بغير اللاذقة لاحق

وقول امرئ القيس :

ألا لئن بال على جمل بال يقوده بنا بال ونبعنا بال

(٢) نفسه : ٩٥

(١) نفسه : ٩٩

قال: وهو لعمرى فيح (٢) .

كما يرى ابن سنان قبح تكرير الحروف الرابطة ، وإن اختلفت ألفاظها ، وذلك لأنها جنس واحد ومشاركة فى المعنى ، وإن تميزت فائدة بعضها من بعض . يؤيد رأيه هذا برأى قدامة فى إنكار تكرار الحروف الرابطة ، إلا أنه يذكر سهولة الخطب ، عندما يفصل بين الحرفين بالفاصل (٣) .

ثم يذكر ابن سنان شيوع ظاهرة التكرار فى شعر عصره ونثره ، على جهة ولع الشعراء والكتاب به ، والانسكاء عليه خصيصة يعمدون إليها من خصائص التعبير اليبانى ، وهذا الذى أنكرناه من تكرار الألفاظ فن قد أولع به الشعراء والكتاب من أهل زماننا هذا حتى لا يكاد الواحد منهم يغفل عن كلمة واحدة فلا يعيدها فى نظمه أو نثره . ومتى اعتبرت كلامهم وجدته على هذه العفة ، وما أعرف شيئاً يقدر فى الفصاحة وينض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه وصيانة نسجه عنه . (١) .

وربما أحس ابن سنان بالإغراق فى هذا التقييع ، فعاد يستثنى فى قوله : « وقلبا يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب من استعمال ألفاظ يديرها فى شعره ، حتى لا يخل فى بعض قصائده بها ، وربما كانت تلك الألفاظ مختارة يسهل الأمر فى إعادتها وتكريرها إذا لم تقع إلا موقعها ، وربما كانت على خلاف ذلك » .

ويرى ابن سنان أن دوران ألفاظ معينة فى أدب الأديب بعامه — وإن

(٢) نفسه : ٩٦

(٣) سر الفصاحة : ٩٧

(١) نفسه : ٩٨

لم يكن محموداً عنده - أصلح من التكرار فى القصيدة الواحدة أو البيت الواحد (١) .

ولانسكر على ابن سنان كراهة التكرير الحالى عن الفائدة ، والذي لا يدعو إليه المقام ، ولكتنا نرى اختلاف الآذواق فى تقدير تلك الفائدة وتحديد هذا المقام ، ولهذا نرى المردود من الأمثلة عند بعضهم مقبولا ومحموداً عند الآخرين ، مُعَالِلاً لِحُسْنِهِ والدفاع عنه ، والعرض لأفكار ابن الأثير الآتى نموذج لاختلاف التقدير .

ابن رشيق ٤٥٦ هـ

قسم ابن رشيق التكرار ثلاثة أقسام (٢) : تكرار اللفظ دون المعنى ، وهو الأكثر ، وتكرار المعنى دون اللفظ ، وهو الأقل ، وتكرار اللفظ والمعنى ، وقد حكم عليه بأنه « الخذلان بعينه » .

وابن رشيق يذكر للتكرير مواضع يحسن فيها وأخرى يقبح فيها ، فيذكر مع الأمثلة من مواضع الحسن :

التفوق والاستعذاب ، والتنويه بالمكرر فى المدح تفخيماً له ، والتقدير ، والتوبيخ ، وتكثير المحكى عنه ، والوعيد والتهديد فى عتاب موجه ، والثناء ، وهو أولى ما تكرر فيه الكلام . . . لمكان الفجعة وشدة القرحة التى يجدها المتفجع ، كما يحسن فى الاستغاثة وهى فى باب المديح ، ويقع فى الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالهجو ، كما يقع على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص .

(١) سر الفصاحة : ٩٨

(٢) الصمد : ٢ : ٧٢ ،

وكلامه واختياره للتطبيق سديد، غير أن القسم الذي عده الخذلان بعينه، وهو ما تكرر فيه اللفظ والمعنى، منه ما هو جيد مستطاب، على الوجه الذي عرفناه في كل ما سبق، وعلى ما مثل به ابن رشيق نفسه في كثير من أمثاله، وآية ذلك قوله: «ومن ملبح هذا الباب ما أنشدني شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن المعتز، وهو قوله:

لساني لسرى كسوم^١ كسوم^٢ ودمعي بحى نوم^٣ نوم^٤
ولى مالك شغنى حبسه^٥ بديع^٦ الجمال وسيم^٧ وسيم^٨
له مقلتا شادن^٩ أحور^{١٠} ولفظ^{١١} سحور^{١٢} رخيم^{١٣} رخيم^{١٤}
قدمى عليه سجوم^{١٥} سجوم^{١٦} وجسمى عليه سقيم^{١٧} سقيم^{١٨}

وقد ذكر أبيات ابن الزيات يوجب تكرار لفظ «التصابي» فيها قائلا: «فلأ الترنيا بالتصابي، على التصابي لعنة الله من أجله، فقد برد به الشعر...» وأين هذا من تكريره على جهة التفخيم في قوله للحسن بن سهل من قصيدة:

إلى الأمير الحسن استجدتها^{١٩} أى مزار^{٢٠} ومناخ^{٢١} ومحل^{٢٢}
أى مزار^{٢٣} ومناخ^{٢٤} ومحل^{٢٥} لخائف^{٢٦} ومستريش^{٢٧} ذى أمل^{٢٨}
وهذا كقول امرئ القيس.

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة^{٢٩} وشيزرا^{٣٠}
عشية جاوزنا حماه^{٣١} وشيزرا^{٣٢}
أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا^{٣٣}

فهذه الأمثلة مما أتى التكرير فيه لالفاظ والمعنى جميعاً، وقد حكم بملاحقة الأول، وجعل الثانى والثالث على الطرف النقيض لأبيات ابن الزيات التى لعن التصابي فيها لكثرة تكراره.

أنعزف أم تقيم على للتصابي فقد كثرت مناقلة المتاب

إذا ذكر السلو عن التصابي نفرت من اسمه فقر الصواب
وكيف يلام مثلك في التصابي وأنت فتى المجانة والشباب
سأعزف إن عزفت عن التصابي إذا ملاح شيب بالغراب
ألم ترني عرفت عن التصابي فأغرستني الملامة بالتصابي

بل إنه عد المعجز في باب التقرير والتوبيخ قوله تعالى... فبأي آلاء
ربكما تكذبان، وهو من المكرر لفظه ومعناه. ترى ماذا كان يريد بقوله:
فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك هو الخذلان بعينه، ؟

مع ابن الأثير ٦٣٧ هـ

عرفنا - قبل - رأى ابن الأثير في التكرير الحرفي، وأما تكرير
الألفاظ والمعاني (١) فهو عنده من مقاتل علم البيان لدقة مأخذه، ووحده:
هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً، ولقد سار ابن الأثير على منهج قسم فيه
التكرير إلى ما يوجد في اللفظ والمعنى، وما يوجد في المعنى دون اللفظ،
ثم قسم كلا منهما إلى مفيد وغير مفيد، فصارت الأقسام لديه أربعة:

أما المفيد من التكرير (فهو) يأتي في الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من
أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ الذي كررت فيه كلامك،
لما مبالغة في مدحه، أو في ذمه، أو غير ذلك.

والمفيد من تكرير اللفظ والمعنى فرهان:

أولها - ما يدل على معنى واحد المقصود به غرضان مختلفان، وقد
مثل له بأمثلة منها قوله تعالى: «وإذ يبعدكم الله لإحدى الطائفتين أنها لكم
وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق

(١) ينظر الباب في الجامع الكبير: ٢٠٤ - والمثل السائر: ١: ٢٣٢.

الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليُحقِّق الحقَّ ويُنْطِلَ الباطل ولو كره المجرمون ، (٨ : الأنفال) .

هذا تكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله : « بحق الحق ، ود ليحق الحق ، إنما جى . به هنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأولَ تمييز بين الإرادتين ، والثاني بيان لغرضه فيما فعلَ من اختيار ذلك الشوك على غيرها ، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض ، .

وقد ختم حديثه في هذا الفرع بقوله : « وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض ، ، وبه تُعرَفُ مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره . فافهمه - إن شاء الله . .

وثانيهما : « إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد : كقوله تعالى : « قُتِلَ كيف قدر : ثم قُتِلَ كيف قدر ، (١٩ : المذثر) .

في التكرير دلالة التعجب من تقديره وإصابته الغرض ، وهذا كما يقال : قتل الله ما أشجمه ، أو ما أشعره ، وعليه ورد قول الشاعر :

ألا يا أسلى ثم أسلى تُمَسِّعَ أسلى

« وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلافة . وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد وإثباته ، وما يشيد بتكريره من هذا الضرب قول الحماسي :

إلى معدن العز المؤئل والندى

هناك هناك الفضل والخلق الجزل

« فقوله : « هناك هناك ، من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز ؛ لأنه في معرض مدح ، فهو يقرر في نفس السامع ما عند الممدوح من هذه الأوصاف المذكورة ، مشيراً إليها كأنه قال : أدرككم علي معدن كذا وكذا ومقره

ومفاده ، وأما غير المفيد من تكرير اللفظ والمعنى ، فلا يأتي في الكلام إلا عبثاً وخطلاً من غير حاجة إليه ، وقد مثل له بأمثلة منها قول مروان الأصغر :

سقى الله نجداً ، والسلام على نجد
وياحبذا نجد على النأى والبعد
نظرت إلى نجد وبغداد دونها
لعل أرى نجداً وهيات من نجد

قال : وهذا من النعسي الضعيف ، فإنه كرر ذكر نجد في البيت الأول وفي البيت الثاني ثلاثاً ، ومراده في الأول الثناء على نجد ، وفي الثاني أنه تلفت إليها ناظراً من بغداد وذلك مرمى بعيد ، وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير . أما البيت الأول فيحمل على الجائز من التكرير ، لأنه مقام تشوق وتحرق وموجدة بفراق نجد ، ولما كان كذلك أجز فيه التكرير ، على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معاً من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات ،

ونحن إذا وافقنا ابن الأثير على كراهة التكرير في باقي أمثله للخلو من الفائدة ، فلن نوافقه على فصل البيت الثاني عن مقام البيت الأول في هذا المثال ، لأنه مناط البيان والتقرير ، وهو منه في مكان التعايل ، وإذا كان البيت الأول تكرر فيه لفظ «نجد» دعاء ومدحاً ، فإجدر أن يتكرر لفظها تحسراً على فراقها ، وتحزناً لبعدها ، وتمكيناً لشخصها من وراء بغداد في عين قلبه ، ثم رجاء لرؤيتها في الواقع كما يراها في الخيال ، ثم أسفاً واستبعاداً للرجاء باستبداد الظروف وانقطاع الأسباب .

لقد نالت نجد من الشاعر ما نالت من غيره ، حتى ضرب بتكرار

حديثها المثل في قول العالمى واصفا مدحته لصاحب الزمان (١).

إذا رددت زاحات قبولاً كأنها
أحاديث نجد لا تمل بتكرار

ولا أعذب لقلب الواقع ولا أشقى من حروف اسم محبوبه ، بردها
حتى يقنع الوجد وتسكن النائرة ،

لذلك لا أرى قبح التكرار في قول الشاعر :

ألا طرقتنا بعدما هجموا هـند
وقد سرن خمسا واتلأب بنا نجد
الاحبذا هند ، وأرض بها هند
وهند أتى من دونها النأى والصد

ولا أرى قول أبى العلاء إلا فاصرا - لا مجاوزا حد القبول - كما يرى
أستاذنا صاحب (البلاغة الغنية) حين اعتذر أبو العلاء للشاعر فقال :
« من حبه لهذه المرأة لم يرتكرير اسمها عيبا ، ولأنه يجد للتلفظ باسمها
حلاوة ، (٧) فإن هذا التكرار في الرضا والغضب ، ما يزال مسموعا من
العامة كالحلاسة ، لأنه نتاج الفطرة عند انفعال النفس بالمثير . »

كما رد ابن الأثير على أبى نواس قوله :

أقنا بها يوما ، ويوما ، وثالثا ويوما له يوم القرحن خامس
قال : « ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، وباعجبا له باقى

(١) الكشكول : ٤٠٤ .

(٢) البلاغة الغنية : ١٩٧ - وسر الفصاحة : ٩٥

يمثل هذا البيت السخيف الدال على العى الفاحش فى تلك الآيات العجيبة الحسن ... ، ولست أرى رأيه هذا ، ولا رأى النقاد الذين شاركهم ، فما كان أبو نواس حامل الذهن حين جعل هذا البيت فى قصيدته ، العجيبة الحسن ، كما يصفها ابن الأثير ، ولو أنه جمع الأيام كما فسروا مراده تفسيراً ناقصاً لما تحقق ما شاءه بتفريقها ، من الدلالة النفسية على إمتاع النفس بطول المقام ، فى دار النداء التى أقام ومحبه فيها هذه المدة ، فلو قال : « أقنأ بها يوماً سعيداً ، لكفى ، ولما طمع السامع فى أكثر منه ، ولكنه ما زال يزيده يوماً بعد يوم ، ليلأ خياله باتساع الظرف ، الذى حوى ما حوى من هذه المتعة التى قنصها مع الأحباب . بل أراه لو قال : « أقنأ بها شهراً ، لكانت الدلالة الشعورية بالتعبير أدنى من الدلالة بهذه الأيام المفرقة ، ولك أن تقيس هذا بوجدانك ، وأنت تقرأ البيت ، واقفا عند كل يوم ، وقفة معبرة .

وإذا اختلف مع ابن الأثير أو غيره تقديرى لبعض ما عابوه ، فقد اختلف ابن الأثير مع غيره إلى حد إسقاطه ، فدافع عن قول المتننى :

العارض الهتن بن العارض الهتن بن العارض الهتن بن العارض الهتن
الذى اشتد قبج تكراره عند ابن سنان .

قال ابن الأثير : « وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة ، أن أبا الطيب المتننى أتى فى هذا البيت بتكرير لا حاجة به إليه ...

وليس فى هذا البيت من تكرير ، فإنه كقولك : الموصوف بكذا وكذا : أى أنه عريق النسب فى هذا الوصف ، .

ثم نظر له بالحديث الشريف فى وصف يوسف عليه السلام : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ،

كما ناقش الواحدى وخطاه فى قياسه قول المتنبي :

فقلقله بالهم الذى قلقل الحشا
قلاقل عيش كلهن قلاقل

على قول الثعالبي :

وإذا البلابل أطربت بهديلها
فاقصف البلابل باحتساء بلابل

وصوب استقباح صاحب بن جاد تكرير المتنبي هذا ، والحق معه
فيت أبو الطيب قبيح التكرار ، إلا أن يكون أراد به السخرية والتشنيع
على تلك القلاقل .

ابن أبى الأصبع ٦٥٤ هـ

من العجب العاجب تعريف ابن أبى الإصبع للتكرار إذ تراه يقول :
« وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف ، أو المدح
أو الذم ، أو التهويل ، أو الوعيد ، (١) .
ومناط العجب حصره التكرار فى اللفظة الواحدة ، فإذا عساه أن
يسمى ما زاد عنها ؟ »

وأمثله ابن أبى الإصبع تطابق كلها تعريفه إلا إذا نظرنا للتداء فى
الثانى فإنه جملة ؛ وقد لا يكون داخل قصده وهى على التوالى :

لذم قول هيب بن الأبرص :

(١) تحرير النجبر : ٢ : ٣٧٥ .

هلا سألت جموع كنه دة يوم ولوا أين أين ؟

وفي التهديد والوعيد قول مهلهل :

يا بكر أنشروا لي كلبا يا بكر أين أين الفوار

وللمدح قول كثير في عمر بن عبد العزيز :

فأريج بها من صفقة لمبايع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

وفي النسيب وقد استلطفه جدا لبعض المحدثين :

يقن وقد قيل : إني هجعت عسى أن يلم بروحى الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو فقلت لمن : محال محال

قال وقد يحى التكرار بالأسماء المضمرات أو المبهمات ، كما يحى بالمظهرات ، كقول الهزلي .

رقوني وقالوا : يا خويلد لا ترج فقلت وأنكرت الوجوه م م

ثم مثل من القرآن للمدح بقوله تعالى :

« والسابقون السابقون أولئك المقربون » ، (١٠ ، ١١ : الواقعة)

« التهويل والوحيد بقوله :

« الحاقة ما الحاقة » ، (١ : الحاقة) :

وللاستبعاد بقوله :

« هيهات هيهات لما تعدون » ، (٣٦ : المؤمنون) .

ومن السنة بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن أم زرع

« أبو زرع وما أبو زرع » ، في معرض المدح .

هذا وقد حاول ابن معصوم أن يلم شعث الأسباب الداعية للتكرار

فذكر منها مع التمثيل الوافر :

التوكيد، وزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، والإيقاظ من سنة الغفلة ليكمل تلقى الكلام بالقبول ، وتذكر ما قد بعد بسبب طول الكلام ، وزيادة المدح ، والتعظيم ، والتلذذ بذكر المكرر ، والتنويه بشأن المذكور. ثم قال : ولا ريب في قبح التكرار إذا خلا من فكة ، ومثل لذلك بما كتبه عون إلى محمد بن عبد الملك .

قد بعثنا بتخفة البستان بكر ما قد جنى من الريحان
يا سميذا ، وزجسأ قد بعثنا وبعثنا شقائق النعمان
ولقبح هذا التكرار الخالي عن الفائدة ، أجابه محمد بن عبد الملك بقوله :

عون فض الإله فك وأدما ه وأصاك يا عبي اللسان
حشو بيتيك قد وقد فلي كم قدك الله بالحسام اليماني

قال : وبعث إلى الوليد بن عبد الملك عمه عبد الله بن مروان قطيفة وكتب إليه : بعثت إليك بقطيفة خز حمراء حمراء . فكتب إليه الوليد : وصلت القطيفة يا عم وأنت أحق أحق أحق (١) .

الأغراض الجزئية للتكرير

يتخلل الأغراض العامة للكلام ، كالقول ، والفخر ، والمدح ، والثناء ، والهجاء ، والوعظ والتذكير . . أغراض جزئية تعد كالعناصر اللامعة لهذه الأغراض الكبرى ، متى اندرجت في سياق التعبير عنها ، وهي مراكز القوى العاطفية ، التي تنطلق منها الإنارة ، لقصر السامع على المشاركة الوجدانية ، التي هي الغاية من القول في كثير من فنونه ،

(١) أنوار الريح : ٥ : ٣٤٥ وما بعدها .

ولذلك نراها موقع التكرار ، فلنسم التكرار باسم هذه الجزئيات ، مثلين لها بما يزيدان تقرأ ، ثم ننتقل إلى ما فوقها من الفنون العامة ، التي يجمع كبار البلاغيين والفقهاء على جدارتها بأن يكون التكرار مقوما في كيانها .

تكرار المبالغة :

عند انفعالنا بالمواقف تحتجب بالخيال الحقائق الواقعة ، فإذا بها في مقام التفضيم أو كهر عما هي ، وفي مقام التهوين أصغر عما هي ، فإذا انطلقنا فعبه عنها تدخل التكرار عنصراً من عناصر التخييل ، التي توهم أن الحقيقة هي ما نعبه به لا ما يراه من يرى ، وهذا النوع - كما أسلفنا عنه وعن أمثاله - مشترك بين المقامات الخطابية القائمة على الانفعالات ، فقد يسوق إليه الزهو كقول أبي النجم :

أنا أبو النجم وشعري وشعري

وقول الآخر :

ولم من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
أو المدح كقول النابغة في آباء مدوحه :

خمسة آباء هم ما هم أكرم من يشرب صوب الغمام
وقول الآخر :

هذا رجائي وهفي مصر معرصة

وأنت أنت وقد ناديت من كذب

قال أبو هلال : ، فقوله : أنت أنت مشاربه إلى نموت من المدح

كثيرة (١) ، . وكقول امرئ القيس للسبب :

ولاشكرن غريب نعمته حتى أموت وفضله الفضل
أنت الشجاع إذا هم نزلوا عند المضيق وفعلك الفضل

كما قد يأتي في التحمل كقول المتنبي :

وإن كان فني كل ذنب فإنه
عما الذنب كل الذنب من جاء تائباً

أو التمسك كقول ابن الرومي :

لو تلفت في كساء الكسائي وتقرت فروة القراء
وتخلت بالخليل وأخفى سيويه لديك ومن ساء
وتلوت من سواد أبي الأسود شخفا يكنى أبا السوداء
لأن الله أن بعدك أهل العلم إلا من جملة الجلاء

أرو في إظهار الحال كقول علي بن الجهم :

أبلغ أخانا تولى الله محبته أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس بنفسه

وكقول ابن المعتز :

أسرفت في الكتمان وذاك منى دهانى
كتمت حبك حتى كتمته كتمانى
فلم يكن لى بد من ذكره بلسانى

أو كقول ابن الجوزى :

أرقى قد بقى لى من أرقى ورثى لى قلبنى من قلبنى
وبكأنى من بكأنى قد بكى وتشكت حرقى من حرقى

هذه أمثلة من تكرار المبالغة ، تتخلل أغراضا مختلفة من أغراض المتكلمين ، ولسنا بصدد بيان المقبول منها والجائز ، بقدر ما نحن أمام ظاهرة شائعة ذات لون من ألوان البواعث الشعورية .

تكرار القسم :

حينما تقع النفس فى وجدان شعورها بشئ من استهانة المخاطب بأمر تهتم به ، تلجأ إلى التأكيد تقرر به الأمر وتدفع عنه الريب ، والقسم من وسائل التأكيد فى ذاته ، ولكنه قد يتكرر من المقسم بقدر ما يرى أنه استطاع الإقناع أو أربى ، وتكرار القسم كتكرار المبالغة ، وكل ما سبيل فى تخله الأغراض العامة عند المعبرين . وتلتقى فى هذا اللون بأبى صخر الهنلى يقول :

أما والذى أبكى وأضحك ، والذى
أما وأحيا ، والذى امره الأمر

لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها

بتاتا لأخرى الدهر ما طلع الفجر

فأهت لا عرف لى ولا نكر

إنها المفارقة بين الحزم كل الحزم والخور كل الخور ، يتغلب فيها الثانى على الأول فيسمعته ، لأنه فعل سلطان قاهر غلاب !

تكرار القسم زيادة فى تقرير عزمه على الحزم ، ثم هو زيادة فى تقرير

عنقه أمام هذا السلطان الساحر الذى ينسبه صولته . . لأنه لون من ألوان
التبرير للهزيمة فى الهوى !

ومع كثير نلتقى بهذا التكرار :

فواقه ثم الله ما حل قبلها ولا بعدما مخلوقة حيث حلت
ويتندر أبو نواس ثائبا فيقول للأمين :

وحياة رأسك لا أحسو د مثلها وحياة رأسك

أما أبو العتاهية فيكرر القسم فى الوض ، والتذكير بخطورة الوجود
فى هذه الدنيا :

وأما ورب المسجدين كليهما وأما ورب منى ورب الصافلت

وأما ورب البيت ذى الأستار والمسمى وزمزم والهدايا المشعرات .

إن الذى خلقت له الدنيا وما فيها لتأذلة تجل عن الصفات

ويتنقى الحطينة الظلم عن (قريع) ويمدحهم بحميد المكارم فيكرر القسم ،
ولسنا بصدد حكم شرعى على ما يجوز به القسم أو يجب ، ولكننا بصدد
قول الشاعر تطبيقا على هذا النوع :

فلا وأييك ما ظلت قريع بأن يفتنوا المكارم حيث شاموا
ولا وأييك ما ظلت قريع ولا عنفوا بذاك ولا أساموا
بعثرة جارم أن ينعموها فيعثر بعدما نعم وشاء

أما العمانى الراجز ، فى التحذير من الفتنة المبهرة يقسم فيكرر القسم
إذ يقول :

واقه واقه الذى يستغفر ا

لأن يموت معشروه معشر ا

حير لنا من فتنة تسر

يهلك فيهاهم ويوزروا

وفي إظهار الضعف والضييق بالحالة ، نرى عز الدين المرتضى يقول :

وقالوا : سقيم إلى رب محمد ورب علي إني لسقيم
سقيم جفاه الأقربون فقلبه به من ندوب الحادثات كلوم

تكرير التحذير :

يصدر التحذير ملونا بلون الباعث الداعي إليه . فقد يكون مصدره الرحمة والإشفاق ، أو تعالى والزهو ، أو غيرهما من الحوافر النفسية الموجبة للتحذير ، فإذا كان الباعث قويا كان صدهاء تكرير اللفظ المنبئ بالخطر ، وكثيراً ما يقتزن التحذير بالتعليل ليلبغ أثره أعماق وجدان السامع عن طريق الإقتناع ، سواء كان التعليل عقلياً أو خيالياً . ومن تكرير التحذير قول الشاعر :

إياك إياك أن ترجو امرأة حسنت

أحواله بعد ضرر كان قاساه

فنفسه نيك ما ازدادت وما نقصت

وذلك الفقر فقر ما تناساه

وذلك التحذير بآعته الإشفاق في مقام النصح ، ولكنه يستبطن ألبا في وجدان الشاعر من تجربة مسببة ، نحس وقها فيما عرض به من الوصف وما علل به للحدز .

ويكرر الأدهى نداء يزيد بن مسهر الفيماني ، بخندا إياه فتكه وشره :

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا أبا ثابت أقصر وهرضك سالم
وذرفنا وقوماً إن هم عمدوا لنا أبا ثابت واقعد فإنك طاهم

وأبو الشمق يهجو ، فيتخذ من التحذير بالتكرير وسيلة لإفراغ شحنة
الشر على رأس مهجوه ، صارفا الخطاب عنه إلى من يعنيه سلامتهم منه ،
ويعلل التحذير بهذا الخيال المسف ليبلغ أقصى الغرض من سخره :

الطريق الطريق ، جاءكم الأحق رأس الأتنان والقذره
وابن هم الحمار في صورة الفيل وخال الجاموس والبقره

والآخر حكيم مرت به التجارب في معاملة المجتمع ، الصاحب بالقلب
الخلقي وندرة الثبات على وفاء الأصفياء ، وقد رأى العدو المبدل من الصديق
أنكى خطراً من العدو الذي بدأ عدواً فأعرف المكامن التي فيها يرشق السهام
فيقتل . إنه يحذر ، ولكنه يكرر التحذير على طريق المفارقة ، مقنماً
بالتعليل الذي يقره العقل والواقع التجريبي حين يقول :

إحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضره

أما أبو تمام فيستخدم تكرير التحذير في المدح كأنما هو قاصح عدو
مدوحه :

الحق أبلغ والسيوف عوار لحذار من أسد العرين حذار

وأبو الفرج السامى يشخص الدنيا متكلمة مخذرة ، معللة تحذيرها بما
نراه منها على تعاقب العصور :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطش وفتكى
فلا يفرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

تكرير الإغراء :

وبما يتصل بالتحذير الإغراء ، فالتحذير أثر الشعور بجانب الضر من

الشيء للابتعاد عنه ، والإغراء أثر الشعور بجانب النفع في الشيء للحصول عليه والاستمتاع به ، وقد يجتمعان في مفهوم السياق ، فيكون الإغراء وسيلة للخلاص من شر يحذر منه ، كقول ابن المعتز والمقام القنبر :

لا صاحبتي يدلم تن ألف يد

ولم ترد القنا حر الخياشيم

بادر بمجودك بادر قبل عائقه

فإن وعد الفتى عندي من اللوم

وقد يأتى في مقام النصح للنفس أو سواها : كقول قطري بن الفجاءة :

فصبوا في مجال الموت صبوا فانيل الخلود بمستطاع

وكقول عمر (رضى الله عنه) لبعض قضاته : د الفهم الفهم فيما يتلجج

في صدرك ،

تكرار التعليل :

في مقام الإقناع بالحكم تذكر العلة ، فإن ذكر الحكم للشيء أو عليه معللا أدعى للنفس إلى قبول الكلام والرضا به ، وكثيرا ما نرى في ذلك اللون من التعبير ظاهرة التكرير ، وأكثر ما يكون التكرير فيها بأسلوب التذييل ، الذى يعده علماء المعاني من شعب الإطناب ، وتكرير التعليل مختلف الموقع - ككل ماسبق - بالنسبة للغرض العام من القول ، وإن يكن ظاهره جانحا إلى النصح والإرشاد .

يقول أحيحة بن الجلاح محذرا بنيه من أفعال السوء :

يا بني التخوم لا تظلموها إن ظلم التخوم ذو عقال

ثم مال القيم لا تأكلوه إن مال القيم يرعاه وال

ويقول أبو الأسود :

لا يكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما النيث معه

وأبو منصور الفري :

أقل عتاب من استربت بوده ليست تنال مودة بعتاب

أما الحريري وقد فقد نظره فيقول :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب

ويطل دعبل الخزاعي للتعجب من فعل الدهر ، الذي لا تنتهي عجائبه

فيكرر الدهر والعجب في بيته الأول ، ويعيد ترديد الدهر في مكان العلة
إذ يقول :

ما أعجب الدهر في تصرفه والدهر لا تنقضي عجائبه

فكم رأينا في الدهر من أسد بال على رأسه ثماله

إن المقام مقام الشكوى والتبرم بالحال . ولكن المتنبي يستخدم تكرير

التعليل في مقام القدح حين يقول :

لا تشتر البعد إلا والمصاحبة إن العبد لأنجاس منا كيد

ولكنه لا يتركه في مقام التريق وطلب العطف في بانيته :

فرق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب

كما يكون التعليل بلا تذييل كما في بيت سيف الدولة :

رب هجر يكون من خوف هجر

وفراق يكون خوف فراق

تكرير البيان والتصويب

حينما تمتلئ النفس بشيء إعجاباً به أو بغضاله ، تفرده بما لغيره من حكم

أو صفة ، على سبيل المبالغة التي تنفي عن سواه ما ثبت له ، وعندما يخاف على الموصوف اللبس بسبب الاشتراك فيه ، والمتكلم مدفوع بعاطفته للحكم له أو عليه ، نراه يلجأ إلى تكرار البيان ، حتى لا يدع لغير موصوفه نصيباً من صفته .

إن تكرير البيان ينزل الموجود منزلة المعدوم أحياناً لمرائه عن النفع وقد يعكس ، وينزع اعتقاداً شائعاً جرى عليه العرف ، ليصحح المفهوم بفرض غيره في القلب ، وهو يدور مع أغراض القول كما يدور غيره بما تكرر التنبيه عليه .

فن تصحيح المفهوم بتكرير البيان قول عمرو بن معد يكرب :

ليس الجمال بمؤزر فاهل وإن رديت يروا

إن الجمال مآثر ومناقب أورثني مجداً

فالوصوف هو الجمال المكرر لبيان ما يقاس به القياس الصحيح عند الشاعر ، فنفي أن يكون الجمال على ما اعتقد الجاهل من تعلقه بالمظهر ، وأثبت ما يعتقدوه هو الحقيقة فيه ، ليحمل من شاء طريق الهدى إلى تبديل نظراته . وأبو الشمق يقف من الحج موقف التصحيح فيقول .

إذا حججت بمال أصله دنس فاحججت ولكن حججت للمير

ما يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مأجور

إنه يكرر الحج فيثبته أولاً ثم ينفيه ، تنزيلاً له منزلة المعدوم ، لعدم بنائه على شرط قبوله ، ويزيد بإثباته للمير الجاهل بما تصنع ، غير المأمورة بما شرع ، لدعا لقلب الجاهل مفهوم الحج الصحيح ، ثم يزيد في البيان يثبته الثاني لتأكيد ما قدم .

وهكذا يكرر ابن المعتز بين النفي والإثبات ، ليصحح بيان مفهوم الكريم الذي ينحرف كثيراً عن فهمه ،

ليس الكريم الذى يعطى عطيته على الإثناء وإن أغلَى به الثناء
بل الكريم الذى يعطى عطيته لغير شيء سوى استحسانه الحسن

وهذا الأسلوب من تأكيد البيان، يحىء هكذا على صورة القصر كثيرا،
ولكنه قد يأتى على الإبداع كثيرا كذلك، مثل قول أبى تمام :

إن الأسود أسود الغيل ممتها
يوم الكريمة فى الملوب لالصب

إنه انكاه على مدلول (الأسود) يزيد التأكيد ببيان الإضافة قبل إصدار
الحكم والإدلاء بالخبر .

وعدى بن زيد يكرر البيان فى مقام التذكير ، ليقدر الذات التى يعنىها
وقد كانت ما كانت ، فبسوق الأثر إلى السامع فى عين العبرة وتأمل المصير
حين يقول :

أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان ؟ أين قبله سابور ؟

وفى الغزل يكرر ابن أبى ربيعة (الوجه والمعاصم) من الحبيبة تكرير
البيان ، ليؤكد جمالها العاذله فى غزله ، بالوصف المشرع بالنعمة والسيادة
والحسن جميعا ، حين نسمعه يقول :

ومد عليها السجف يوم لقينها على عجل تباعها والخرادم
فلم أستطعها غير أن قد بدالنا حشية راحت وجهها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البهم بالضحى
صاها ووجه لم تلمح السامم

ولا يعد أبو ذؤيب عن ذلك الوادى ، حين يصف حديث المحبوبة
الإلاذ ، وإن جاء تكرير البيان فى المشبه به حديثها .

وإن حديثاً منك لو تذيئته
جنى النحل في ألبان عوذ مطلق

مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

إن ألبان العوذ المطافيل أشبهى الألبان عندهم ، ويؤكد طيبها أن تكون
أبكاراً حديثة النتاج ، فإذا مزجت بأعذب الماء وجنى النحل فلا شراب لديهم
أحب منها ، لذلك نراه كرر للبيان تلك المطافيل ، ليكون ما شبه به حديثها
أكل في الوجه العائد على مشبهه .

وأما ابن ميادة فلا يدع لغير مقصوده مجالاً للشركة في الحكم ، فيدفع
بتكرير البيان كل احتمال لينحصر وحده الوصف .

يقول ابن ميادة :

ولو أن قبسا قبس عيلان أقسمت

على الشمس لم تطلع عليك حجابها

ولكن تكرير البيان قد يحىء للكشف عن المجمل بتفصيله ، فيكون
أعظم تقريراً من التفصيل المبتدأ به ، لما سبقه من تشويق إليه بسبب ما في
المجمل من تحريك النفس لكشف المراد ، وهنا نلتقي برابعة التي تجمل بالتفنية
ثم تسفيض بتكرير البيان غارقة في لذة المناجاة :

أحبك حين : حب الهوى وحبا لذلك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى فشغل بذكرك عن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وفي رثاء سراقه بن مرداس البارقى لعبد الرحمن بن مخنف ، نرى ذلك

اللون من تكرير البيان :

ثوى سيد الأزدین : أزد شنوءه وأزد عمان رهن رهن بکاذر
وقاتل حتى مات أكرم مئة بأبيض صاف كالقيفة باتر

وعلى دفع اكتتاب النفس بحيرة الإجمال والإيهام ، يكرر أبو تمام في
مقام الوصف لما راعه من مشاهد الطبيعة . ليحلى بالبيان إشراق الصورة
المجمله حيث يقول :

يا صاحبي تفصيلاً نظريكم
تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

التكرير للتعجب ، والتهويل ، والتفخيم

ألوان من روعة النفس للنهى يستغرب ، أو يستعظم ، فنجد أسلوب
التكرير مسجفاً لها بالكشف عن انفعالها به .

هذا بشار يقول :

يا عجباً للخلاف يا عجباً فى فم من لام فى الهوى حجر
وهذا الآخر يقول :

وما الليل والأيام إلا منازل يسير بها سار إلى الموت قاصد
فيا عجباً منها وتلك حجية منازل قسرى والمسافر قاعد

وقد يكون مدلولاً على التعجب بغير مادته ، مما عهد الأسلوب العربى
دالاً عليه كقول الآخر :

لما تبدت من الأستار قلت لها سبحانه سبحانه ربى خالق الصور
ما كنت أحسب شمساً غير واحدة
حتى رأيت لها أختاً من البشر

وأسلوب الاستفهام في سياق المكرر، كما في قول الآخر :

عجوز عاتها كبرة في ملاحه أقاتلنى يا للرجال عجوز ؟

والتهويل والتفخيم يكثر فيهما التكرير ، ويحدث ذلك من ذكر الشيء على طريق الإخبار عنه بما يشفي النفس من كشفه ، فإذا بالمتكلم يعيد ذكره بلا زيادة بيان ، فيزهده الغموض ، وكأن المتكلم رأى ما يصفه به أقل مما حقه أن يوصف به ، فتركه على ما كان قبل التكرار ، لتذهب فيه نفس المخاطب كل مذهب ، وهو من أساليب القرآن في مثل قوله تعالى :

والحاقة ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة ، قبل ورود ما بينت به ، لشد الالتباه إلى إكبار ما يساق من شأنها . وكقوله تعالى :

والقارعة ما القارعة . وما أدراك ما القارعة .

وقد يكون التهويل في تكرير الفعل من الفاعل ، مادام على أى صورة يكفه الإبهام . ومن ذلك قول ابن الدمنية :

عزيت نفساً عن هواك كريمة على ما بها من لوعة وهليل
بكى ما بكى من شجوها ثم راجعت
لعرفان هجر من ثواك طويل

وقول امرئ القيس :

فإن تهلك شنوءة أو تبدل فسرى إن في غسان غالا
بعزم عززت .. وإن يذلوا فنظم أذاك ما أظالا

وقول كثير :

وأدنيته حتى إذا بما ملكتنى بقول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلة . وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ومن أشعارهم في الضرب الأول قول كعب بن سعد الغنوى :
أخي ما أخى لافاحش عند ربة ولا ورح عند اللقاء هبوب

تكرار التحسر والتحنن

إذا وجع القلب لما أصيب به من أذى ، وجد في تكراره للفظ البك
راحة ، تحمل مكان وخضة من وخذات الهم ، التي يتضور بها فؤاد المهموم ،
وقد رأينا من تكرار اللفظ في ذلك ، ألوأنا ربما نحن نملقناها ، وربما
سمعناها أوقرأناها ، ومنها قول ابن الرومي في ثورة الزنج :

لهف نفسى عليك أيتها البصرة لهفا كمثل لهب الضرام !
لهف نفسى عليك يامعدن الخيبرات لهفا يعضنى إبهامى !
لهف نفسى عليك يا قبة الإسلام لهفا يطول منه ضرامى !
لهف نفسى عليك يا فرضة البلدان لهفا يبقى مع الأيام !
لهف نفسى لجمعك المتفانى لهف نفسى لمزك المستضام

أما نوجع الشريف الرضى وتحسره ، فلما فات من طيب الشباب ، الذى
هو بهجة الحياة ونضرتها ، وقد قلص عنه كظل طائر :

واها على عهد الشباب وطيبه والفض من ورق الشباب الناضر
واها له ! ما كان غير دجنة قلصت صابته كظل الطائر

ثم على مامناه به القدر من فرقة الأحباب بعد التلاقى ، وقد أوجع قلبه
التذكر لما كان :

نظرتك نظرة بالخياف كانت جلاء العين بل كانت قذاها
ولم يك غير موقفنا وطارات بكل قبيلة منا نواها !
(٩ - التكرار)

فواها ! كيف تجمعها الليالى وآها من تفرقتا وآها

وليس تحزن ميار لفراق الليالى العامرة بهواه، بأنقص من تحزن الرضى
إذ يقول ميار :

آه مما أسارت فى كبدى من جوى تلك الليالى البيض آها

ويهيج الوقوف بالديار قلب ابن مقبل ، فزى اللهمة على الزمان الغابر
والماضى اليهيج الذاهب ، لاتقنع النفس منها بغير التكرار حين يقول :

ألفى على عز عزيز وظهرة وظل شباب كنت فيه فأدبرا
ولحنى على حبي حنيف كليهما إذا الفيت أسمى كافي اللون أغبرا
بذكرنى حبي حنيف كليهما حمام ترادفن الركى المعمورا
ومالى لأبكى الديار وأهلها وقد حلها رواد عك وحيرا

وإذا كان للتحزن والتحسر ألفاظ فى اللغة تدل بذاتها ، فإن أفعالا أخرى
بما تعلق بها فى النظم تفيد الحزن أو الحسرة أو مرارة الألم لموقف من مواقف
الألم ، كذلك الفعل المكرر من قول الحارث بن حلزة :

أذتقنا بينها أسماء رب ثاو يمل منه الشواء
أذتقنا بينها ثم وات ليت شعرى متى يكون اللقاء ؟

إن تكرار هذين الفعلين على هذا الوجه من التعلق وإسناده إلى أسماء
ليحمل فاجعة مذهلة ، ما كان الشاعر يدرك قبل وقوعها مداهما من قلبه ! لقد
أعقب الايدان مازكة موجعا ، بين ماض ذهب لجأة عنه ، ومتعنى لاطمع للقلب
فى موعد له يضرب لإنها عاطفة يصورها اليتان مهما قيل فى المقدمات الغزلية
للشعر الجاهلي .

تكرار التهم

التهم أسلوب يعبر عن الشعور بالتعالى ، متزجا بالبغض وحب الانتقام في كثير من الأحيان ، ولهذا يغلب أن نراه قائما على التكرير ليكون أشق لنفس القائل وألذع لنفس المتهم به ، وقد برع مجرد في الوصول إلى هذا الهدف المزدوج حين خاطب ابن نوح بقوله :

يا ابن نوح يا أخا المجلس ويا ابن القتب
ومن نشأ والده بين الربى والكثب
يا عربي يا عربي يا عربي

وينقل ابن معصوم عن مؤدب كان له في صباه ، يتهكم بمن يحسنون جمع العلم في الكرايس ، ولا يحسنون جمعه في صدورهم :

صاحب الكتب تراه أبدا غير فـى فهم ولكن ذا غلط
كلما قشنته عن علمه قال على يا خليلي في سـفـط
في كرايس جـيـاد أحـكـمت وبنـط أي خط أي خط

وهكذا نحس لذعة التهم بتم وعكـل ، في تكرير الزمان الذي كان غرضا لعلو شأنهم ، تكريرا يجمع بينهم وبين زمانهم في النيل منهم :

إذا كان الزمان زمان نيم وعكـل فالسلام على الزمان
زمان صار فيه العز ذلا وصار الزج قدام السنان

وهذا ذفافة بن عبد العزيز أحد رجال الدولة العباسية ، يبلغ منه الشاعر ومن خيله ما شاء من إسقاط لفضله ، بذلك التكرار الذي يسلطه على الخيل دونه ، كأنه يهتم بها أكثر مما يهتم به :

لو جرت خيل فكوصا لجمرت خيل ذفافة

مى لاخيل رجاء لا ولاخيل مخافه

وكم بلغ الخريمى من مقتل أبى دلف بهذا التكرار :

إخلع ثيابك من أبى دلف واهرب من الفجفاجة الصلف
لايعجبنيك من أبى دلف وجهه يضوء كدرة الصدف
إنى وجدت أخى أبادلف عند الفعالم مولد الشرف

تكرار التحدى

يرجع التحدى إلى حب الانتصار ووضع الآخرين فى مكان العجز ،
وقد يكون مع ابتداء الحكم اقطع المتكلم على المخاطب من أول الأمر
سبيل الشك أو النقص ، وتد يكون استجابة لثورة النفس تحقيقاً للذات
ولإباء للإهانة .

ولما كان التعبير عنه أسلوباً خطايا هذا مكانه من النفس ، حسن
وكثر معه التكرار ، الذى يزيد عزيمة المخاطب ضعفاً أو انهياراً أمام
المتكلم .

ابن الرومى يبتدىء بإصدار الحكم على الصديق ، فيقف عن يتأتى
خطابه موقف التحدى والتعجيز ، ويكرر الفعل كالوائق من صدق حكمه ،
ليوقع المخاطب فى اعتقاده ، وينسيه أن ينظر فى أناة لعله ينتصر على
دعوى العجز والتحدى . يقول :

أرئى صديقاً لاينوء بسقطة

من عيبه فى قدر صدر نهار ؟

أرئى الذى عاشرته فوجدته

يتغاضباً لك عن أقل عشار

أما الآخر فقد أخبره صاحبه أن آل حبيته يهددونه بالقتل لما ينوه بها في شعره ، فتحدثهم بتكرير اللفظ الذي كرهوه مرات ، تقريراً لذاته ودفاعاً عن إباته وعزته ، ووضعاً لهم في موضع العجز عن أن يفعلوا ، وزى في التكرار تدفق الثورة العارم دليلاً على صدقه :

ولا غرو إلا ما يخبر سالم بأن بنى أستاذها نذروا دى
ومالى من ذنب إليهم علمته
سوى أننى قد قلت : يا سرحة اسلمى
نعم فامبلى ثم امبلى ثمست اسلمى
ثلاث تحيات وإن لم تكلمى

ولعل هذا الأسلوب الثائر الصادق عن النفس هو الذى دفع ابن خطيب
دارياً أن يقول :

أنظر إلى فائنى لك عاشق واعطف على فائنى بك شائق
واحكم تجدنى طوع أمرك فى الذى
تختاره ! واقه إلى صادق
وإذا جرى العشاق فى ميدانهم
لهواك كنت أنا المحب السابق
إن كان ذنبى أننى لك عاشق
أنا عاشق أنا عاشق أنا عاشق

فإنه يكرر الذنب المفترض تكرير المصر عليه الذى لا يقطع عنه مهما
يكن الجراء :

تكرير التشريك والموافقة

فله يستخدم التكرير لتشريك أمرين على التوافق في الوصف أو الحكم المكرر ، ومن الممتع فيه قول ابن الرومي في وصف روضة راقته :

ورق تغنى على خضر مهدلة تسمو بها وتمس الأرض أحيانا
تخال طأرها نشوان من طرب والغصن من هزه عطفيه نشوانا

فقد كرر النشوة التي انصف بها الطير والغصن على سبيل التوافق فيها ، تكريرا يؤكد انسجام المشهد وتكميل بعضه حسن بعض ، تحت لمسة من التشخيص لا تجعل الغصن أدنى حياة من الطير .

وأبو تمام يكرر الفعل المشترك بين الشبيهين المتوافقين ، ليكن مدلوله كل التمكن من نفس سامعه ، ويحمل الطرفين لا أحد منهما أكثر فاعلية له من الآخر ، حيث يقف هذه المرة واعظا يقول :

تلحق آمالا وترجو نتاجها وعمرك بما قد ترجيه أقصر
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوؤه وليلتها تنعاك إن كنت تشعر

تكرار المفارقة

كما يكون التكرار لتأكيد التوفيق ، يكون لتأكيد التفريق على وجه التضاد ، وتكرير اللفظ يدل أولا على توهم التماثل فيما يتعلق به . فإذا اختص كل من اللفظين بما ارتبط به تمت المفارقة وزاد التبين لما هو مغروس في الطبع من حب الموازنة وانتخاب الأوفق .

وانظر إلى هذه الموازنة في التكرار للمشارك يعقبه التفريق ، في قول
روبة الرقي :

لشئان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم
فهم الفتى الأزدي إنلاف ماله وهم الفتى القيسى جمع الدرام
ثم انظر إلى بشار يجمع بين عمرو وضيفه في السهر معاً، ثم يكر على ذلك
بتكرير المفارقة الناجمة من الموافقة :

وضيف عمرو وعمرو يسهران ما عمرو لبطنته والضيف للجوع
ما أشد ما بين علتي السهر من فرق يضع عمرا في مكان الزبابة .

إنه أسلوب ذيق المسلك في هذا الإيجاع
ويكرر المتنبي على هذا الغرار ليجعل كلا في كفة من الميزان :
إذا أنت أكرمت السكريم ملكته وإن أنت أكرمت المشيم تمردها
ثم ما أجل توليد المفارقة من الموافقة للإفناع في هذين البيتين :

وللزبور والبازي جميعا لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزبور فرق
وعودة إلى المتنبي في هذا المثال :

وما يوجع الحرمان من كف حارم
كما يوجع الحرمان من كف رازق

تكرار التشبيه

فريب من تكرار الموافقة تكرار التشبيه ، وفيه تقع أداة التشبيه بين
اللفظ ومكرره مذكورة أو مقدرة ، مع اتحاد المادة والصورة معاً أو المادة
دون الصورة ، وكل غرض للتشبيه غرض لهذا التكرار لأنه

نوع منه لا يختلف عن بقيته إلا بذلك التكرار ، وهذه أمثلة منه لا أراها بحاجة إلى تعليق .

يمدح مروان بن أبي حفصة بنى العباس فيقول :

أيادى بنى العباس بيض سوابغ على كل قوم بأدثاه عوائد
فهم يعدلون السملك من قبة الهدى كما تعدل البيت الحرام القواعد

ويمدح المتنبى ويصف جيش الممدوح :

سحاب من العقبان يزحف تحتها

سحاب إذا استسقت سقها صوارمه

ويذكر أبو صخر نسيانه سبب الهجر عند اللقاء :

وأنسى الذى قد كنت فيه هجرتها

كما قد تنسى لب شاربها الخمر

ويهجرو الآخر فيشبهه بكاء مهجوه على الرغيف يبكاء الخنساء

على صخر :

فتى لرغيفه قرط وشنف وإكليلان من در وشذر

إذا ذكر الرغيف بكى عليه بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر

ويمدح مروان بن أبي حفصة الفضل بن يحيى فيقول :

نفى عن خراسان العدو كما نفى ضحى الصبح جلباب الدجى فتعردا

ويهجرو الخاملين الذين لا نفع فى حياتهم أبو الطيب فيقول :

فى الناس أمثلة تدور حياتها كماتها ومماتها كحياتها

ويقول فى تحفيز الهمم إلى المعالى :

فطعم الموت فى امر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

وفى حفظه من حبيبه :

نصيبك فى حياتك من حبيب نصيبك فى منامك من خيال
وفى وضع الشيء خطأ فى غير موضعه :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلی
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وفى اتحاد النهاية الخاتمة للسلام والمحارب :

وغاية المفرط فى سله كفاية المفرط فى حربه

هذه أنواع من الأغراض الجزئية يكثر فيها أن تعتمد على التكرير ،
وقد نسبتها إلى الجزئية لأنها كما رأيت ، تدرج فى سياق الأغراض
الخطائية الكبرى للكلام : كالمده ، والغزل ، والفخر ، والهجاء ، والرثاء
وغیرها ، مما سنأخذ منه نماذج تعتمد التكرار وسيلة من وسائل التقرير
فيها بعد هذه اللافتة .

الأغراض العامة للتكرير

التكرير أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس بمثير من أشباه ماسلف ،
واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذى ينشر الضوء على الصورة لاتصاله
الوثيق بالوجدان ، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده ، وهو يحب
فى الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه ، أو من هم فى حكم المخاطبين ،
من يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار .

فاللفظ المكرر - بوجه عام - مصدره الثورة وهدفة الإثارة ، جبا
أو بغضا ، فى أى غرض من أغراض الكلام ، والتكرار مرتبط بقانون
التردد ، من قوانين تداعى المعانى ، ولذا يعد وسيلة تربوية من وسائل

التقرير ، ويرجع أثر التكرار إلى أنه يزيد الشيء المكرر تميزاً من غيره ، فالأشخاص الذين يقع عليهم نظري كثيراً يزدادون وضوحاً في إدراكهم وتصبح صورهم بمثابة الصبغة القوية التي تستأثر بذاكرتي ، وكذلك الأقوال أو الأحكام التي تنوّر في سمعي تكون أكثر وروداً على لساني أو خلال تفكيري من الأقوال والأحكام العابرة ، ولهذا كان التكرار والإلحاح في التكرار هو الركن الأساسي الذي يقوم عليه فن الدعاية (١) .

هذا حقيقة لا راء فيها ، فليس أثر دقة على مسمار كأثر دقتين ، ولا رشفة ماء على قلب صاد كرشفتين .

هذا ما يحمل الشراء أو غيرهم ممن يريدون تقرير إحساسهم بمعاني الحياة على أن يتخذوا التكرار أداة ماهرة بنجاح عن مرادهم ، وهنا نسوق نماذج من الأغراض الخطابية العامة ، نرى ظاهرة التكرار فيها ألمع ما يثبث النشاط في جوانب الصورة ويعمل على نمو التأثير بها في المستمع ، والتكرار الذي سيدخل هذا الجانب من التطبيق ليس قاصراً على ما أخذ الاسم بالمعنى الخاص ، بل كل ما أعيد فيه صوت المادة بوجه ، بما سنفصله بعد هذه المرحلة التطبيقية العامة .

(١) الغزل

كان الشعر العربي إلى عهد قريب يتبع تقليداً يكاد يعمه ، هو افتتاح القصائد بالنزل وذكري الأحباب ، وأغلب ما كان يشغل المطالع تهيج الدمن والأطلال عواطف العشاق ، وهلى ما كان لهذا الاستهلال الموروث من رتبة التقليد ، نراه لا يخلو على الإطلاق من صدق العاطفة ، فالذكري

المثيرة من وقفة بالطلل ، مجلوبة باستحضار الخيال ، تتعدى وعى الشاعر ، وتنقله إلى الماضى فتغرقه فى غيبوبة تطول أو تقصر ، بمقدار ما يعم عنها فى قصيدته ، ثم يدركه الوعى فيعيد به إلى ما شاء قبلها أن يكون غرضاً هادفاً لقصيدته . ومثل الطلل كل ماله علاقة بالمحجوب تثير الذكرى ، من فاطق وصاء ، ومن حى وجاءه ، بما زاره منبتاً فى أشعارهم ؛ ومثيراً لوجدانهم وعواطفهم . فإذا تمحضت الآيات لموضوع الحب والغزل ، استأثر بها ذلك المثير على وجه أشد ظهوراً وأكثر عمقا .

ونحن هنا واجدون ألفاظاً بعينها تكرر ، إذا أعطيناها الفكر يبحث عن سر تكريرها ، وجده فى أنها أدعى الألفاظ لتحريك عاطفة الشاعر ، لأنها تمس قلبه مساً يضىء النور أو يشعل النار ، وفى كل من النور والنار للاعشق متعة ، فتكريره فيه راحة لنفسه ، وإشباع لذكراه ، وإرخاء لظلال أطول مداً ، يرسل فيه أنفاساً تصل حاضره بماضيه ، ذلك الماضى الغارب الذى انقطع إلا من هذه الذكرى .

(١)

ارتحلتم نُدُعمُ وآل نم ، وتركتم لنا بغي حيرة القرار فى دمنة الدار ، ولوعة الحزن فى نوى وأحجار ، واسكنها ما تسكن مى دار نم ، عليها وحدها يحوم طائر حبه ، وعندها وحدها يسفح دموع وجده ، وفيها وحدها سره الذى استعجمت أن تبوح به ولو تكلمت لأجابت شعره بشعر مثله ، وتحيته بتحية ربما كانت خيراً منها .

نُدُعمُ ودار نُدُعمُ ، أى شئ سواهما فى دنيا حبه ، وغزله ، ونحزنه ، وتفدكره ، يكون أولى منهما بالتكرار ، ولكل حرف يفوه به نشوة ، ولكل مرة يتردد فيها الحرف تسرب حالم إلى عمق ماضيه ؟

هوجوا لخيـوا لنعم دمنة الدار
 ماذا تحيون من ثوى وأحجار؟
 أقوى وأفقر من نعم وغيره هوج الرياح بهابى القرب هوار
 وقتت فيها سراة اليوم أسألها
 عن آل نعم أمونا عبر أسفار
 فاستمعمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
 فا وجدت بها شينا أعوج به إلا الثمام وإلا موقد النار

إن هذا التكرار على سذاجته ، يكتسب من الوزن العاطفى ، ما يكسبه
 الوزن التنسيقي فى وضع المكرر ، فتحية نعم فى الصدر من أول بيت
 والاستدراك عليها بما يؤكد عدم الجدوى فى صدر البيت الثانى ، والإخبار
 عنها بالاستعجال فى صدر الرابع . يمثل اسم نعم فيها جميعاً موضعاً واحداً
 هو حشو الشطر . وفى المعجزين من الثالث والرابع ، يكاد يقع على التوازي
 (آل نعم) ودار نعم .

لا أظن هذه المقدمة الغزلية تقليداً لا واقع للتعبير فيها ، ولا أظن
 الغابفة إلا معبراً عن حقيقة ملكته ، أيزال مثلها يملكنا ، ووقوفه سراة
 اليوم ما يعوج بغير الثمام وموقد النار ، وراه من المعانى الكثيرة ما مفتاحه
 تلك الرموز اليسيرة ، وما استحققت دار قواء ، أن تذكر فتكرو ، بل
 ولا استحق الراحلون عنها سؤال الدار عنهم ، إلا لأن الدار دار (نعم)
 والآل (آل نعم) وقلب الشاعر . وصول بحب (نعم) .

(٢)

وأية رحلة تلك فى رحاب الذكريات ، يسميح فيها خيال زهير ، ينقل
 من مكان إلى مكان يحل فيه ركب المحبوبة ، فيأخذ كل مكان أو مشهد خطه

من اتكأة التكرير عليه ، بما لا يجعله متهما بفتور العاطفة نحوه ، وقد كان
للمحبوب النازح عنه وقع قدم فيه :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتسلم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأياً عرفت الدار بعد نوم
فلما عرفت الدار قلت لربها
ألا انعم صباحاً أيها الريح واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظمآن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنة وكم بالقنان من محل ومحرم
ظهرن من السوبان ثم جزعنه على كل قينى قشيب ومغام
ووركن في السوبان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة فبن ووادى الرس كاليد للقم

عشرون حجة تمضى على دار بالرفتين : دار بدوية ، لاهى قصر غمدان
ولا إيوان كسرى ، يشغل مكانها الشاعر حتى يتجلاها بعد لآى من غيابة
الوم : كيف لانكون داراً تستحق أن يتكرر اسمها ؟ .

ومن حسن المصادفة ما أدرى أو القصد ، يأتى اللفظ نكرة مبهداً
لتنبيه أولاً ، ثم يأتى معرفة بلام العهد حين يزول الوم ويصدق اليقين ، ثم
تتكرر معرفة الدار وفاء بحق الفرحة ، كأنما زارها وفيها (أم أوفى) كما كان
يفعل ، وتجيئ الأشواق باستيقان ربها ماثلاً أمامه ، فيحييه ويدعوه ،
مكرراً اسمه ، ناقلاً إليه بصيغة الأمر وصيغة النداء قيمة الحياة وذاتية
الهائل . إنه التعويض لما فقده بالحقيقة ، يرد عليه في ظل الخيال هبة وحلاوة .

ثم الفنان: هذا الجبل الذى سارت بينه الطعائن من محل ومحرم ، لم ينس الشاعر أن يتكىء إليه بتكرار اسمه ، لأن فى تكراره تركيزاً على استحضار الصورة فى عين ذاكرته : ومدا لوقت مثولها أمامه .

ثم هذا السوبان يصاحب منهن كل ما ذكر زهير من أعمال ؛ ليس أقل نلبثاً بخياله ، ولا إمتساعاً باستطالة الذكرى ، فهو يشغل به صدر بيتين متتالين : «ظهرن من السوبان ، . د وركن بالسوبان ، وما أحلى ماتراه من تكرار المادة مرة بمصدرها فى « بكرن بكورا ، وأخرى بظرفها فى « واستحرن بسحرة ، مع إمكان الاستغناء عن التكرار ، لولا أن فيه مدا للظلال ، وتضافراً فى النسق القائم على هذه الظاهرة ، يشعر بانسجام الصورة الكلية مع كل صورها الجزئية ، تحت همئة واحدة للصدق السارى فى جوانب النص .

(٣)

وهل ننكر على هنتره وقد قرأنا ما قرأنا من قصة حياته ، أن يتخذ من اسم (عبله ودار اعبله) مروحة لقلبه ، ومتكأ لوجدانه ، فيكون لهما من التكرار بقدر ما لهما من الحب ؟

إن هذا التكرار يحرك أبياته ويثبت فيها الحياة والنو والتدقيق ، وكأنما الاسم كلما عاد فجر ينبوعاً جديداً لئلا يخفت صوت الوجدان أو يضعف دفق العاطفة .

هذا الذى نلسه فى قوله :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد نوم
أعياك رسم الدار لم تتكلم حتى تكلم كالاصم الاصم

إلا رواكد بينهن خصائص وبقية من نويها المتهدم
ولقد حبست بها طويلاً فاقى أشكو إلى سفع رواكد جثم
يادار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واملى
دار لآنسة غضيض طرفها طوع العناق لذيذة المبتسم
فوقفت فيها فاقى وكأنها فدن لأفضى حاجة المتلوم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتلم
حيث من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيم
وتحل عبلة في الحدور تجرهما وأظل في حلق الحديد المبهم

(٤)

ثم لنعش مع قبس وليلاه في هذه الآيات الثلاثة :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فبيح أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلي غيرها فمكانما
أطار بليلي طائر أكان في صدرى
دعا باسم ليلي ا ضلل الله سعيه وليل بأرض عنه نازحة قهر
إن ليلي ، هي ليلاه وحدهما .. وإن ذلك الاسم كاذب على غيرها .. كيف
ينادى بهذا الاسم وأرض ليلي نازحة نائية ؟

هكذا تحرك حروف اسمها أرقام الهاتف أو مفتاح التلفاز ليعكس مشهد
الحب الحزين فيبيح القلب المحروم فيفتف من أعماق نفسه بهذه الشكوى
الفاضية .

إن اسم (ليلي) هو أشجان قبس كل أشجان ، لذلك يتكرر أربع

مرات في أربعة شطور .. وإن دعاء الداعي باسمها هو مشير تلك الأشخاص .
ومطير هذا الطائر المنزعج ، لذلك يتكرر مقرونا باسمها مرتين ، بعد
ذكره مطلقا في أول الآيات . إن دعاءه باسمها ذلك الغير جناية ،
والتكرير يحقق استحقاته للعقاب الذي ألحقه به ، وهو دعاؤه أن يضل
الله سمعه .

أنظن أن قيسا وهو يصرخ هذه الصرخة كان لعقله الحاكم اختيار
لتكرير ما كرر ؟

أما أنا فلا أرى هذا التكرير إلا صوت وجده !

(٥)

ومع كثير وعزة فلنقف قليلا ، لنرى الربع الذي سعد بعزة يوما يعقله
عن السير باكيا ، لأنه يرتسم له فيه كل ما ألهمه من حب ، وأمل ، وإشفاق ،
وخيبة ، ويحضر له صورة عزة جانية عليه بكل ما يرى ، فيكرر اسمها
مع شدة العذاب بها ، بين الاستعتاب والاستعذاب وخديعة النفس
بالتننى :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا	قلوصيكما ثم ابكيا حيث حملت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا	ولاموجعات القلب حتى تولت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها	كناذرة نذراً فأوفت وحملت
فقلت لها يا عز كل مصيبة	إذا وطئت يوما لها النفس ذلت
فليت قلوصى عذر عزة قيدت	بجبل ضعيف غر منها فضلت

(٦)

إن الشاعر قد يكره الربوع لذاتها ، والديار لخصائص طبيعية أو نفسية
تنفرد بها ، ولكن حبه يطغى على بغضه لما غمرها من عبق ريح المحبوب ،

وتغريف أرضها وسماها بخيوط زاهية من ألوان عشقه ، فالتنظر ذلك مع تكرار اسم (بنى) في هذه الاعترافات ، وقد تبعها الشاعر يوماً حتى اختفت عن باصرة وجهه ، فقبل بمشاهها ، فلامه من خلا صدره من قلب كقلبه :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل لأثر من وطىء الترابا
أقد لاقيت من كفى ببنى بلاء ما أسبغ له الشرابا
إذا نادى المنادى باسم ببنى عيت فلا أطيع له جوابا

وكيف لا يكرر اسم محبوب قبل تراب الأرض من خلفه ، لأنه في حين حبه مغمور بنفحة منه ؟

إن قلبه من الثقافة الذين يعرفون ما لا نعرف من دلالة التراب على صاحب القدم ، وقد جاء في قصة السامري ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى قمى . .

إن العاشق مسحور ، وساحره لبناه ، وكل مامسته لبنى فيه أثاره من سحر ! أليس هو القائل يكرر الضراعة والشكوى واليتم :

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا
إلى الله بعد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون لجسمه
فحيل وعهد الوالدين قديم

(٦)

وفي القصيدة (المؤنسة) المبحنون بتكرار اسم لبلاء ، حتى يغمروا لكثرة ما كرره فجعله معتمد شجونه وتحزنه - في هذه الفجور والتحزن :

تذكرت ليلي والسنين الخوالي وأيام لأعدى على العمر عاهدا
(١٠ - التكرار)

ويوم كظل الرمح قصرت طوله بليلي فلها نى وما كنت لاهيا
فيا ليل كم من حاجة لى مهمة إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا

وعهدى بليلي وهى ذات مؤصد ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها وأعلاق ليلى فى الفؤاد كما هيا

سقى الله جارات ليلى تباعدت بهن النوى حيث احتلن المطالبا

بتمرين لاحت نار ليلى وصحبتى بقرع العصا تزجى المطاى الحوافيا
فقال بصير القوم لمحة كوكب بدا فى سواء الليل من ذى يمانيا

فقلت لهم بل نار ليلى توقدت بعليا تسامى ضوءها فبداليا

خليلى لا والله لا أملك الذى قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فملا بشيء غير ليلى ابتلانيا

وخبرتانى أن تباء منزل ليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذى شهور الصيف هذا قد انقضت

فما للنوى ترمى بليلى المراسيا

(٧)

إن فى تكرار الحروف المحبوب تكرارها نشوة للحب ، كررها
بلسانه ، أو سمعها من سواه ، يسعده أن يعيش فى غيبة من شعور اليقظة
عندها ، لهذا يناشد ابن الجوزى صاحبه ، أن يرد الحديث عن المحبوب
ويعيد :

فقلت له : رد الحديث الذى انقضى

وذكراك من هذا الحديث أريد

يمجد تذكرك الحديث مودتى فذكرك عندي والحديث جديد

أناشيدى إلا أعاد حديثه كأنى بعلي. الفهم حين يعيد

(٨)

وإذا كان المجنون - كما يرى من يرى - شخصية أسطورية ، فإن مدلول التكرير فيما قيل بلسانه مدلول حقيقى ، وموضوعه مائل واقع : لجليل ، وكثير ، والعباس بن الاحنف الذى ترك ديوانا كاملا يقوم على جنون الحب وتكرار اسم المحبوب ، وانهماق به من أحداث تنسج قصة العمر .

انظر إلى مادة (حب) كم تتكرر منه فى هذه الآيات ، وحق لها أن تتكرر .. إنها سعدة وشقاؤه وعذابه وبهجنه .. إنها دنياه كل دنياه ، يصطبغ بها كل شيء فى وجوده :

كتب المحب إلى الحبيب رسالة والدين منه ماتجف من البكا
هذا كتاب نخوكم أرسلته يبكى السميع له ويبكى من قرا
فيه المجانب من محب صادق أطفاه حبك يا حبيبه فانطفأ
وصبرت حتى عيل صبرى كله وهويتكم يا حب تقى للشفا
وكتمت حبك فاعلمى واستيقنى

والمحب من غمى فديتك قد أبى
أفأ لهذا حرمة محفوظة أو ما لهذا يافديتك من جوا ؟
إنه يقف منها موقف الواله ، فيناديها ذلك النداء المكرر فى صدور تلك الآيات ، يتقاذفه الضنى كالأمواج مرة إلى اليأس وأخرى إلى الرجاء .. ولكنه مع كل حال نداؤها الذى يتسكى إليه ويلجأ به ، لعلها تسمعه ساعة فقرئ لبواه :

فيا من رضيت بما قد لقيت من حبه مخطئا أو مصيبا
وما من دنانى إليه الهوى فليت لما دنانى مجيبا

ويا من تعلقت به فاشتا فشبث وما آن لى أن أشيدا
 لعمرى لقد كذب الزاعمون بأن القلوب تجازى القلوبا
 ولو كان حقا كما يزعمون لما كان يحفو حبيب حبيدا
 إن التكرار لا يدرك (ليله) الذى يصف حاله فيه ليقرر همه به وبته
 إذ يقول :

أراني أبيت الليل صاحب عبرة
 مشوقا أراعى منجذات الكواكب
 أراقب طول الليل حتى إذا انقضى
 رقت طلوع الشمس حتى المغارب
 كما يدرك التكرار (قلبه) ليضمه أمامها مصورا ملهوها فانهض الوجد
 شاكى الصدور (لسانه) الذى يريده لغيرها فيأبى غيرها :

أريد لأدعو و غيرها فيجرتنى
 لسانى إليها باسمها كالمغالب
 يظل لسانى يشتكى الشوق والهوى
 وقلبي كذى حبس لقتل مراقب
 كان بقلبي كلما هاج شوقه
 حرارات أقباس تلوح لراهب
 ولو كان قلبي يستطيع تكلم
 لحدثكم عنى بكل العجائب

ويكرر العباس كل نبضة لها صلة بالمحجوب ، حتى حروف العتاب التى
 يرد فى بيت واحد ثلاث مرات ، ولم لا تتكرر والعتاب عتابها ؟ لأنها
 به تعذبه ولكنها العذاب المشتبه :

عذبت قلبي بالعتاب .. فكلما
وزعت أنى لا أحبك صادقا والله يعلم ما نحن ثيابي
وحتى الدموع وسهد والبكاء :

فراقك كان أول عهد دموعي وآخر عهد عيني بالرقاد
فلم أر مثل ما سالت دموعي وما راحت به من سوء زاد
أيدي مسهداً قلقاً وسادى أخفف بالدموع عن الفؤاد
لأنه يبكي ثلاث مرات في بيت واحد :

أبكي ظلوم ! وأبكي ما لجئت به منها وأبكي على قلبي الذي ذهب
لأنه يثبت غياها وقربها منه بالسكرار وينفيه .. أليس القرب والبعد
هما سعادة الحب وشقاؤه ، فهما بذلك يستحقان ذلك التكرير ؟

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى
لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
أقر لكم بالذنب منى مخافة
من الهجر لما رمت أن تخلق الحبا

بل إن اسم محبوه لينتقل من لسانه إلى كفه ليكون منطوقاً ومرنيا ،
لأنه يتشخص أمام عينه فيكون ذات المحبوب ، فيقسم أحوال نفسه أمام
شخصه على هذا الذي ترى :

كتبت اسمها في راحتي ولثمته أقبله طوراً .. وطوراً أعاليه
بذكرنى الفردوس ربح كتابه وقد كنت حيناً قبل ذاك أكا به

إن الشاعر يكتم اسمها الحقيقي في عمق سره ، فلا يثل اسمها الذي نحلها
لياء اهتماماً به ؛ لأنه العلم الذي اقترن بذاتها يوم ميلاد حبه .

كُتبت اسمها آكتان من صان عرضه
وحاذر أن يفشو قبيح التسمع
فسميتها فوزاً ولو بحت باسمها اسميت باسم هائل الذكر أشنع
ولأنه ليعكس خطوه في اتجاه غير اتجاهها ، ولكنه يرى أمامه بعين
حبه ما هو مائل بعين الناس من وراء ظهره ، ويموه في وصفها ليسترها
فلا يزيد التويه صورتها إلا تحقفا في فؤاده :

أبكي إلى الشرق لو كانت منازلهم
بما يلي الغرب خوف القيل والقال
أقول بالحد خال حين أنتم -
خوف الرشا وما بالحد من خال

يا أغفل الناس عما بي وأعلمهم بما يداوى به حزني وبلبالي
لسنا وإن كنت تجفونا وتقطعنا بتاركك على حال من الحال

ولذن فهي - كما شاء أن يسميها - (فوز) .

هل تراه وقد تكرر - كما شهدت - كل ماله علاقة بها ، غافل الوجد
عن تكرار اسمها الذي يرسمه في كفه يقبله طوراً وطوراً يعاتبه ؟ لا !

قد خفت ألا أراكم آخر الأبد وأن أموت بهذا الشوق والسكد
الموت يا نوز خير لي وأروح لي

من أن أعيش حليف الهم والسهد
لما أتاني كتاب منك يأسكي جعلته شبه التعويد في عضدي

يا فوز يا زهرة الدنيا وزينتها

أنضجت قلبي وألبست الهوى كبدي

ماضى قوماً وطشت اليوم أرضهم

أن لا يروا ضوء شمس آخر الأبد

وإن دارما لنفعل به الأفاعيل لأنها دارها وكفى ، فلا عجب أن يكرر
حروفها هذا التكرار ويناجيها تلك المناجاة :

طال الوقوف بباب الدار في علل حتى كأنى لباب الدار مسار
لأنى أطيل وإن لم أرج طلعتها وقفى ولانى إلى الأبواب نظار
أقول للدار إذ طال الوقوف بها بعد الكلال وماء العين مدرار
يا دار هل تفقهين القول عن أحد

أم ليس - إن قال - يفتى عنه لكثار
يا دار إن غزالا فيك برح بي لله درك ما نحوين يا دار ؟
ما زلت أشكو إليها حب ساكنها حتى رأيت بناء الدار ينهار !

لقد هجرته فوزه حتى تشخص الهجر حاكما عاتيا يظلم الهوى المغلوب ،
فيكرر نداه بين السخط والضراعة في حرارة تصل إلى قلوبنا من أرقامه
وهو يقول :

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين لطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين قلوبهم مرضى وحشو قلوبهم جمر

وإن جرس هواه ليتكرر رنينه فلا يجعله يفتى ، وكيف يفتى وصورة من
هواه ماثلة حينما جلس بثها ما يشكو من ضنى وضباع ؟

نرى الحب لما يلتقى بصور من يهوى فيشكو إليه حينما جلسا
وللهوى جرس يدعى الحب به فكلما كدت أغنى حرك الجرسا

لذلك الجرس المتكرر الدق على قلبه ، أصبح لا يملك مشيئة أمام
الحاكم المستبد على قلبه ، فيقرر مشيئة حاكمه بالتكرير ويجعل لها التخيير

أنا لك مملوك فإن شئت عذبي
وإن شئت مني أي ذا شئت فاصنعي
تريدن إلا مشفقاً ذا نصيحة ؟ فدونك حبل الطائع المتطوع

وبعد فهل كان ابن الأحنف بإعطائها تلك المشيئة بعيداً عن الله ؟
ذا هو يدعو بالربوبية مؤمناً بقدرته ، ويكرر دعاءه إياه راجياً أن يجاب :

فيارب أَلَسَّ بين قلبي وقلوبها
ويا رب صبرني على ما أصابني

فأنت الذي تكفني وأنت الذي تعني

ويا رب هذبها بما بي من الهوى
ولا كالذي عذبت قارون بالخسف

وما ندرى كيف بلغ به الأمر حتى كان دعاؤه الثالث هكذا ، وهو الذي
يكرر استعطافه وإظهار حاله على هذا الوجه الذي نراه في تلك الآيات :

أما ترين عظامي	قد شفهن نحول
أما ترين بلائي	على منه دليل
أما ترين دموعي	لكل جفن مسيل
أنا الأسير الذليل	أنا الجريح القتيل
نشدتكم	هللوني إن لم يكن تنويل

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نقر ما قال ابن الأحنف نفسه :

ألا ذهبت فوز بعقل أبي الفضل
وما خلعت إنساناً يعيش بلا عقل

وماذا ينال وقد أصبح في العراق وأصبحت في الحجاز ؟ أما ألح بتكريره
هل هذا ليقرر البعد واليأس إذ قال :

أصبح القلب بالعراق وأمسى بالحجاز الهوى فكيف النعيم ؟
أصبحت بالحجاز فوز ، وعبا من أبو الفضل بالعراق مقيم !
خندقت حول قلبه بالصبايا ت فاحوله حمى مكلوم
إن فيما بين البقيع وبطحا ن لداراً فيها الهوى مكتوم

إذن فلنتركه للهجران يكرر بكاه مما كان :

ليس الحبيب على ما كنت تعدده قد غر الدهر ذاك الحب ألوانا
فلن تزال عليه العين بأكية ولن يعود إلى ما كان ما كانا

(١٩)

ثم لنقف قليلا مع (مى) مدله ذى الرمة ، لنرى اسمها ملء قلبه
ونور حياته ، ولنرى ربع (مى) يكاد يشاركه الوجد ويومئ عليه قلبه بالحنين ،
وهو باك لديه مناج إياه !

وقفت على ربع لمية فأتى فازلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد بما أبته تسكمنى أحجاره وملاعبه
كأن سحيق المسك ربا ترابه إذا هضبت به العشى هواضبه

لأنه يسل على أمانتها وقد خلت ، وهو واعي أنها لا نجيب : على الرغم
من عقله ما يصنع ، فإن ذلك التسليم لغة القلب والعاطفة ، وشتان ما العقل
والعاطفة ، وهذه اللغة ينكرها عايله من لم يشاركه لذعة الوجد ، ومن لم يذق
نشوة خطاب الاطلاع .

هذه أما كن (مى) واسم (مى) تراها كالمصايح المنتشرة في سماء تلك
الرقعة الزاهية ، لها في كل موضع إشعاع جديد :

أمنزلى مى سلام عليكما هل الأزم من اللانى مضين رواجع
وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى
ثلاث الأسافى والرسوم البلاقع ؟

ثوهمتها يوماً فقلت لصاحبي وليس بها إلا الظباء الخواضع
قف العيس تنظر نظرة في ديارها وهل ذاك من داء الصبابة نفع؟
فقال : أما تغشى لمسة منزلا

من الأرضي إلا قلت : هل أنت رابع؟
وقل إلى أطلال مي تحية تحي بها أو أن ترش المدامع
ألا أيها القلب الذي برحت به منازل مي والعراض الشواسع
ولابد من مي وقد حيل دونها فإنت فيما بين هاتين صانع؟
أستوجب أجر الصبور فكأظم
على الأجر أم مبدى الضمير لجازع؟

إن التكرار لغة العاطفة الملتهبة باسم الحبيب. وكل اسم له صلة بالحبيب.

(١٠)

فلتر هذه الظاهرة في شعر ابن المدينة ، صاحب أميمة جالية بصره
ومعه :

خليلي زوراني أميمة فأنجلوا بها بصرى أو غمرة من فؤاديا
فإن لاتزوراني أميمة تعلميا غداة غد أن لا أها لكما ييا
ألا يافطاني سدره الماء بلغا أميمة عني واحفظا فيلها ليا
ولقد يكرر نداءه عينيه يسألها أن يربآبه عن البكاء الذي طال حتى
ليخاف فقدمها بشدته :

أعيني مالى لانا مت يبلدة
من الأرض إلا كان دمعى قرا كما؟
ألا قد أرى والله أن قد فديتما بمن لايبالى أن يطول قذا كما
أعيني مهلا أجملا الصبر تحظيا فقد خفت من طول البكاء عما كما

وإذ لا يجد مسعداً من الإانس يكرر نداء الجن هل فيهم من يعين .
 أخوا الجن بلغها السلام فإنني من الإانس مزور الجناح كتوم
 أخوا الجن لا تندی إذا لم يدم لنا خليل صفاء الود كيف ندوم
 ولا كيف بالهجران والقاب آلف
 ولا كيف يرضى بالهوان كريم

إنها (ليلي) ابن الدمينة يرعى هجرها كلفاتها ، ويجعل من تمكير
 اسمها في كل حال نغم سعادة ونشوة قلب :

يقولون : ليلي بالمغيب أمينة له وهو راح سرها وأمينها
 فإن تك ليلي استودعني أمانة فلا وأبي ليلي إذن لا أخونها
 أأرضى بليلى الكاشحين وأبتغى
 كرامة أهداني بها وأهينها ؟
 معاذة وجه الله أن أشمت للعدى بليلى وإن لم تجزني ما أوديتها

تري هل تجزيه ليلي وفاء برفاء ؟

أزمعة بالبين ليلي ولم تمت كأنك عما قد أظلك غافل
 ستعلم إن زالت بهم غربة النوى فزالوا بليلى أن عقلت زائل
 وأنت لا تخلو من البث والنوى إذا ما خلعت من تحب المنازل

إن الحصى وهو الحصى في صلابته ليفلقه ما بآب الدمينة من الوجد ،
 وإن الريح وهي الريح لينعدهم صوت هبوبها هل تراه كرر لفظ الحصى
 مرتين إلا ليؤكد انهيار صلابته متى أصابه وجده ؟ .

فلو أن ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لمن هبوب

لأنه دون حصر يكرر ذكر ليلاه ، فلو كان بعدد ما يكرر يستغفر الله لعاش في الدنيا بلا ذنب . إن دكلنا ، في هذا المقام واسعة الصدى بلاحد ، يمتد تحت دلائها تكراره لاسم ليلاه بلانهاية .

ولو أننى أستغفر الله كما ذكرتك لم تكتب على ذنوب

ألا يحذر بنا أن نقول بعد ذلك النماذج : إن التكرير فيها مثيره الوجد ، وأمه يشيع في النص حرارة العاطفة ، وأنه ينقل هذه القيم من قلوب الأحياء إلى قلوبنا ؛ لنقول لهم في رفق المواسى : أيها المساكين ما أعظم البلوى وأقل المعين ، عافاكم الله من جنون الحب وعافانا بانزان العاطفة ؟

٢ - التذكر والحنين

من أقرب الأغراض المتصلة بالغزل إلى الاتكاء على أسلوب التكرير ، التذكر والحنين ، أعم من تذكر المحبوب والحنين إليه ، وإن يكن محبوباً كل ما يحن إليه القلب من بلد نازح ، أو ماض غارب ، أو شباب مرتحل ، أو ساعة صفو أدرك النفس فيها ضياء الأمل .

كل ذلك مشدود إليه قلب الإنسان ، مهما شغله الحاضر عنه ، أعادت حنينه إليه شررة ، من كلمة عابرة ، أو حمامة طائرة ، أو غصن يهزه الفسيم ، أو حلم يعيد عيشه القديم ، فيرسل ذلك الحنين لونا من الوجد ، يكون فيه المكرر من اللفظ ، هو القاعدة أو الينبوع ، الذى انطلق منه الخيال يسجل الصورة .

١ - وموطن الإنسان وحماء عزيز على النفس غال على القلب ، لا يعرف تدرجه ، مثل المبتلى بفراقه ، وقد رأينا الوفاء الجم والحنين اللاهث إلى الحمى والمرايع ، يأخذ في الشعر مكانا أخلاق به أن يأخذه ، ورأينا ترديد

الغواي من الأسماء التي أثارت الحنين وامتلكت زمام العاطفة ، وهي أفات
تتكرر أو دموع تتابع ، لا تملك وجداننا أمام استرسالها ، أن يهتز يردده
صداها كأوتار معزف حزين . ولقد يدفعك مثلي إلى العجب أن ترى
بعض النقاد يذم تكرير لفظ لو كان هو المصاب ببلوى شاعره لضاعف
تكريره ؛ لأن في ذلك الإفشاء به بثا بعد بث ، وتنفسا مديداً يعالج به القلب
من ضواغط الأشجان .

قف قليلا مع جميل يشتاقي أثلاث القاع في حنين ولهفة ، وكن جميلا
صاحب هذه الأثلاث ، أكنت لو عبرت عن هذا الحنين أقل منه ترديدا
لندائها الذي ناداها ، كأن الريح تحمل إليها النداء فسمع ثم تجيب ؟

فيا أثلاث القاع من بطن توضح
حنيني إلى أطلالكن طويل
ويا أثلاث القاع قلبي موكل بكن وصبري دونكن قليل
ويا أثلاث القاع أدمع صحتي مسيري فهل في ظلكن مقيل
فأشرب من ماء الحجليات شربة يداوى بها قبل المات عليل
أريد انصباباً نحوكم فيصدني ويمنعني دين على ثقليل
أحدث نفسي عنك أن لست راجعا
إليك فخرني في الفؤاد دخیل

ثم تأمل ما علق بشعب بوان من حنين هذا الشاعر الواق :

إذا أشرف المحزون من رأس تلة على شعب بوان أفاق من الكرب
وألهاه بطن كالحريرة مسه ومطر ديجرى من البارد العنب
وطيب ثمار في رياض أريضة
وأغصان أشجار جناها على قرب
فباقة ياربح الشمال تحملي إلى شعب بوان سلام في صب

أنفكر إذن على ميسول بنت بحدل أن تنزل في قياسي قلبها كل مظاهر
الحضارة ، حين تزوجها معاوية وهو خائفة ، ففكرت ، أحب إلى ،
سبع مرات ، تفضل بها ماضي البادية مشتاة لايه ، مخلوعة القلب لفراقه ؟

ليت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من نصر منيف
وبكر يتبع الاظمان سبعا أحب إلى من بغل زفوف
وكلب ينبع الطراق عني أحب إلى من قط أليف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي أحب إلى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج أحب إلى من نقر الدفوف
وخرق من بني عمي نحيف أحب إلى من علج عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغى سوى وطني بديلا فحسبي ذاك من وطن شريف

والحمى ، وأهل الحمى ، وهوى الشاعر وهوى ناقله ، وكبد الشاعر
وكبدها ، يطالعا في صوت عروة بن حزام كما رواه المبرد :

فن بك لم يغرض فإني وفاقي
بحجر إلى أهل الحمى غرضان
هوى ناقي خلفي وقدامي الهوى
وإني وإياها لختلافان

تحن فتبدي ما بها من صباة
وأخفى الذي لولا الأسي لقضاني
فيا كبدينا أجلا قد وجدتما بأهل الحمى ما لم يجد كبدينا

إذا كبدا ناخافتا وشك نية وعاجل بين ظلنا تجمان
أترام مع تكرير أهل الحمى ، والهوى ، وما يلاق الكبدان - قد
أخفى تجلدا فاختلف لطفة وحنينا عن الناقة ؟

إن خلع الحنين بالتعقيل على الناقة ، حتى كأنها شريكه النازح المكروب
في لذعات وجده ، لدليل انطلاق الماطفة من قلبه إلى كل صاحب في رحلته
وليس هذا بغريب ، ولم لا يكون للحيوان حنين إلى ما ألف من الربوع ،
وأنت لو جعلت حبله على الغارب غليظة ، لسبقك إلى الدار - فرأيت بها
رانما .

لا مكان لطير أحب إليه من عشه ، ولا جحر لينة أبهى في هينها من
جحرها ، ولو صنع لها من زبرجدة خضراء ، أو ياقوتة حمراء ، وامتلأ
حولها تبنا وسكرا وماء ورد !

هذه أم الحسام المرية البدوية ، وهي في أرق حياة بالمدينة ، ومع أحفل
زوج يكرام عشير - نحن أشد الحنين إلى البداوة الأولى ، باكية عهدا
الغارب في ربوع نجد ؟

أقول لأدنى صاحبي أسره
وللعين دمع يحذر الكحل ساكبه

لعمري لنهى بالملوى نازح القذى
نقى التواحي غير طرق مشاربه
أحب إلينا من صهاريج ملئت للرب فلم تحسن لدى ملاجه
فيا حبذا نجد إذا ما قلصت

ضفى أو سرت جنح الظلام جنايه
باجرع مراع كان رباحه يسحاب من الكافور والمسك شابه

فأشهد ما أنساه ما دمت حية وما انحاز ليل عن نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب حلف صباية
بذكره حتى يترك المساء شاربه

وهل تذكر على الصمة القشيري هيامه بالنير : ذلك الهضب الذي
رافقه فيه ماضى حياته ، وهو يكرر اسمه رابطا به قلبه ووجدته ؟

خليلي إني واقف فسلم على النير فارتاحا قليلا فسلما
فإني أحب النير والبرق التي بها النير حبا خالط اللحم والدم
فلو زال هضب النير من سكناته ليممت من وجد به حيث يمتما
ولو كنت صم الجبال بموطن صديقا لحيانا إذن وتكلما

أم تذكر عليه ترديده ذكر الحمى وبشامه ، بذلك القلب الخافق كأنه
فوق جناح طائر ؟

تعز بصبر لا وجدك لا ترى بشام الحمى أخرى الليالي الغوار
كان فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفون به ريش طائر

لقد أنكروا في جمود عاطفة . تكرار أبي السمت اسم (نجد) هذه
المرات كلها في قليل من الآيات ، وما أراه بمنكر عليه ، لولا بثه الوجد
بنجد في مديحه المتوكل :

سقى الله نجدا والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأى والبعد
نظرت إلى نجد وبغداد دونها لعل أرى نجدا وهبات من نجد
ونجد بها قوم هوام زياتي

ولا شيء أحلى من زيارتهم عندي

ولكن مالك بن الربيع ما كان يكرر في مدح ولا غزل ، حينما هممه

الهم غريباً عن الغضا ، موحشاً في خراسان ، يقلب طرفه حوله فلا يرى
آسيا أو مواسيا !

بعيد غريب الدار ثاو بقفرة يد الدهر معروف بأن لاتدانيا
أقلب طرفي حول رحلى فلا أرى

به من عيون المؤنسات مراعي

لأنه كائن زريق يوم سجل عينيته ، أدركه اليأس من أن يعود ظافراً ،
فإذا تشهى الغضا ، وأن لو لازم الغضا ، فكرر اسمه ست مرات في ثلاثة
آيات - فهو آخر عزاء لنفسه ، إنه عيش ساعة في ذكره إذ فقد العيش
في حقيقته !

الآيت شعري هل أيتن ليه

بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا ؟

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه

وليت الغضا ماثى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا

مزار ولكن الغضا لبس دانيا

لله دره وهو يكرر دقه دري ، في صدور هذه الآيات ، إنها معنونة
له في تكريره الغضا ، كل هذا العدد ، فالغضا هو مسرح ماضيه ، ومستقر
أحبابه وأمله ، والغضا هو المكان الذي سيجد فيه رثاءه ودموع البواكي
عليه إذا مات !

فله دري يوم أترك طائماً بني بأعلى الرفتن وماليا

ودر الظباء السانحات عشية يمنون أنى هالك من ورايا

ودر كبرى اللذين كلاما على شفيق ناصح لو نهايا

(١١ - التكرير)

ودر الرجال الشاهدين تفتكى بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا

ودر الهوى من حيث يدعو صحابه

ودر لجاجاتي ودر انتهاانيا

نعم لقد ترك بالرمل ما يحلو به تكراره ، وماله مع تكراره نشوة
ذكرى ، في ساعة يظن أنها الفراق إلى حيث لا يكرن التلاق .

وبالرمل منا نسوة لو شهدنى بكين وفدين الطيب المداويا

وما كان عهد الرمل عندى وأهله

ذميا .. ولا ودعت بالرمل قاليا

فهن أمى . ا وابنتاى . ا وخالتى ا

وباكية أخرى تهيج البواكيا ا

٣ - أما تذكر الشباب والحمين إليه ، فإزى من تركهم الشباب عراة
من الهجة بالعيش ، إلا حانا إليه باكياً عليه ، يردد ذكره ترديد العاشق
البائس من عردة الهوى ، متغزيا برجع الصوت ورنين الصدى .. ولو
صاحب التردد من قلبه زفرات الحزن وعبرات الفقد لأغلى حبيب
في الحياة ا

سمع الرشيد منصوراً النمرى يذكر عبور الشباب في حسرة ، ويكرر

حروفه في حزن :

مانتقضى حسرة منى ولا جزع إلا ذكرت شباباً ليس يرتجع

بان الشباب وفاقتنى بشرته صروف دهر وأيام لها خدع

ما كنت أوفى شأبى كنه عزته

حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع ا

فبكى الرشيد وقال : يا نمرى ، ماخير دنيا لا يخطر فيها يبرد الشباب ؟

إن فقد الشباب ثكل عند فاقده ، وغصة يشجى بها مفارقة ، وقد عبر عنه
كذلك النمرى :

إن كنت لم تطعمى ثكل الشباب ولم
تشجى بغصته فالعذر لا يقع
أبكى شباباً سلبناه وكان ولا توفى بقيمته الدنيا ولا تسع
ماواجه الشيب من عين وإن ومقت
إلا لها فبوة عنه ومرتدع

وابن الرومى الشاعر الفياض ، نصيبه الكبرة ، ونفسه نفس شاعر
يصبو ، فيذكر الشباب عند كل عزوف عنه من غانية ، وعند كل هوان
لنابيه على حسناء ، ثم لدى كل روضة غناء كانت لشبابه مغنى ، وكل جدول
ماء كان شريكاً لشبابه فى اطراد الأمل ، بل عند كل صبا كان له عند هبوبها
قديم صبوة ، وكل برق يلمع وحمامة تسجع . . أى لا ينسى شبابيه وكيف
يضى ، وهو به يستضىء فى حللكة تسبق جدران رومه إلى قدميه ؟ إن الشباب
وإن رحل شمس تطل على الشيخ من وراء الغمام :

يقول من قصيدته إلى هبة الله بن عبد الله :

صبا من شباب مفرقه تصاب وإن طلب الصبا والقلب صاب
أعاذل راضنى المك شيب رأسى ولولا ذاك أعياك اقتضاب
فلوى سامعاً لك أو أفينى فقد حان اثابك واتاب
وقد أغناك شيبى عن ملاى كما أغنى العيون هن ارتقاب
خضضت من الجفون فليست أرمى

ولا أرمى بطسرف مستراب
وكيف تعرضى للصيد ؟ أنى وقد ريشه قداحى باللقاب
كنى بالشيب من ناه مطاع هل كره ومن داع عجاب

حططت إلى النهى رحلى وكنت مطية باطلى - بعد الهباب
وقلت مسلماً للشيب : أهلاً بهادى المخطئين إلى الصواب

• • •

يذكرنى الشبابَ صدى طويل إلى برد الثنايا والرضاب ؟
وشح الغايات عليه إلا عن ابن شبيبة جون الغراب
فإن سقينى صردن شربى ولم يك عن هوى بل عن خلاب
يذكرنى الشباب هوان عتبى وصد الغايات لدى عتابى
ولو عتب الشباب ظهير عتبى رجمن إلى بالعتبى جوابى
وأصغى المعرضات إلى عتاب تحط به الوعول من الهضاب ا

• • •

يذكرنى الشباب سدهام حتف يصن مقاتلى دون الإهاب ا
رمت قلبي بهن فأقصده طلوع النبل من خلل الثقاب
فراحت وهى فى بال رضى ورحمت بلوعة مثل الشهاب
وكل مبارز بالشيب قرناً فسبى - لعمرك - غير ساب ا
ولو شهد الشباب لذن اراحت وإن بها - وعيشك - ضعف ما ا

• • •

يذكرنى الشباب جنان عدن على جنبات أنهار عذاب ا
تفيء ظلها تفحات ريح تهن متون أغصان رطاب
إذا ماست ذوائها تداعت بواكى الطير فيها بانتحاب
يذكرنى الشباب رياض حزن ترنم بينها زرق الذباب
إذا شمس الأصائل عارضتها وقد كربت توارى بالحجاب
وألفت جنح مغربها شعاعاً مريضاً مثل الحاظ الكعاب
يذكرنى الشباب سراة نهى نيمر المساء مطرد الحباب

فرته مزنة بكر وأخى تفرقه الصبا مثل الراب
على حصباء في أرض هجان كأن تراها ذفر الملاب
له جلك إذا اطردت عليه قرأت بها سطوراً في كتاب
يذكرني الشباب صباً بليل رسيس المس لاغبة الركاب
أنت من بعد ما انسجت ملياً على زمر الرمي كل انصحاب
وقد عبت بها ريا الخزامى كريا المسك ضوع باتهاب
يذكرني الشباب وميض برق وسجع حمامة ، وحنين ناب
فيا أسفا ! ويا جزما عليه ! ويا حزنا إلى يوم الحساب
ألجع بالشباب ولا أعزى ؟ لقد غفل المعزى عن مصابي
تفرقتا على كره جميعاً ولم يك عن قلى طول اصطحاب
وكانت أيسكى ليد اجتناء نعاذت بعده ليد احتطاب
أيا برد الشباب لمكنت عندي من الحسنات والقسم الرغاب
بليت على الزمان وكل برد فبين بلى وبين يد استلاب
وعز هلى أن تبلى وأبقى ولكن الحوادث لا تحابي
لبستك برهة لبس ابتذال على على بفضلك في الثياب
ولو لم لكنت صونك فاعلمنه لصنتك في الحرير من العياب
ولم أبسك إلا يوم نخر ويوم زيارة الملك الباب

أرايت كم ردد ابن الرومي حروف الشب والشباب في حرفة وجد ،
ولو عه حنين وفقد ؟

أنذا كنت محرر هذا الفصل كنت تقنع من قصيدته تلك بأقل مما قدمته
بين يديك ؟

إن التكرير في أدب التذكر والحنين أصدق اتصالاً بأعماق الوجدان ،
والصدق أصالة بلاغة العبارة ، ولهذا كان أمزازنا لروحه !

٢ - الاعتذار والتنصل

يتصل الاعتذار والتنصل بفرصة الخوف ، التي يتشعب منها أنواع لها امتزاج بكثير من عواطف الإنسان وميوله ؛ ولهذا نرى ظاهرة التكرار في مواقف الاعتذار والتنصل ، منبعثة من وجدان المعتذر ، تأكيداً للبراءة من الذنب ، أو للتوبة من موجب المؤاخذه ، أو رد الاتهام على الواشى ، والدفاع عن النفس بالتنصل بشديد حماس يفرضه البراءة ، والإقرار عليها بالجريرة زجل ندم يستدر الصفح عن يملك التثريب والعقاب .

فيما حدث به الجاحظ : د جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم ، فأقبل نعيم حافياً حامراً وهو يقول : ذنبى أعظم من السماء ! ذنبى أعظم من الهواء ! ذنبى أعظم من الماء . . فقال له الحسن بن سهل : على رسلك ! تقدمت منك طاعة ، وكان آخر أمرك إلى توبة ، وليس للذنب بينهما مكان ، وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

هذا التردد المتلاحق للذنب وعظم مقداره ، مادفع نعيماً إليه إلاخوف العقوبة ، والإحساس الصادق بما جنى من المخالفة :

هل تراه كتكرير الحسن بن سهل في الجواب ، وهو هادئ النفس رابط الجأش مستحضر العقل ؟

وأبو نواس يلجج لسانه بدفع قلبه فيجد في التكرير سعة في التأثير فيقول للخليفة :

بك أستجير من الردى	متعوذاً من فرط بأسك
وحياة رأسك لأعدو	د لمشلى وحياة رأسك
من ذا يكون أباً نوا	سك إن قتلت أباً نواسك

أكان أبو نواس مافويت بالأمين صلته يأمن جانب الغضب عليه ؟

أما الحارث بن هلال التيمي ، فقد عذلته امرأته للفرار من الوغى ،
فوقف أمامها يكرر النداء في مقام الاعتذار والتنصل من عار الفرار
لعلها تعذره :

أعاذل إني لم ألم في قتالهم	وقد عض سبني كبشهم ثم صمما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته	أكر إذا مافارس القوم أحجبا
أعاذل ماوليت حتى تبددت	رجالى وحتى لم أجد متقدما
وحتى رأيت الورد يدمى لبانه	وقد كمت الأبطال فانتعل الدما
أعاذل أفنان السلاح ومن يطل	مقارعة الأبطال يرجع مكما

وتعذل على بن الجهم عاذلته وقد سجنه المتوكل ، فيكرر مادة الحبس ،
في التنصل ودفع الملامة مرات ، ويذكر شرفه وبراهنه ، ويكرر تذكير
الخليفة بالنسب الشريف تعظفا ، كما يكرر نداء أحمد بن أبي دؤاد يستنهض
ممنه ليسمى في خلاصه .

قالت : حبست فقلت ليس بضائرى
حبسى وأى مهند لا يغمد ؟
أو مارأيت الليث يالف مثله
كبرا وأوباش السباع تردد

• • •

والحبس مالم تفشه لدنية	شنماء نعم المنزل المتورد
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه	لا يستذك بالحجاب الأعْبُورُ
بيت يحدد للكرم كرامة	ويزار فيه ولا يزور ويحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه	خوف العدى ومخاوف لا تنفذ

أتم بنوعم النبي محمد أولى بما شرع النبي محمد
ماكان من حسن فأتهم أهله كرمتم مغارسكم وطاب المخذ

• • •

أمن السوية يا ابن عم محمد خصم تقربه وآخر يبعد ؟
يا أحمد بن أبي دؤاد إنما تدعى لسكل كريمة يا أحمد
إن الذين سعوا إليك باطل أعداء نعمتك التي لا تجد
شهدوا وغبننا عنهم فتحكموا فينا وليس كغائب من يشهد

إنه كاد أن ينقلب عاتبا لأنما لشدة إيمانه ببراءته :

وهذا فروة بن مسيك الدارمي ، يبرر ما أصابهم في يوم (رزم)
متنصلا بما كان لهم من نجاح في الماضي . ويستعمل في ذلك تكرار
القياس والتأويل :

فإن تغلب فغلابون قدما وإن نهزم فغير هزمينا
وما إن طبتنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا ولو بقي الكرام إذا بقينا
كذاك الدهر دولته سجال تكرر صروفه حيننا لحيننا
فأفنى ذلکم سروات قومی كما أفنى القرون الأولينا

أما قيس بن الخطيم فيكرر ذكر الحرب التي هي مدار اللوم
والرد على العاذلين ، كما يكرر دفعه إياها ومحاولة البعد عنها متنصلا
أن يكون أتما غير مضطر دون إباء عوف وإلحاحهم على شنها .

دعوت بني عوف لحقن دماهم
فلما أبوا ساحت في حرب حاطب

وكنتم أمراً لا أبعث الحرب ظالماً
فلما أبوا أشعننا كل جانب
أربت لدفع الحرب حتى رأيتها
على الدفع لا تزدد غير تقارب
فإن لم يكن في غاية الحرب مدفع
فأهلاً بها إذ لم تزل في المراجب

ويقتل توبة بن المضر العبدى خاله ، فتبكي أمه حزينة عاذلة لقتله
أخاها ، وقد رأت آثار دمه على سيف ابنها ، فيعتذر ابنها بأنه. إنما قتله
ثأراً بخلبه طارق ، الذى لم يجد من بنى عوف مكافئاً لدمه إلا ذلك الخال
الذى وقع عليه سوء الطالع .

لأنه يكرر اسم طارق ، ويكرر خلته ، تكرر أ يؤكد حبه العميق له ،
الذى به اختل شعوره لمصرعه حتى فعل ما فعل .

بكت جزءاً أمى رمية أن رأت
دماً من أخيمها بالمهند باقياً
فقلت لها : لا تجزعى إن طارقاً

خليلى الذى كان الخليل المصافيا
وما كنت لو أعطيت ألفى نجية وأولادها لهوأ وستين راعيا
لأقبلها من طارق دون أن أرى

دماً من بنى حصن على السيف جارياً
وما كان فى عوف قتيل علمته ليوفيني من طارق غير خالياً

وقديماً أتى النابغة خبر لوم أبى قابوس ، ووعيده الذى ضاق به على
النابغة كونه ، عن أن يكون له فيه مهرب بقيه فتك النعمان به ، فكرر

ذلك الفعل الذى أزعجه وأطارد أمنه ، كرره واقفاً وإليه بالنذير ، وكرره واقفاً إلى النعمان بالنسيمة والحقد ، متبرئاً من مقالة السوء ، آملاً شفاعته ماضيه فى حاضره :

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه	أتانى ودونى راكس فالضراجم
فبت كأتى ساورتنى ضئيلة	من الرقش فى أنيابها السم نافع
أتانى - أبيت اللعن - أذكى لمتنى	وتلك التى تستيك منها المسامع
مقالة أن قد قلت : سوف أنله	وذلك من تلقاء مثلك رانع
لعمرى وما عمرى على بهين	لقد نطقت بطلا على الأفارع
أتاك امرؤ مستبطن لى بغضة	له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل النسج كاذب	ولم يأت بالحق الذى هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله	ولو كبكت فى ساعدى الجرامع

وقد جاء كعب بن مالك إلى النبى صلى الله عليه وسلم يعتذر ، ويتنصل من أقوال الوشاة ، فكرر لفظ (رسول الله) مرات حيث يقول :

أثبت أن رسول الله أوعدنى	والعفو عند رسول الله مأمول
فقد أثبت رسول الله معتذراً	والعفو عند رسول الله مقبول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ	قرآن فيها مواعيط وتفصيل
لأناخذنى بأقوال الوشاة ولم	أذنب وإن كثرت فى الأفاويل

أحد عرف كيف ينتخب اللفظ الذى يجب أن يكرر ليدفع عن نفسه بتأكيد مدلوله ريب المراتب فى عقيدته ، فتأكد اعترافه بأنه رسول الله ينفى التهمة ويزيل الريبة .

ويلحق بالاعتذار والتنصل فى الإلحاح بالتكرار مقالة الندم ، كما نرى فى قول عبد الرحمن بن أبى بكر ، إذ ندم على تطليق عائشة بنت زيد :

فلم أر مثلي طلق اليوم مشاهدا ولا مثله في غير ذنب تطلق
 لها خلق مهمل ، وحسن ، ومنصب
 وخلق سوى ما يعاب ، ومنطق
 أعانك قلبي كل يوم وليلة إليك بما تخفي القلوب معان
 أعانك ما أنساك ماذر شارق ومالاح نجم في السماء محلق

٤ - المدح

المدح صدى انفعال المادح بمحاسن المدوح ، متى كان مدحا ينبوعه
 الصدق ، فالتكرير الذي يصحبه هو صوت التعبير عن تأكيد مدلول اللفظ
 المكرر في نفس المادح ، سواء كان المدوح شخصا ، أو بلدا ، أو معنى ،
 أو غير ذلك مما يملك الإدهاج ، ونحن لانحلي أشعار المتكسبين بالمدح ،
 من أن يكونوا مدفوعين بصدق العاطفة في أحيان كثيرة ، فإن خلوا عن
 الإعجاب بمحاسن المدوح فإنهم ما يخلون عن حب الفلج بمدحهم واكتساب
 الخلود ، ومن المادح التي اتمكأت على التكرير ، ما نادى الحجاج به ليلي
 الأخيلية فاتخذت ألوانا من التريد للألفاظ التي تعد ركاز القوة في مدحه
 إذ تقول :

أحجاج إن الله أعطاك غاية يقصر عنها من أراد مداها
 أحجاج لا يفلل سلاحك إنما .. منايا بكف الله حيث تراها
 إذا هبط الحجاج أرضا مريضة
 تتبع أقصى داتها فشناها
 شفاها من الداء العذال الذي بها غلام إذا هو القناة سقاها
 سقاها دماء المارقين وعلم إذا جمعت يوما وخيف أذاها
 إذا سمع الحجاج رز كتيبه أعد لها قبل النزول قراها

أعد لها مصفولة فارسية بأيدى رجال يحملون صراها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناهم
ولا كل خلاف تقاد بيعة فأعظم عهد الله ثم شرها

ويمدح أيمن بن خزيم بشر بن مروان ، فيكرر نسبه الذى له فى
العراقة ما يزيد فضلا على فضل ، فهو كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها
فى السماء .

انظر بنوته لهذا الأصل كم تكررت فإنه إلى منتهى الأجداد كابرث
كأراً .

يا ابن الذوائب والذرى والأرؤس

والفرع من مضر العـقـرائى الأفسر

وابن الأكارم من قريش كاهن وابن الخلائف وابن كل قلمس
من فرع آدم كاهن عن كابر حتى انتهت إلى أهلك العنيس

وهكذا يمدح جرير عبد العزيز بن مروان ، فانظر كيف أدار الممدح
على اسم الذات التى امتلكت إعجابه ، وعلى تكرار التقسيم لأيام مجده ،
وتكرار البيان لأنواع فضله :

إذا قلت لى : عبد العزيز كفيتنى	زمانا فشت علانته ومباخله
فيومان من عبد العزيز تفاضلا	ففى أى يوميه تلوم عواذله
فيوم تجبير المسلمين جياده	ويوم عطاء ما تغب فواضله
وللترك من عبد العزيز وقية	وللروم يوم ماتم حوامله
فما وجدوا عبد العزيز مزمرا	ولا ذا سقطا عند أمر يحاوله
ولا جافيا عن قائم السيف قبضه	إذا يفشل الرعيد قضت أقالمه

يقطع حوائله
يفلص بالفضلين: فضل مفاضة وفضل نجاد لم تقطع حوائله

فلا هو من الدنيا مضيع نصيبه

ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فهذا بديع ليس في الناس مثله وهذا مديح لا يكذب قائله

ولاعجب أن يكرر شاعر علوى ، هو السيد الحميرى ، اسم ممدوحه

(على - رضى الله عنه) فلا يترك بيتاً من مدحته إلا جعله له فاتحاً ، وذلك

حين نقرأ :

عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِزِّهِ

إذا الناس خافوا مهلكات العواقب

على هو الحامى المرجى بفعله لدى نثر يوم باسل الشر عاصب

على هو المروء والذائد الذى يذود عن الإسلام كل مناصب

على هو الغيث الربيع مع الحيا إذا نزلت بالناس إحدى المصائب

على هو المأوى لكل مطر شريد ومنجوب من الشر هارب

على هو القاضى الخطيب بقوله يحى بما يعيا به كل خاطب

على هو البدر المنير ضياؤه يضى سناه فى ظلام الغيايب

على أعز الناس جاراً وحامياً وأقتلهم للقوم يوم الكتاب

على أعم الناس حلماً وثباتاً وأجودهم بالمسال حقاً لطالب

على أكف الناس عن كل محرم وأتقاهم لله فى كل جانب

كما يخاطب مسلم بن الوليد ممدوحه الفضل بن يحيى ، فيتخذ من تكرير

لفظ واحد ثلاث مرات ، على وجه الطباق من وجه والوفاق من وجه

أعظم وصف مما يوصف به الممدوح :

قطعت في الله أرحام القريب كما وصلت في الله أرحاماً وأرحاماً
يصيب منك من الآمال صاحبها

حلمها ، وعلمها ، ومعروفها ، واسلامها

أما وجه الطباقي فيبين القطع والوصل ، وأما وجه الوفاق فبأن
كلامهما ، في الله ، حيث تكرر في الموقعين من الشطرين . فضلاً على
تكثير الأرحام بالتكرير ، ثم إلى هذا الشطر الأخير فانظر ، من قول
كثير يمدح عمر بن عبد العزيز :

ولو يستطيع المسلمون اقتسموا لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فعميت به ما حجب الله راكب مغذ مضيف بالمقام وزمزم
فأرعب بها من صفقة لمبايع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

وبصفة (الملك) يتشبه أبو نواس ، يكررها في مدحة الآمين ، لينى
على هذا المكرر من صفات الممدوح ما يرى أنه كفاء بمدوحه :

إن الذي يرضى الإله بهديه ملك تردى الملك وهو غلام
ملك إذا اعتسر الأمور مضى بها

رأى يفل السيف وهو حمام
ملك إذا علقت بذاك بحبله لا يمتريك البؤس والإعدام

وقد يمدح زهير هوماً ، فجعل من تكرار اسمه عماداً لمدحه :
قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً
من يلق يوماً على علانه هوماً يلق الساحة منه والندى خلقاً

تماماً كما اقتضد الشياخ تكرار اسم عرابة الأوسي في قوله :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى العليا منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

وجمال التكرير وقوة اتصاله بالمدح نراه جلياً في جمال المقابلة من قول
أبي العتاهية :

إن المطايا تشتكك لأنها قطعت إليك سباباً ورمالاً
فإذا وردن بنا ووردن خفافاً وإذا صدرن بنا صدرن ثقلاً

كما يكرر الكميت عطاء مغلد بن يزيد تذكيراً على وجه التصريح ، ثم يرى
المعجز عن الحصر بالمدح فيجمل ، ويسجل للمدوحه في كل عطاء تليها
وانشراحاً فمل الكريم بالسجدة .

فأعطى ، ثم أعطى ، ثم عدنا
فأعطى ، ثم عدت له فعدا
مراراً ما أعود إليه إلا تبسم ضاحكاً وننى الوساد

وطوق بن مالك يفد عليه أعرابي مكروب ليمدحه ، فإذا اسم طوق
يتردد بقدر ما طوق الأعرابي من جميل المكارم .

يا طوق إن الزمان حاربني وكنت في إخوة وأحوال
فقلت : من لي وللزمان ومن يصدق ظني به وآمال
فقيل . طوق بن مالك ملك الناصب وماوى الطريد والجالى
طوق إذا عاذ واستعاذ به لا ملهوف أضحى بموضع الوالى
فجئت يا طوق عائداً بك من ر الزمان وسوء أعمال

أ. عبد الله بن جعفر فيعطى أعرابياً مدحه راحلته ودبفه ، وما كان

لديه غيرهما ، وماذا يصنع أقل من ذلك واسمه يتردد في شعر سيبقى هلى
الزمان كما نسج له اليوم .

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر إن الحجيج ترحلوا وليس لرحلى فاعلمن بعير
أبا جعفر ضن الأمير بماله وأنت على ما فى يدك أمير
وأنت امرؤ من هاشم فى صميمها إليك يصير المجد حيث تصير

إنها سُنَّة فى المدح ذلك التكرير ، تحقق مشتهى النفس من الممدوح
والمادح ، لهذا نرى أبا الأسود الدينورى يقول فى مدح الفيض :

أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندى

ومن ذا الذى يثنى السحاب هن القطر
كأن وفود الفيض يوم تحملوا إلى الفيض لا قوا عنده ليلة القدر
مواقع جود الفيض فى كل بلدة مواقع ماء المزن فى البلد القفر

٥ - الفخر

يشير الفخر نازع : كإعجاب بالنفس ، أو الشعور بالنقص ، أو إثارة
الغامزين أو تحدى المعارضين ..

والتكرير ظاهرة يغلب وجودها مع الفخر كما غلبت مع غيره من الأغراض
الخطابية ، فيتخذ الفخر شخصا ، أو وصفا ، أو حادثا يراه بالتكرار
أجدر بتأكيد الغرض ، فيجعله محورا يدبر عليه ما شاء من إملاء عاطفته .
وذات المفخر هى أولى الذوات بأن تكون ذلك المحور ، كالذى نراه
فى قصيدة عمر بن كاثوم من تكرير ضمير المتكلم ، موصوفا بمهالى الصفات
حتى أن بلغ غاية ما يشبع الوجدان ويستنفذ الثورة :

أبا هند فلاتجعل علينا
 بأننا نورد الرايات بيضاً
 وأيام لنا غر طوال
 وسيد معشر قد توجوه
 تركنا الخيل عاكفة عليه
 وأنزلنا البيوت بذى طلوع
 وقد هرت كلاب الحمى منا
 متى ننقل إلى قوم رحانا
 إلى أن يقول :

ونحن غداة أوقد في خرازي
 ونحن الحاسبون بذى أراطى
 ونحن الحاكمون إذا أطعنا
 ونحن التاركون لما سخطنا
 وكنا الأيمنين إذا التقينا
 إلى أن يقول :

وقد علم القبائل من معد
 بأننا المطعمون إذا قدرنا
 وأنا المانعون لما أردنا
 وأنا المانعون لما يلينا
 وأنا التاركون إذا سخطنا
 وأنا العاصمون إذا أطعنا
 ونشرب إن وردنا الماء صفوا
 إذا قب بأبطحها بذينا
 وأنا المهلكون إذا ابتلينا
 وأنا التازلون بحيث شينا
 إذا ما البيض زابلت للمفرونا
 وأنا الآخفون إذا رضينا
 وأنا العارمون إذا عصينا
 ويشرب غيرنا كدراً وطننا
 (١٢ - التكرير)

إن الدق بهذه الضمائر المتوالية بصيغة الجمع على أذن المخاطب ليكاد ينسيه ذاته . . إن كل ضمير منها يقذف ما أسند إليه في قلب عمرو ابن هند وأبلا من فزع ورعب ، فهو غر غير مجرد من سهام التهديد .

وتكرير الانتقاص والإنكار والتهكم في هذه الممعة يزيد تكرار الفخر عمقا ، فالفخر تثبت لذات المفتخر ، والانتقاص والإنكار هدم لذات المخاطب حتى تتلاشى أمام صاحبه .

انظر إلى هذه الجمل الاستفهامية المتكررة لتحقيق هذا الفرض :

بأى مشيئة عمرو بن هند نكون لقيسكم فيها قطينا ؟
بأى مشيئة عمرو بن هند ترى أنا نكون الأردلينا ؟
بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا ؟
تهددنا وأوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتونيا ؟

لقد بلغت قمة الثورة الوجدانية والإثارة العاطفية . وقد مهد لها الشاعر تمهيدا ساقته طبيعة الانساق الشعوري ، والتكامل في الداعى ، تكرار حرف التنبيه كجرس يدق للهجوم مرتين :

ألا لا يعلم الأقوام أنا
تضعضنا وأنا قسد ونينا
ألا لا يجهن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لأنه تعميم الترهيب والتحذير قبل تخصيص الخطاب بعمرو بن هند ، لينبه مرة بالزوم وأخرى بالمواجهة ، وما أجمل أن يجعل مجازاة الجاهلين عليهم جهلا ، لأنه لا يكرر هذه المادة لتحصيل المجانسة اللفظية والمشاكاة المحضة ، فليس ذلك مقتضى انفعاله العارم ، وإنما يريد التفريع

والترهيب باستيفاء الصاع صاعين إن لم يزد ، فلا يكتفى بالجزء على المساواة .

هكذا زى ضمير المتكلم يتكرر في الفخر لتأكيد الذات والإعلان عنها بما توصف به من مفاخر في قول هنتر :

إن تغدقى دونى القناع فإنى طب بأخذ الفارس المستلم
أنى على بما علت فإنى سمح غشاظى إذا لم أظلم
فإذا ظلت فإن ظلى باسل مر مذاقته كطعم العلقم

وعلى هذا الفرار يأتى غفره في معلقته ، ونظر الفاحرين في حديثهم .

أما محمد بن حازم فيفتخر شاعراً ، وغفر الشاعر إنما يكون بأشعاره ، فيجمل التركيز والتكرير لمناط الفخر من قصاره البالغات ما لا تبلغ طوال القصائد :

أبى لى أن أطيل الشعر قصدى
إلى المعنى وعلى بالصواب
فأبعثن أربعة وستا مثقفة بألفاظ عذاب
ومن إذا سمعت بهن قوما كأطواق الحمام فى الرقاب
ومن وإن أقن مسافرات تهادها الرواة مع الركاب

وصدق ابن حازم ، فمن قد سافرن إلينا لنجعل منهن مثالا لتكرار الفخر هاهنا .

وأما أبو فراس فلا يفوته الفخر وهو فى متفاه ، فيردد افتداه مقرونا بافتداه الفارس الحامى وافتداه شرف العلى ومن يفود عن عن قومه بالبيان والسنان :

فإن تفتدوني تفتدوا لعلام فتى غير مردود اللسان ولا اليد
وإن تفتدوني تفتدوا شرق العدى

وأسرع عواد إليها معود
يدافع عن أحسابكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهند

ويفتخر الأخطل فيصب غره وتيهه على مدوحيه بندانهم نداء التشهير
بهم ، فيكرر النداء قبل الخير في البيتين كأنه يقول : إياكم أتم لا غيركم
أعنى غير موارد :

أبني أمية إن أخذت كثيركم دون الأنام فما أخذتم أكثر
أبني أمية لي مدائح فيكم

تُسَمِّسُونَ إن طال الزمان وتذكر

لقد غفر عليهم حتى هجاهم بزيادة فضله على فضاهم ، وجعل نفسه فريداً
بكثير عطائهم لاستحقاقه دون سواه ، على ما قدم من عقود مدح تذكر
إذا نسوا ، وإن تقديمه إياهم مرتين في صدرى البيتين لتأكيد لهذا الذكر
الباقى بعده وبعدهم .

ونرى ذلك الأعرابي الأبي يفخر بالكرم على ما هو فيه من الضيق ، فهو
يقسم طعامه بين بطنه وبطن طارق ليل غرثان ، فيجعل المفارقة في تكرار
الطبايق تقريراً لمكرمه .

وإني لأطوى البطن من دون ملته لمستبج في آخر الليل صانع
وإن امتلاء البطن في حسب الفتى قليل غناء وهو في الجسم صالح
لأنه زهو فيه لعطف التعريض والنصح .

أما عمرو بن معد يكرب فإنه يتخذ متكأ لفخره من تكرار نداء عاذلته :

أعازل إنما أفتى شبابي ركوب في الصريح إلى المنادى
أعازل شكى بدنى ورعى وكل مقلص سلس القياد

وتكرير القدر وهى وسيلة لإكرام الضيف ، نراه متكأ زياد الأعجم
فى غره حين يقول هلى سبيل المفاكة :

برأت قدرى موضعاً لجعلتها براية ما بين ميث وأجرع
جعلت لها هضب الرجام وطخفة وغولا أنا في هضبها لم تنزع
وقد كجوف الليل يعد قعرها ترى القيل فيها طافياً لم يقطع
يجعل الأضياف وادى سديها ومن يأتيها من سائر الناس يشبع

وبتكرير الفتوة المقرونة بالشجاعة والجلود والنجدة ، يخبر عن نفسه
مزهوا مسافر بن ترفيه العجلى فيقول :

فتى يكره القرن الكمي لقائه

وهوى ذراه الضيف في السنة المحل

فتى يأمن الجيران خذلانه لهم

إذا طرقت إحدى الأبواب بالأزل

هكذا رأينا التكرير ظاهرة أسلوبية تشيع في الفخر لتأكيد الذات أو
ما يتصل بها من الصفات ، فلنزه على هذا النمط في غرض آخر مهم عندهم
وهو الهجاء .

(٦) الهجاء

لا يهجو الهاجى دون افعال بشعور البفض ، ولا يتهم إلا مثاراً
بشعور الاستخفاف ، لذلك نرى ما يحىء من التكرار في الهجاء هادفاً إلى
عمل الزاوية والعيب ، ألصق بالنفس بما يحىء من التكرار في المدح ؛
لأن المدح قد يصدر عن افتعال التأثر بالممدوح رجاء الثواب ، وكما يجسم
التكرار النقاط المطلوب إبرازها في كل الأغراض ، نجده كذلك في الهجاء
على شكل أظهر ، كالذى نراه في قول حماد عجرد يهجو بشاراً ، فإنه : أولاً ؛
أهدل المهجو من الفرد بدلا مساوياً ، أو عطفه عليه هطف البيان ، وأخذ

ثانياً : يكرر هذا اللفظ تكريراً ينسبنا أنه يريد إنساناً اسمه بشار الشاعر الكبير ، ثم وصفه بالخبث في يومه وأمه وعده فكرر الصفة ، وقد أخذ بعد ذلك يفضل عليه الخنزير في كل صفة مشتركة بينهما على وجه التكرير للموازنة والترجيح ، حتى أشبع رغبته واستنفد طاقته :

قل لشق الجسد في رسمه	ومن يضر الناس من رسمه
للقرود بشار بن برد ولا	تحفل برغم القرود أو تعسه
للقرود بالليث اغترار به	فما الذي أدناك من مسه
يا ابن استها فاصبر على ضغفه	بنابه يا قرد أو ضرسه
نهاره أخبت من ليله	ويومه أخبت من أمسه
وليس بالمتلع عن غيه	حتى يدلى القرود في رسمه
ما خلق الله شيئاً به	من جنه طرا ومن لافسه
واقه ما الخنزير في ثقته	من ربه بالعشر أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه	ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه	ونفسه أبل من نفسه
وعوده أكرم من عوده	وجنسه أكرم من جنسه

ثم نتجه إلى ابن الرومي ، فنجد بهجوه متكناً إلى ألوان من تكرير القياس ، والمقابلة ، والمفارقة ، حتى يترك بهجوه وقد فارق كل فضيلة حسية ومعنوية :

وجهك يا عمرو فيه طول	وفي وجوه الكلاب طول
والكلب واف وفيك غدر	ففيك عن قدره سفل
وقد يحامي عن المواشي	وما تحامي ولا تصول
وأنت من أهل بيت سوء	قصتهم قصة تطول
وجوهم للورى عظات	لكن أقيام طبول

مستفعلن فاعلن فصول مستفعلن فاعلن فصول
يت كعنك ليس فيه معنى سوى أنه فصول

مداورة عجية تقوم على التكرير من ابن الرومي صاحب كل عجية .

وهذه قبيلة تيم يكررها الهاجى فى بيتين اثنين ثلاث مرات ، تقذف بها
بعيداً عن مكرمة يثمر بها الحى الكريم :

ويقضى الامر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود
فإنك لو رأيت عبيد تيم وتيماً قلت : أيهم العبيد ؟

مثل ذلك تشهير الآخر بقبيلة سعد بن عمرو ، حين يدبر الهجاء على ذلك
الاسم ، يتكء بذهن السامعين عليه لئلا ينسوا أنه المراد بالنقيصة :

وكانر بسعد إن سعداً كثيرة ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصراً
ولا تدع سعداً للقراع وخلها إذا أمنت من روعها البلد الفقرا
يروعك من سعد بن عمرو وجسومها وتزهد فيها حين تقتلها خيرا

إن تكرير الاسم تشهير بملوله ، واستئناف لتقديمه مع كل مقبحة ،
إن تكراره خمس مرات على هذا الوجه لا ينقص عن خمس رصاصات
فى القلب :

كذلك صنع الفهرزدق فى بنى كليب :

ولو ترمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضعت لساى
ولو لبس النهار بنى كليب ندمس لؤمهم وضع النهار
وما يغند عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا بجار

هكذا مع هذا الاتساق والتوازن فى مكان المكرر من الايات اخفى

الفرزدق بلؤم بنى كليب نهوم الليل ووضع النهار، وجعل عزيم فضلاهن
سواه أحط من أن يقضى حاجة إلا بشقيع .

أما الخطيئة فلا ينسى أن يهجو أباه الشيخ فيكرر جملة الدم مرتين
ليستوعبه بالهجو في مختلف ظروفه .

فبنى الشيخ أنت لدى تميم وبنى الشيخ أنت لدى المعالي

كما لا ينسى أن يكرر هجاء نفسه بقبح وجهه فيقول :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجهاً قبح الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

وهجاء الخطيئة أباه يذكرنا بهجاء ذلك الأعرابي أباه الذى يشهر بتكرار
أبوته على وجه الدم والتقييح قائلا :

إذا كانت الآباء مثل أب لنا فلا أبت الدنيا على ظهورها أبا
إذا شاب رأس المرء أقصر وارعوى
وإن أبانا حين شاب تشبها

كما يذكرنا هجاء الخطيئة نفسه هجاء حميد الأرقط نفسه بشدة البخل
والاعتداء على الضيف :

إذا ضافنى ضيف سلبت ثيابه
وإن كان ذا طرف أقام على الخسف
أحذره ألا يعود لمثلها فإن عاد عدنا فى الجهالة والعنف

والتهكم والازدراء من أنكى ما يرضح به الهاجى رأس الممجو ، فانظر
كيف كان لتكرير زياد الأعجم وقعه فى هذه الصربات :

فن أتم ؟ إفا نسبنا من أتم وريحكم من أى ريح الإعاصر ؟

أاتم أولي جتم مع البقل والدين
فطار وهذا شخصكم غير طائر ؟

فلم تعرفوا إلا بمن كان قبلكم
ولم تدركوا إلا مدق الحوافر

لأنه أسلوب غريب في تنابع الجمل الاستفهامية المجازية ، التي تحمل كل
منها تهكما جديدا فادح الثقل ، وهكذا يكون التهم والأزدراء .

وإن يكن من الشعراء من هجا أباه أو نفسه ، ألا نتوقع أن يهجو إنسان
قبيلته ؟

هذا السهمري بن جحدر يكرر اسم قبيلته مشهراً بها وقد كان سجيناً
فلم يزره زائر :

ألا ليقتي من غير عكل قبيلتي ولم أدر ما شأن عكل وشيها
قبيلة لا يقرع الباب وفدها لخير ولا يأتي السداد خطيها
فإن نك عكل سرها ما أصابني فقد كنت مصوباً على من يريها

ولا أقي ولا أوجع من تكرار مساور بن مالك القيني ، الذي يؤكد
نصب المهجو لآبيه ليدفع الريب ، ثم يكر عليه ليكمل تأكيد النسب الذم
من قبيته بما رتب عليه من حطة وخزي :

أبوك أبوك أريد غير شك أحلك بالخمازي حيث حلا
فلا أقبيك كي تزداد لؤماً لآلام من أيك ولا أذلا
وإذا هجا إنسان أباه ونفسه وقبيلته ، ألا يهون عليه هجاء زوج قومه
هنرته أو يسوء عشرتها ؟

هكذا نرى هاشم بن خروعة يتكلم بالتكرار على مكان الآلام في هجاء
امراته :

وإني متى عانتها كان عندها
وإعتابها : إن كنت غصبان فازدد

هي الغول والشيطان لا غول غيرها
ومن يصحب الشيطان والغول يكمد

تعوذ منها الجن حين يرونها ويطلق منها كل أفعى وأسود
فإني لشاكها إلى كل مسلم وداع عليها الله في كل مسجد

أما هذه اللذعة في تكرار وجه عمرو وقفاء مقترنين بالسخرية الممهورة
بلباقة التصوير ، فهي جدية بأن تكون من ابن الرومي :

عشقنا قفا عمرو وإن كان وجهه
يذكرنا قبح الحياة والغدر

فتى وجهه كالحجر لا وصل بعده
وأما قفاء فهو وصل بلا هجر

إن الشطر الأخير لتظليل أشنع من السفور ، لأخبت ما يهجي به
من الصفات !

ولملك واجد في تكرير الفرزدق اسم قبيلة جرير ، ووراثتها ، ولقوما
مالا يعوزه البيان حين تقرأ :

أنا ابن العاصمين بنى نعيم إذا ما أعظم الحدنان نابا
أطلب يا حمار بنى كليب بعانتك اللهمم الرغابا

ولم ترث الفوارس من نعيم ولا كعباً بلغت ولا كلابا
ولكن قد ورثت بنى كليب حظائرهم الحبيثة والزرايا
وتحسب من ملائمتها كليب عليها الناس كلهم غضابا

فأخلق من وراء بنى كليب عطية من مخازى اللوم بابا
 بشدى اللوم أروضع للمخازى وأورثك الملائم حين شابا
 لكن ما أخف هذه الملمحة من أبى العتاهية، فى لذع صاحبه بالبخل،
 إنه يكرر رقيقته رجاء أن يشفيه الله بها من بخله :

أرفيك أرفيك باسم الله أرفيكا
 من بخل نفسك عل الله يشفيكا
 ما سلم نفسك إلا من يتساركمها
 وما عدوك إلا من يؤرجيكا
 ثم ما ظنك بعمل اللوم المكرر أكرم من المهجوة وأصله وفرعه ؟
 لقد أصابوا منه شيئا حتى أمّتهم لوم الأحساب أن يقاد منهم لدنو
 شرفهم .

اللوم أكرم من وبرّ ووالده
 واللوم أكرم من وبرّ وماولدا
 قوم إذا ما جنى جانبهم أمّنوا
 من لوم أحسابهم أن يُقتلوا قودا
 ولنختم هذه الجولة من التكرار فى الهجاء بقول فضالة بن شريك فى عاصم
 ابن عمر :

ألا أيها الباغى القيرى أبيت واجدا
 قرأك إذا ما بت فى دار عاصم
 إذا جئت تبغى القيرى بات قائما
 بطيحا وأمسى ضيفه غير قائم

فَدَعُ عاصِماً أَفَّ لَأَفْعَالِ عاصِمٍ
 إِذَا حُصِّلَ الْأَنْوَامُ أَهْلُ الْمَكَارِمِ
 فَمَنْ قَرِيشٍ لَا يَجُودُ بَنَاتِلُ وَيَحْسَبُ أَنَّ الْبَخْلَ ضَرْبُهُ لَا زِمُ
 وَلَوْلَا يَدُ الْفَارُوقِ قَلَّدَتْ عاصِماً
 مَطْوَةً يُحْدَى بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ

هكذا يثير التكرار في مقام المهجاء حب الانتقام ، ويكون أثره
 في نفوس السامعين حطة المهجور ، وفي نفس المهجور ذاته لدعة الغيظ
 والامس ، وكما بالغ بالنخيل ما لا يُبْلَغُ برشق السهام ووقع الحسام .

(٧) الرثاء

قال الأصمعي : قلت للأعرابي : ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟
 قال : لأننا نقولها وقلوبنا محترقة !

وجواب الأعرابي مبين عن مثير الرثاء ، وهو احتراق القلب بالحزن
 لحبيب رحل وإن يعود ، مع استحكام اليأس وانعدام الأمل ، ولا أنقى
 على القلب من فراق الأحباب فراقاً إلى الأبد !

وإذا شاع التكرير في غرض خطابي لتقرير المعاني وتوكيد الصفات ،
 ولاستنفاد طاقة الانفعال في متكآت الاستثارة — فإن الرثاء بالتكرير
 أجدر ؛ لأن شدة الوجد فيه أوفر ، ولهذا قل أن نقرأ رثاء لا تظهر فيه
 خصيصة التكرار ، ويشير إلى ذلك قول البحرى في وصف التركي :

إِذَا جَدَّ نَاعِيهِ تَوَمَّنْتُ أَنَّهُ يَكْرُرُ مِنْ أَخْبَارِهِ قَوْلَ كَاذِبٍ
 أَشَدَّ الرِّيَاشِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ غُظْفَانٍ (يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ) فِي رِثَاءِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ صَحْبَةٌ .

أفاطم بكى ولا تسأى لصبحك ما طلع الكوكب
فقد مُدَّت الأرض لما ثوى وأى البرية لا ينكب
فألى بعدك حتى المات إلا جوى داخل مُنْصَبْ
جوى حل بين الحشا والشفاف غيتم فيه فا يذهب
فيا عين ويحك لا تسأى وما بال دمك لا يسكب ؟
وقد بان منك الذى تعلين وضافت بك الأرض والمذهب
ومن ذا - لك الويل - بعد الرسول

يُبَكِّى من الناس أو يعذب ؟

فإن تبكك تبك خير الأنام كثير الفواضل لا يجذب
وإن تبكك تبك سهل الجناح محض الضرائب لا يؤشب
وإن تبكك تبك نور البلاد ضخم الدسيعة لا يحسب
وإن تبكك تبك خير الأمام سريعا سوابله مخضب
وإن تبكك تبك وارى الزناد صدوق المقالة لا يكذب
وتبكى للرسول وحقت له شهود المدينة والغيب
وتبكى له الصم صم الجبال وشرق المدينة والمغرب
وتبكيه شعشاء مضرورة إذا حجب الناس لا تحجب
ويكيه شيخ أبو ولدة يطيف بعقوته أشيب
ويكيه أهل النهى والحجى من الناس والطارق الأخب
ويكيه ضيف جفاه الصديق وذو النسب الداخل الأقرب
ويكيه شعث خماص البطون أضربهم زمن أنكب

والرثاء يتخذ من التكبير ألوانا ، فقد يكون لاسم المرنى الذى هو
مثار الحزن ، وقد يكون لأوصافه ، كما يكون لاسم الموت ، الذى حال بين

الرائى والمرثى ، بقوة لاحية فى ردها لمحتال ، فلولاً إن كنتم غير مدينين .
ترجعونها إن كنتم صادقين ، كما يكون التكرار للبكاء والنحيب ، يقرر
الفجعة فى المذهب ، ويرضى حق الوفاء من المقيم ١

هذا منعم بن نويرة يرثى مالسا أخاه ، فيعلن باسمه المكرر دفقات
أحزانه ، وكأنه كلما أعاد حروف اسمه مرة ، مرة ، أعاد مالسا إلى دنياه ،
ليملأ عينه منه ويشبع وجدانه ١

سقى الله أرضاً حلها قبر مالك
ذهاب الغواذى المدجنات فأمرعا
لعمشنا بخير فى الحياة وقبلنا أصاب المنايا ردها كسرى وتبعنا
وكننا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل: لن يتصدها
فلما تفرقنا كأنى ومالسا أطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فاوجدنا أظفار ثلاث روائم رأين مجرا من حوار ومصرعا
ولا شارف جشاء ريعت فرجعت
حنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا
بأوجد منى يوم فارقت مالسا ونادى به الموت الحبيب فأسمعا
فإن يك حزن أو تتابع عبوة
أذابت عبيطاً من دم الجوف منقعا
تجرعتها فى مالك واحتسبتها لآعظم منها ما احتسب وتجرعا
إن مأساته فقيد مالك افسكيف لا يملك اسمه لسانه كما ملك عليه الحزن
قلبه ؟

وكم كررت الحنساء ذكر صخر وذكر البكاء فى مرأيتها التى منها :

كأن عيني لذكره إذا خطرت فيض يسيل على الحدين مدار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولدت

ودونه من جديد التراب أستاذ

تبكي خناس فانتفك ما عمرت لها عليه رنين وهي مقار

تبكي خناس على صخر وحق لها إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد مافي ورده عار

وإن صخرأ لكافينا وسيدنا وإن صخرأ إذا نشتو لنحار

وإن صخرأ لمقدام إذا ركبوا وإن صخرأ إذا جاعوا العقار

أغر أبهج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ثم تكرر وتكرره إذ تقول :

يؤرقني التذكر حين أسمى فيرد عني مع الأحزان تُسكنسي

على صخر وأى قتي كصخر ليوم كربة وطعان خائس ؟

ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق ردى

يذكرني طلوع الشمس صخرأ وأذكره بكل مغيب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي على أخواتهم لقتلت نفسي

فقد ودعت يوم فراق صخر أبى حسان لذاتي وأذى

فيالهي عليه ولطف أسمى أبصبح في الضريح وفيه يمسى ؟

وهكذا تدرك قيمة التكرار في أبيات الحسن بن مطير يرثي من

ابن زائدة :

ألما على من وقولا لقبه سقتك الغواذى مربعا ثم مربعا

فيا قبر من أنت أول حفرة

من الأرض خطت للباحة مهيما

وياقبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترها
بلى قد وسّمتَ الجود والجود ميت

ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل بجراه مرتها
وهذا النعى لفتى الجود محمد بن معن يكرره أشجع السلى فيقول :

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بوجود
أنعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من المود
وانثلم المجد به ثلثة جانبها ليس بمسدود
اليوم تخشى عثرات الندى وصوله البخل على الجود

ويموت توبة الخيرى فتبكيه ليل الأخيلية بكاء الواله الواجف القلب ،
فتجمل من اسمه المكرر على لسانها شفاء ، من صولة الوجد وحرارة الأذى !
لقد بدأت تكرر البكاء مع اسم توبة ، فاكادت تترك خلفها أيانا
حتى اندفعت تذكره في توال يتفجر به الحزن لمن كان لهم في الحياة
ردءا !

أعنى ألا أبكى توبة بن الخير بدمع كسح الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة بماء شتون العبدة المتحدر
سمعن به سحرا أرهقت فذكرنه ولا يبعث الأحوان مثل التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم ينخ بنجد ولم يهبط مع المتفور
فياتوب للدولى وياتوب للندى وياتوب للمستنجح المتنور !
وهكذا ترثيه ثم ترثيه كما عاشت الخنساء بعد صخر !

فعم الفتى ياتوب كشت ! ولم تكن
لتسبق يوما كشت منه توائل

ونعم الفتى ياتوب كنت إذا التقى
صدور الموالى واستشال الأسافل

ونعم الفتى ياتوب كنت لخائف أذاك لى يحمى ونعم المنازل
ونعم الفتى ياتوب جاراً وصاحباً

ونعم الفتى ياتوب حين تفاضل
أبى لك ذم الناس ياتوب إنما

لقيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدك الله ياتوب إنما كذلك المنايا عاجلات وآجل

ولا يبعدك الله ياتوب والتقت
عليك الفوادي المدجنات الهواطل

وعتي بن مالك يرى ابن أوس صاحبه ، وكان رفيق ظعنه وإقامته ،
فلا ينقطع الحزن عن قلبه انقطاعه عن المجاملين له فيه .

إذا الناس عزوفى تذكرت هل إلى

لقاء ابن أوس فى الحياة سبيل ؟

يعزى المعزى ساعة ثم ينكفى وفى النفس حاجات لهن غليل
كان لم يسايرنى ابن أوس ولم زرع فلائس أطلاقاً لهن ذميل
ولم تلق رحلينا معاً بتنوفة ولم زرم جوز الليل حين نميل

ويظهر فى رثاء أبى ذؤيب تركيزه بالتكبير على (المنية) وفعل المنية
(أودى) وما يراد به مستنداً إلى بنيه ، لأن المنية وفعلها هى علة ما أصابه من
الضنى والأسى والشحوب :

قالت أميمة : ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
(١٣ - التكرار)

أَمْ مَالِجَسْمِكَ لَا يَلَامُ مُضْجَعَا إِلَّا أَقْضَ عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَاجِبَتَهَا : أَمَّا الْجَسْمُ لِأَنَّهُ أَوْدَى بَنِي مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعَا
أَوْدَى بَنِي وَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً عِنْدَ الرِّقَادِ وَهَبْرَةٍ مَا تَقْلَعُ
سَبَقُوا هَوَى وَأَعْنَقُوا لَهْوَامَ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
فَلَبِثْتُ بَعْدَهُمْ بَعِيشَ نَاصِبٍ وَإِخَالَ أَنِّي لَأَحَقُّ مُسْتَنْبَعِ
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تَدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَشْبَهَتْ أَظْفَارَهَا أَلْقَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

يفارق ابراهيم ابن المهدي ولده أحمد فراق اليأس والآسى، فيصرخ
قلبه الذي ترنخ فيه الحزن صرخة المفجوع بحبيبه، الذي كان ثم راح
كان لم يمكن، ويتخذ الأب من تكرار هذا التشبيه بثالما أضواء من بعض
الأم !

نَآى آخِرَ الْإِيَّامِ عَنْكَ حَبِيبُ فَلَلْعَيْنِ سَحْ دَامَ وَغُرُوبُ !
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالدَّرِ يَلْعَقُ نُورَهُ بِأَصْدَافِهِ لَمَّا تَهَنَّهُ ثَقُوبُ !
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالْفَصْنِ فِي مَيْعَةِ الضَّحَى
سَقَاهُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ زَيْنُ الْفَنَاءِ وَمَعْقِلُ الذِّ سَاءَ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ مَصِيبُ
وَرِيحَانُ قَلْبِي كَانَ حِينَ أَشْمُهُ وَمَوْسُ قَصْرِى كَانَ حِينَ أَغْيَبُ

إن اللوعة الكارفة لتنجلي في تكرار المفارقة .. تكرار الطباق بين
غائب حتى ترتقب أوبته، وغائب فارق الحياة فلن يؤوب :

يؤوب إلى أوطانه كل غائب وأحمد في الغياب ليس يؤوب

وبتكى ابن الرومي بالتكرار على الصفة التي فارتها عليها ابنة الغض
الناضر ، فيكرر الفن الذي شبه به حال فقده ، رمزاً إلى الغضارة وما لها من
قوة استدعاء للحب والحنان ، كما يتكى بالتكرار على شجنه به ، لأنه راسخ
لا ينفك ولا يزل !

يا حسرة فارقتي فننا غضا ولم يشر لي الفن ا
أبني إنك والـراء معا بالأمس أف عليك كفن ا
تائه لا تنفك لي شجنا يمضي الزمان وأنت لي شجن ا

إن الصبر ليلتوي على ابن الرومي لو شاءه ، وإن مشيئته الصبر عن ابنة
لتخجله ! لأنه يكرر لفظ (الصبر) ليصور شجاءه به منصرفاً ومقبلاً :

شجى أن أروم الصبر عنك فيلتوي
على ولوم أن يساعدي الصبر

والثرى الذى حجبته عنه ، وحال بين عينه ورؤيته .. وعيناه ..
والدمع .. كل هذا مما يوجب على الإنسان تكريره فى عزاء عاطفته ا

أعني جودا لي فقد جدت للثرى
بأكثر مما تمنعان وأطلبنا
بنى الذى أهديته أمس للثرى
فله ما أقوى قناتى وأصلنا
فإن تمنعانى الدمع أرجع إلى الأمسى

إذا - فزت عنه الدموع تلبا

ويقتل بسر بن أرطاة ولدين لجويرة بنت قارظ ، فينطلق لسانها
يكرر نداء الممين الذى أحس حسها لفقدتها ا وأين ذلك المناسوي لها
فى الوجد ا

يا من أحس بُدَيِّيَ اللذين هما كالدرين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بُدَيِّيَ اللذين هما سمعى وقلبى فقلبى اليوم مختطف
يا من أحس بُدَيِّيَ اللذين هما نخ العظام فحنى اليوم مزدهف
نُبِشْتُ بسرا وما صدقت ما زعموا

من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا
أنهى على ودجى طفلى مرهفة مشحودة وكذلك الإثم يقترف

ويفقد محمد بن عبد الملك زوجه التى تركت له ولداً تهيج حاله الحزن ،
وتذهب عن القلب العزاء ، فيرثها فى قفج ، ويملى عليه الحزن أن يتكىء
بالتكسير على أماكن المفارقة بين حاله وحال صغيره ، وبين حال صغيره
وأمثاله من يبيتون فى أحضان الأمهات ، حتى نرى فيما كرر : الأم ، والبيات ،
والبكاء ، والمكان ، والصبر ، واستفهام النفى ، واستفهام التعجب ...

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بعيد الكرى عيناه تبتدران

رأى كل أم وابنها غير أمه * * *
وبات وحيداً فى الفراش تحته يبيتان تحت الليل يفتجيان
بلا بل قلب دائم الخفقان

ألا إن سجلاً واحداً قد أرقته * * *
فلا تلحيان إن بكيت فلانما من الدمع أو سجلين قد شفيان
وإن مكاناً فى الثرى خط لحدّه أداوى بهذا الدمع ما تريان
أحق مكان بالزيارة والهوى لمن كان من قلبى بكل مكان
فهبنى عزمى الصبر عنها لأنى فهل أتيا إن عجت منتظران ؟
جليد فن بالصبر لابن ثمان ؟

ضعيف القوى لا يعرف الأجر حسبة

ولا يأتى بالناس فى الحدثنان

ألا من أمه المنى وأعد لهثرة أيام وصرف زمان ؟

ألا من إذا ما جئت أكرم مجلسي
وإن غبت عنه حاطني ورعائي ؟
فلم أر كالأقدار كيف تصيني
ولا مثل هذا الدهر كيف رماني !

إن الأثرى الذى يخطط فيه مشوى الأجاب ليغلو من أجلهم ويحب، فيذكر
من أجلهم ويعاد ، لا لأنه قبر أو بقعة ، ولكن لأنه دارم الذى هو مصيرهم
إلى البعث ، فإذا كان محمد بن عبد الملك يكرر المكان ويجعله أحق مكان
بالزيارة والهوى ، فإن عقيل بن عثة لذكر قبر أخيه بمقدار يعده جرعة
مسكنة لحزنه ، حتى يستجم فيعود !

خليل زورا قبر عمرو فسلما
عليه وجودا بالدموع الجوامد !
ولا تعجلانى أن ألم بأعظم ورسم بشرقى الهباءة دامد !
وفى القبر نفسى أو كنفسى رهينة أنى دونه مر المنايا الرواصد
فبوركت من قبر وبوركت بقعة بها مكنت لأحد أبدى الواحد !
سقى الله أكتافا هناك وأعظما
غيوث السوارى والغواذى الرواعد
أأبكى على عمرو ؟ فكفاى هالكا
عليه التراب من ثيل ولا بد
كأنى لعمرو كنت أبدى عداوة
بمخوى عليه التراب فوق الجلامد !

إنها خاطرة دقيقة المأتى ، بعيدة الغور ، وإن الرثاء ظاهر الهدوء ،
لكنه مارق الآلام !

ويموت أبو الحسين العلوى ، فيرثه ابن الرومى ، رثاء يصوره مائلا

أمامنا في المعركة ، ويتخذ من تكرير التخييل وسيلة لاستكمال صورته ،
التي نراه فيها يصارع الموت والموت يصارعه حتى يصصره :

كأنى به كالليث يحمى عرينه وأشباهه لا يزدديه المجهج
كأنى أراه والرماح تنوشه شوارع كالأشطان تدلى وتحلج
كأنى أراه إذ هوى عن جواده وعفر بالترب الجبين المشجع
كما مال أبا تمام مصرع محمد بن حميد الطوسي ، فرناه الرناء الذي يرث به
مثله يتكىء بالتكرار على المعالم البارزة التي من حقها أن تبرز : سبيل الله .
الفتوة .. الموت .. الضرب .. النصر .

ألا في سبيل الله من عطلت له فجاح سبيل الله وانشر الثغر
فتى كلما فاضت عيون قبيلة
دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر
ومامات حتى مات مضرب سيفه

من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر إن فاته النصر
وقد كان فوت الموت سهلا فردده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

وافتيان على أبي العتاهية - وهو المولع بالتكرير في كل قول - أن
نعمل باب الرثاء من نماذج يتخذ فيها التكرير تركيزاً على مفاتيح الوجدان
ولكنى أدع لك أن تدرك بنفسك ما رددده أبو العتاهية من الألفاظ لكثرة
في هذه المراثية التي يقولها في الإخوة الكثر الذين بادر بهم الموت قبله :

يا معشر الأموات يا ضيفان تر

ب الأرض كيف وجدتم طعم الثرى ؟
أهل القبور عا التراب وجوهكم ! أهل القبور تغيرت تلك الحلى !
أهل القبور كفى بنأى دياركم ! إن الديار بكم لشاحطة النوى !
كم من أخ لى قد وقفت بقبوره فدعوته : لله درك من فتى !

أَخِيَّ لم يبقَ المنية إذ أتت ما كان أطعمك الطبيب وما سقى
أَخِيَّ لم تغنِ التمايم عنك ما قد كنت أحذرهُ عليك ولا الرقي
أَخِيَّ كيف وجدت مس خشونة ۥ

ماوى ؟ وكيف وجدت ضيق المتكا
قد كنت أفرق من فراقك سالما فأجل منه فراق دائرة الردى
فاليوم حق لى التوجع إذ جرى قدر الإله على فيك بما جرى
تبكيك عيني ثم قلبى حيرة وتقطعاً منه عليك إذا بكى
وإذا ذكرتك يا أخى تقطعت كبدى فأقلقت الجوانح والحشا

لقد نظر أبو العنابية مصرعه فى مصارع النازحين، فرئى نفسه وبكاها !
فانظر إلى بكاها كم تكرر ، وإلى نفسه كم ترددت ، وإلى بيت المتجمع
والغربة كم عاد ثم هاد ، وإلى شكواه واللهث اللاهث الذى صورهُ بيته
الآخر تماماً للوثبة :

لأبكين على نفسى وحق ليه يا عين لا تبخلى عنى بعبرته
لأبكين على نفسى فتسعدنى عين مؤرقة تبكى لفرقتيه
لأبكين على نفسى فيسعدنى

أهل ومن كان حولى من أحبته
لأبكين . . ويكبنى ذور نقتى

حتى المات أخلائى وإخوته
لأبكين فقد جد الرحيل إلى

بيت انقطاعى عن الدنيا ووحدة
يا بيت ! بيت الردى ! يا بيت منقطعى

يا بيت ! بيت الردى ! يا بيت غربته !
يا بيت ! بيت النوى عن كل ذى ثقته

يا بيت ! بيت الردى ! يا بيت وحشته !

يا نأى منتجى ! يا هول مطلقى !
يا ضيق مضطجى ! يا بعد شقنيه !
أشكو إلى الله تضييى ومسكنى ؟
أشكو إلى الله تقصيرى وقسوته ؟
والله والله ربى المستغاث به
والله والله ربى به حولى وقوته ؟

وكما نرى هذا التكرار فى إطار التعميم عنده ، نراه فى خصوص اسم صاحبه على بن ثابت ، إذ يقول :

يا على بن ثابت أين أنا ؟ أنت بين القبور حيث دفنتنا ؟
يا على بن ثابت بآب منى صاحب جل فقده يوم بنتنا ؟
قد لعمرى حكيت لى غصص الموت وحركتني لها وسكمتنا ؟

إن علاقة اللفظ المكرر بالعاطفة علاقة المثار بالمشير ، . علاقة ليست مختصرة . . لذا نجد أثرها فيما أثرها فى الرأى المعبر عنها بهذا التكرير المقرر لوجده ؟

ذلك التكرير نجده فى رثاء الفرد ، ونجده فى رثاء الدول الذاهبة والممالك الغاربة ، فليست الفاجعة فى موت ابن أو أخ أو زوج ، أشد إجماعاً منها فى زوال دولة أو فقد وطن ، أو انهيار كيان ، وفيما خلف الشعر العربى من ذلك ما يطيل الرحلة ، لهذا تكفيها منه أبيات من قصيدة لشمس الدين الكوفى ، حين اهتزت أو تاره الخزينة تهتف بشجوها ، وتنوح لما دهاها بسقوط بغداد فى أيدي التتار وخلو البلاد من آخر خلفاء بنى العباس سنة ٦٥٦ هـ :

نف فى ديار الظاعنين وبأدها :

يادار ما صنعت بك الأيام ؟

لطف نفسى عليك يا قبة الإله لأم لطفاً يطول منه غرامى !
لطف نفسى عليك يا فرضة البلد دان لطفاً يبقى على الأعوام ؛
لطف نفسى لجملك المتفانى لطف نفسى لعزك المستضام !

كم ضنين بنفسه رام منجى فتلقوا جبينه بالحسام ؟
كم أخ قد رأى أخاه صريعاً

ترب الخد بين صرعى كرام ؟
كم أب قد رأى عزيز بنيه

وهو يعلى بصارم صمصام !
كم مفدى فى أهله أسلوه حين لم يحمه هنالك حامى ؟
كم رضيع هناك قد فطموه

بشبا السيف قبل حين الفطام ؟
كم فتاة بجاتم الله بكر فضحوها جهراً بدون اكتتام !
كم فتاة مصونة قد سبوا بارز وجهها بغير لثام !
مبحوم فكان للقوم منهم طول يوم كأنه ألف عام ؟

هكذا تتخذ العاطفة الدافقة من التكرير انطلاقا يحرف ما فى الطريق
إلى الغاية : وما أجدر أن يكون هذا شأن الرثاء من راث تأرت
فى قلبه جر الفراق .

٨ - التلطف والاستمالة

يسكثر التكرار في الوصايا والنصائح والعظات ، لاستدراج المخاطب والتلطف في استمالاته بالتعجب إليه ، فيناديه المتكلم نداء المشفق المتودد . فيكرر ندائه باسمه أو بالصفة التي هي أولى باكتساب قلبه . وأعلى ما جاء من ذلك حكاية القرآن المجيد قول لقمان لابنه :

« يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » ، (لقمان : ١٣) .

« يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير » ، (لقمان : ١٦) .

« يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » ، (لقمان : ١٧ - ١٩) .

وحكاية قول إبراهيم (عليه السلام) لأبيه :

« يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً » ، (مريم : ٤٢) .

« يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأمك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً » ، (مريم : ٤٣) .

« يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً » ، (مريم : ٤٤) .

« يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون الشيطان ولياً » ، (مريم : ٤٥) .

وحكاية مؤمن قوم فرعون :

« يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » ، (غافر : ٢٩) .

« يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ، (٣٠ : غافر) .

« ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد . يرم قولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فاله من هاد ، (٣٢ - ٣٣ : غافر) .

« يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، (٣٨ : غافر) .

« ويا قوم إنما هذه الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ، (٣٩ : غافر) .

« يا قوم مالي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِأَقْرَبِهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، ٤١ - ٤٤ : غافر) .

ومن هذا النوع من التذكير دعاء الحسن البصري بإمرة المؤمنين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) إذ يقول فيما يجتزىء به من مطلونه الوصية التي يصف فيها الإمام العادل :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصف كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف .

« والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق الذى يرتادها أطيب المراعى ، ويذودها عن مواقع الهلكة .

« والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأب الحانى على ولده : يسعى لهم صفاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد مماته :

« والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأم الشفيقة للبرة بولدها : حملته

كرها ، ووضوته كرها ، وربته طفلاً تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتقطعه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتقم بشكايته ... (١) .

وكما تكرر هنا النداء يامرة المؤمنين لتذكيره بحبها ، والإمامة العادلة لتمكين ما يناط بها ، ويتكرر في موعظة الحسن العامة نداؤه : يا ابن آدم ، ليلفت كل من يسمتع إلى ذلك الأصل الواحد ، المشترك بنوه في كل صفة أو فعل ترد بعد النداء ، وليتأكد بالتكرار مدلول دعائه بهذا الوصف من قلبه .

• يا ابن آدم بع دنيك بأخرك ترحبهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنيك فتخسرهما جميعاً .

• يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به . الثواء هنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أما إنه واقع لأمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون الساعة والساعة تسوقكم .

ثم انظر مع هذا إلى تكرير الحبك وتصعيد المعاني في هذه الفقرة من كلامه : يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك ، فإنها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فرحم الله رجلاً نظر فتنكر ، وتفكر فاعتبر ، واعتبر فأبصر ، وأبصر فصبر .

كم فيه من ارتفاع بالشعور سريع في مراقبة النظر . فالتفكر ، فالاعتبار ، فالإبصار ، فالصبر على الطاعة واجتناب المعصية ؟ .

« يا ابن آدم اذكر قوله تعالى : « وكل لإنسان أزمناه طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حساباً » .

« يا ابن آدم ليس الإيمان بالتلى ولا بالتنى ، واسكنه ما وقر في القلب
وصدقته الأعمال ، (١) »

وكذلك نرى تكرير الحبك ، وتصعيد المعاني ، في تلك التمنيات المتتابعة
يدفع بعضها بعضاً إلى قمة الشعور ، في موعظة يزيد بن أبان الرقاشي ، وقد
وجد القوم يتمنى كل منهم ما أحب فقال :

(ليتنا لم نخلق ! وليتنا إذ خلقنا لم نعص ، وليتنا إذ عصينا لم نمت ،
وليتنا إذ متنا لم نبعث ، وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب
وليتنا إذ عذبنا لم نخلد ، (٢))

وهكذا نجد تكرار الجملة الاستفهامية ، مع تكرار فعل الشرط ، في قول
أبي العتاهية :

مالى رأيت بنى الدنيا قد افتقدوا كأنما هذه الدنيا لهم غرس ؟
إذا وصفت لهم دنيام ضحكوا
وإن وصفت لهم أخراهم خرسوا !
مالى رأيت بنى الدنيا وإخوتها
كانهم لكتاب الله ما درسوا ؟ (٣) .

(١) عيون الأخبار: ٢ : ٣٣٤ والبيان والتبيين : ٣ : ١٣٢

(٢) البيان والتبيين : ١ : ١٦٧

(٣) أبو العتاهية أخباره وشعره : ١٨٨

وأبو العلاء في مواعظ مرثيته يكرر الالفاظ التي هي ملائس الوجدان
تكريراً بادياً للنظر إذ يقول:

رب لحد قد صار لحد امرارا ضاحك من نزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد
إن حزنا في ساعة الموت أضعا فسرور في ساعة الميلاد

وتدرك لمسة الإيمان والشعور بالذنب قلب أبي نواس ، فينقلب
واعظاً ، فنرى تكرار الالفاظ التي يوحى تكرارها بالتحول ، والتي لها
هيمنة على نبضات الوجدان ، في هذه الايات التي نرجو أن تكون في مكان
التوبة النصوح !

يا سائل الله فزت بالظفر وبالنوال الهني لا الكدر
فارغب إلى الله لا إلى بشر منتقل في البلى وفي الغير
وارغب إلى الله لا إلى جسد منتقل من صبا إلى كبر
مالك بالترهات مشغلا أفي يدك الأمان من سقر؟ (١)

ويتخذ الحزيمي من حزنه على فوات عينه موعظة ينتفع بها من أراد
الاعتبار ، فيظهر فيها التكرار المرتبط بعاطفه حزنه ، الممثل لواقع الحياة
في كل حي !

إذا مامات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب
يمنيني الطبيب شفاء عيني ا وهل غير الإله لها طبيب ؟

ومرة أخرى يحس أبو نواس تهديمه ، ويدرك وحيله عن دار غرته ،

فيرسل أنفاس الأسف والآسى ، وقد أصبح بعضه قبراً لبعضه ، إذ مات من جسمه الطليح مامات ، وهو لما يزل يعالج آخر الأنفاس !

أراني مع الأحياء حيا وأكثرى

على الدهر ميت قد تخرمه الدهر

فالميت منى بمات فادهض فبعضى لبعضى دون قبر البلى قبر

فيارب قد أحسنت عوداً وبدأة

إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر

فن كان ذا عذر لديك وحجة

فعدري لإقرارى بأن ليس لى عذر

إن تكرار الموت ، والدهر ، والبعض ، والقبر ، والعذر ، هذه المرات

على التواشج مع سائر النظم ، ليجسد الصورة الجسمية والنفسية على أكمل حقيقة للشاعر الحزين !

إن أعضائه تموت تباعاً فيدل على تلك المتابعة بالتكرار ، وإن طاعته

لتقع بين ضياع الماضى وعودة المنتهى ، فيردد لها بين الآسى والأمل :

دب فى السقام سفلاً وعلواً وأراني أموت عضواً فعضوا

ذهبى جدنى بطاعة نفسى

وتذكرت طاعة الله فعضوا .

ثم إنه الآن ينظر إلى سلسلة الهالكين فى حلقات يسلم بعضها إلى بعض

فيكرر اللفظ مرات ترمز إلى هذا الميراث فى التتابع .

وما الناس إلا هالك وابن هالك

وذو نسب فى الهالكين عرقي

إذا امتحن الدنيا ليب تكشف

له عن عدو في ثياب صديق (١)

ونعود مرة أخرى إلى أبي العتاهية يهبط الناس في المال، وما ندرى
أكان متعظاً بما به يهبط ؟

يا جامع المال في الدنيا لوارثه

هل أنت بالمال بعد الموت تنفع

لا تمسك المال واسترض الإله به

فإن حسبك منه الرى والشبع (٢)

وكما يكرر المال الذى هو مناط عقلة هنا، نراه يكرر نداءه الدنيا .
ونداءه نفسه، آمرا، ونهايا، وواعظا، حين نقرأ له :

ألم تر يادنيا تصرف حالك ؟

وعذرك يادنيا بنا وانتقالك ؟

فلمست بدار يستقيم بك الرضى

ولو كنت فى كف امرى بكالك .

حرامك يادنيا يعود إلى الضى

وذو الب فىنا مشفق من حلالك

أها نفس لانتوطف دار قلعة

ولكن خذى فى الزاد قبل ارتحالك

(١) ديوانه : ٦٢١ .

(٢) أبو العتاهية أخباره وشعره . ٢٣٦

أيا نفس لا تنسى كتابك واذكري
لك أويل إن أعطيته بشمالك

أيا نفس إن اليوم يوم تفرغ
فدونك من قبل يوم اشتغالك

ومسؤلة بانفس أنت فيسرى جواباً ليوم الحشر قبل سؤالك

ومسكينة يا نفس أنت فقيرة إلى خير ما قدمته من فعالك

هو الموت فاحتاطى له وابشرى به

نجوت كفافاً لا عليك ولا لك (١)

ثم عودة إلى تكرير أبي نواس (٢) :

يا ليت شعري كيف أنت على

ظهر السرير وأنت لا تدري ؟

أو ليت شعري كيف أنت إذا

غسلت بالكافور والسدر ؟

أو ليت شعري كيف أنت إذا

وضع الحساب صبيحه الحشر ؟

كما يتخذ أبو حفص الشطرنجي من تكرير المفارقة لذعة تذكير لقلب
العافل السادر .

وقبلك داوى المريض الطيب فعاش المريض ومات الطيب .

(١) نفسه ، ٢٧٢

(٢) ديوانه : ٦٠٩

يخاف على نفسه من يتوب . فكيف نرى حال من لا يتوب (١)

إن التكرار في باب المواعظ والذكرات الظاهرة جلية ، وإن له لوقعا على القلوب لصدوره - غالبا - عن القلوب ، ولولا كبح القلم لأغراه القرات الواسع بما لا تتسع له تلك البحالة ، وإنما هي نماذج الأغراض العامة التي كثرت فيها هذه الظاهرة الأسلوبية ، ليقاس عليها غيرها ، وليس ما ذكرنا هو كل الأغراض ولكنه أشهرها ، ولعله مما يجمع بنا أن تنتقل إلى جانب في البحث جديد .

التكرير والبديع

أمضينا الحديث عن أهم الأغراض الجزئية العامة . التي يحى فيها التكرير منبعثا عن المثير النفسى مفضيا إلى نفس المخاطب بأثره ، والتكرير الحاصل نتيجة للمثير له وقعه ، إذ يدق اللفظ بعدد ما يتكرر أبواب القلب موحيا بالاهتمام الخاص بمدلوله . فيشعل شعور المخاطب إن كان خافتاً ، ويوقظ عاطفته إن كانت غافية ، وقد نرى الثورة حاملة على الثورة ، كما حدث من المهلهل حين سمع الحارث بن عباد يكرر مرات كثيرة :

قربا مربوط النعمة منى .

إذ استثارت هذه الدقات المتواترة حميته ليكرر ثم يكرر فى الرد عليه :

قربا مربوط المشهر منى .

ولاشك أن الأحباب الذين يسمعون أسماءهم تتردد مرات على أفواه العشاق والمدوحين الذين يسمعون صفاتهم تتكرر فى شعر ما دحيهم ، والأشخاص الذين تتردد أسماؤهم مشهراً بها فى القدح والتهكم - لاشك أنهم يجدون أراً يعمق فى قلوبهم بمقدار ما أراد القائل وما كرر . وقد أدرك النقاد من القديم أن ماخرج من القلب وقع فى القلب ، وهذا قانون لا يتبدل بتبدل العصور ، لأن الإنسان بقواه النفسية هو الإنسان دائماً .

وقد يستغل أصحاب الفنون التكرير وسيلة ناجحة فى الوصول إلى أهدافهم من فنونهم ، فلا يرسلون التكرير كما تسوقه الفطرة أو الموقف وكما ينتج الربيع أزهاره وأعشابه بقوة الحياة السارية فيه ، بل يتناولونه على هندسة يهتدى إليها ترويحهم ، وما لهم من حاسة الفن وذوق الصنعة ، فإذا لم يتجاف ذلك عن الوجدان بشدة البعد ، أضاف جمالاً على العبارة له

في التأثير دخل لأن فيه اجتذاباً للنظر ، مع ما فيه من طاقة شعورية ، أما إذا اختفى أثر الانفعال في كثافة التعبير - مهما دقت الهندسة التركيبية - فإنني مع الكثيرين من النقاد الذين لا يحمّدونه في فنون القول ، التي هي قبل كل شيء أغاني النفس في السرور والحزن . وما سبقت صورته مما مثلنا به في غرض خاص أو عام ، وله أمثلة كثيرة أخرى قد انتظمته فنون البلاغة العربية ، حيث نظر العلماء إلى تلك الهندسة القولية ، فاتخذوا من أمثلة الشعر والنثر قوانين لما جاءت عليه من قوالب واساليب ، ولا ريب أن المصدر الذي انبثقت منه هذه الألوان ذات القوانين ، كان نزها عن التكلف لتصويرها ، وإنما طرأ عليه هذا التكلف على درجات من البساطة والتركيب الذي قد ينبو كثيراً عن القبول - منذ أغرى هذا الجمال الهندسي شعراء مدرسة البديع ، التي ظهر على رأسها بشار ومسلم بن الوليد وأبو تمام فراح رجالها يتنافسون حتى أوغلوا ، فوقع كثير قولهم في العيب والره ، وذلك لا ينفي أن لهم - متى سمحت نفوسهم وقويت عواطفهم - أمثلة بارعة تجمع الجمال من طرفيه .

هذا الفن البلاغي الواسع ، نظر في الصورة التي جاء عليها التكرير - بمعناه العام وهو عودة صوت الحرف - فما زال بها يروّضها ، حتى صنفها أصنافاً كثيرة بحسب موقع المكرر ودلالته ، ونحن هنا موردون أم الإبنية والأنواع البديعة ذات العلاقة بموضوعنا ، مما لا يسع من شاء مقارنة النظم أن يغفله .

الجناس (١)

الجناس ، والتجنيس ، والمجانس : ألفاظ أطلقت في البدع على لون من عوذة الحروف المتحدة الجنس مرة أخرى في الكلام على قرب ، وقد اختلف العلماء في تعريفه لسكثرة أنواعه ، التي لو جمعت تحت تعريف واحد لنقلوا استزدل ، فجاء أكثر ما وقع لهم من التعريفات غير حاصر ، وقد رأى ذلك النقص في كل منها الصلاح الصفدى فنقدها ، ووضع للجناس رسماً يتفادى النقص فقال : والذي اخترته أنا في رسم الجناس أن أقول : هو الإتيان بمتماثلين في الحروف ، أو في بعضها ، أو في الصورة ، أو زيادة في أحدهما ، أو بمتخالفين في الترتيب ، أو الحركات ، أو بمائل يرادف معناه مماثلاً آخر نظماً (١) .

ثم أخذ في شرح ذلك التعريف أو الرسم الطويل الممل ، الذي أدخل بكل قيد فيه نوعاً من الجناس ، وهو يختص النظم به دون النثر خلافاً لغيره ولواقعه .

وقد استحسن من تعريفاتهم صاحب (فن الجناس) - رحمه الله - ما قاله العلوى في الطراز ، ليسره ودنوه من الكمال ، وهو أنه : اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما (٢) .

ومن الذين أصابوا في تعريفه أضربه ضرباً صاحب (العمدة) (٣) والرازي (٤) ، وابن حجة (٥) .

(١) جنان الجناس : ١٩ - ٢٠

(٢) فن الجناس : ١٢ والطراز ٣٠١ . ٣ (٣) ٢٢٠ : ١

(٤) نهاية الإيجاز : ٢٨ (٥) الخوافة : ٢٧

وقد جرى كثير من المؤلفين على تعريف السكاكي أو ما هو أدنى إليه ،
قال ابن معصوم فيه : هو تشابه الكلمتين في اللفظ : أى في التلفظ (١) كما
سبقه الخطيب بقوله : الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ ، (٢) .

والذى يعيننا على اختلاف ما عرف به الجناس ، أنه نوع من أنواع
التكرير بالمعنى العام ، يختص بإعادة اللفظ مع اختلاف المعنى وقد عدوه من
المحسنات اللفظية ، غير أن إباء ذوق عبد القاهر رده إلى سبب نفسى ، هو
مخاتلة السامع حرصاً على نشوته بالحصول على ما لم يكن ينتظر .

قال وهو يعلق على بيت أبى تمام :

ذهبت بمذهبه الساحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب

إن الشاعر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاهما ،
ويومئذ كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاهما ، (٣) .

وهو بذلك يرد فضيلته إلى المعنى ويصله بالنفس ، ويؤكد هذا قوله :

... بين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنصرة المعنى ،
لأذلوكان باللفظ وحده لما كان مستحسن ، ولما وجد فيه لإمعيب مستهجن
ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعانى لاندن فى كل
موضع لما يجتنبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعانى والمصرفة فى حكمها ،
وكانت المعانى هى المالكه سياستها المستحقة طاعتها ، (٤) ..

(١) أنوار الريح ١: ٩٧

(٢) بغية الإيضاح ٤: ٧٧

(٣) أسرار البلاغة : •

(٤) نفسه : •

كما نفهم من هذا القول أن الجناس إنما يحسن بعدم الاستكثار منه والولوع به لما يدعو إليه ذلك من عدم انقياد الألفاظ - دائماً - للمعاني على وجه التجنيس فيأتي المستكثر الواقع بالمتكلف النافر أو النث البارد ، كما وقع لكثير من القائلين .

ولا يشذ عن هذا الرأي في شرط استحسانه أحد ممن رأوه من وجوه الحسن ، وقد رفع قيمته على هذا الشرط ابن الأثير فقال :

« أعلم أن التجنيس غرة شاذخة في وجه الكلام ، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ولا سيما المحدثين » (١) .

وقسمه سبعة أقسام تتداخل مع تقسيم غيره من الميادين عن أضربه .

و يدخل الجناس في عموم التعليل النفسى الذى عال به حازم في منهاجه إذ يقول : « إن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها ، والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها - تحريكاً وإبلاغاً - بالانفعال إلى مقتضى الكلام ، لأن نناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقفاً من سنوح ذلك لها في شيء واحد » (٢) .

وقال صاحب (سر الصناعة) وكأنه لم يقف على مثل تعليل عبد القاهر : « ولم أر من ذكر فائدته ، وخطر لى أنها الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً إليها ، ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه » (٣) .

(١) الجامع الكبير : ٢٥٥

(٢) منهاج البلغاء : ٤٦

(٣) أنوار الربيع ١ : ٩٧

أضرب الجنس

النام :

الأصل في التجانس اللفظي هو اتفاق الركنين في أربعة أشياء : نوع الحروف ، وعددها ، وهياتها من الحركة والسكون ، وترتيبها .

فأتم له كل ذلك فهو التام ، أو الكامل ، وما أشبه هذين الاسمين مما سماه به العلماء ؛ وهذا الضرب تحته أنواع :

(١) المماثل : وهو مما تائل ركناء في القسم من الكلمة : كالاسمية في قوله تعالى : « و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما بشوا غير ساعة » .

أو الفعلية ، كقول شعبة بن عبد الملك من شعراء اليمامة :

فديت من زارني على حذر من الأعداء وقلبه يجب
فلو خلعت الدنيا عليه لما قضيت من حقه الذي يجب (١)

أو الحرفية كقولهم : « قد يجود الكريم وقد يخل الجواد » ، (٢) .

ولكن الأكثر منه ، إجماع في الأسماء ، ويليه ما جاء في الأفعال ، وأما الثالث فإنه مجرد استيفاء الصور العقلية فهو نادر ، ولذلك أهمله الكثيرون من التمثيل ، أو نبهوا على عدم إمكان تصوره .

(٢) المستوفى : وهو ما كان ركناء مختلفين في الاسمية والفعلية كقول أبي تمام :

مامات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبادة

أو في الاسمية والحرفية كما في الحديث الشريف : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى ، إلا أجزرت بها ، حتى ما تجعل في امرأتك » .

(١) الأول حرف ، والآخرى : الفم (١) .

أو في الحرفية والفعالية كقول القائل :

وخلا الوجود خلاك من أهل الندى كالشمس منفرداً عن النظراء

فإن (خلا) أولاً فعل ، وثانياً حرف .

وأكثر المستوى ما اختلف في الأسمية والفعالية .

(٣) المركب : ما كان أحد ركنيه مركباً من أكثر من كلمة ، وهو :

(١) مرفوع : إذا تركب من كلمة وبعض الأخرى ، كقول الحريري :

ولأنه عن تذكّر ذنبك وابكك بدمع يحاكي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروحة ملقاه ومطعم صابه

فإن الركن الثاني مركب من الميم الثانية في (مطعم) وما بعدها .

(٢) متشابه : إذا تركب من كلمتين فأكثر مع تشابه الخط ، كقول أبي

الفتح البستي :

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

فإن الأول مركب من (ذا) بمعنى صاحب ، وما أضيف إليه ، والثاني

مؤنث اسم الفاعل من (ذهب)

(٣) مفروق : وهو ما تركب من كلمتين فأكثر مع الاختلاف الخطي

كقول المطوعى :

لأنترضن هلى الرجال قصيدة مالم تبالغ قبل فى تهذيبها

فتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوساً تهذى بها

هذه صور الجناس التام ؛ عقبها الخطيب بلخص ما قيل فى حسنها وحسن

الإفادة ، مع أن الصورة صورة الإعادة ، (٢)

غير التام من الجناس

وغير ما استكمل للتوافق في الخصائص الأربع : نوع الحروف ، وعددهما . وهياتها ، وترتيبها ، لا يسمى تاماً ولا كاملاً ، بل هو :

(١) محرف : متى اختلف ركناء في هيئات الحروف فقط ، كقوله تعالى :
« ولقد أرسلنا فيهم منذرين فأنظر كيف كان عاقبة المنذرين ، ،
(٧٣ : الصافات)

(منذرين) الأول بهيئة الفاعل والثاني بهيئة المفعول ، وهو اختلاف بالحركات .

وكقول أبي العلاء :

والحسن يظهر في بيتين رونقه
يدت من الشَّعر أو يدت من الشَّعرِ
وهو اختلاف بالحركات ، وبالحركة والسكون .

(٢) ناقص : متى اختلف الركنان في عدد الحروف فقط ، والنقص قد يقع أول اللفظ ، أو وسطه أو آخره ، والأمثلة على الترتيب كما في الإيضاح (١) لما نقص بحرف :

« والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق ، .

« جدى جهدى ، :

قول أبي تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

وقد يسمى ما كان النقص آخر أحد ركنيه مطرفا ، كما اختص ما كان نقصه بأكثر من حرف باسم المزيل ، كقول الخنساء :

إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

(٣) ما كان اختلاف الركنين فيه بنوع الحرف فقط ، ولا يكون بأكثر من واحد ، مع تقاب الحرفين في المخرج أو اتحادهما فيه ، كقوله تعالى : دوهم يهنون عنه وينانون عنه . (الأنعام : ٢٦) فإن الهمزة والهاء من الحلق ، وقوله (ﷺ) : د الخيل معقود في نواصيها الخير .

(٤) اللاحق : ما كان اختلاف الركنين فيه على الوجه السابق بحرفين متباعدي المخرج ، مثل قوله تعالى : د ويل لكل همزة لمزة ، (١ : الهمزة) لبعدهما بين الهاء واللام .

وقوله : د ذلکم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ، (٧٥ : غافر) لبعدهما بين الفاء والميم .

وقوله . د وإذا جاءهم أمر من الأمن ، (٨٣ : النساء) لبعدهما بين الراء والنون .

(٥) جناس القلب : د وهو ما اختلف ركناه بترتيب الحروف فقط ، وهو

(١) قلب الكل : إذا عكس ترتيب حروف الأول في لفظ الثاني على التوالي ، مثل :

حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه .

(٢) قلب البعض : إذا عكس ترتيب بعض حروف الأول في لفظ الثاني ، كالذى جاء في الخبر : اللهم استر عوارتنا وآمن روحانا ،

(٣) المقلوب المجنج : ما كان أحد الركنين أول البيت ومقلوبه آخره كقول الشاعر :

رقت شمائل قاتلي فلذاك روحى لا تقر
رد الحبيب جوابه فكأنه فى اللفظ در

ومحل التمثيل فى البيت الثانى (رد . در)

(٦) الجناس المزدوج ، أو المكرر ، أو المردد : وهو ما تجاور فيه المتجانسان مطلقاً .

كقوله تعالى : وجئتكم من سبأ نبأ يقين (٢٢ : النمل) وهو من اللاحق .

وكما فى الخبر : المؤمنون هينون لينون . وهو كسابقه .

وقول القائل :

يمدون من أيد عواض عواصم تصول بأسياف فواض فواض
وآخر كل من الشطرين جناس ناقص مطرف للاختلاف بنقص حرف واحد .

(٧) جناس الاشتقاق : وهو ما تجانس ركناه فى الأصل واختلفا بالهيئة ، إذ كل منهما على صورة من صور الاشتقاق ، مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية فى الركنين ، مثل قوله تعالى : فأنقم وجهك للدين القيم ، (٤٣ : الروم) فاصل الركنين معاً (القيام) ونظيره : دفروح

وريجان ، (٨٩ : الواقعة) و د الظلم ظلمات يوم القيامة ، والبلاغيون منهم من يلحق هذا الضرب بالجناس تشابهته له وقد جرى على ذلك الخطيب تبعاً ، لاسكاكى ؛ وأبو هلال لم يمد أمثله من الجناس (١) . وقد خطأ المتأخرون كابن حجة والصفدى (٣) من عده جناساً .

(٨) جناس ما شابه الاشتقاق : وهو ما ألوم ركناء بتشابه الحروف فهما أنهما فرعان مشتقان من أصل واحد ، والحقيقة أن كلا منهما منفرد عن الآخر ، كقوله تعالى : « قال : إني لعملكم من القالين ، (١٦٨ : الشعراء) فإن (قال) الماضى من (القول) و (القالين) جمع اسم الفاعل من (القلى) .

وهذا الضرب ألحقه الخطيب بالجناس أيضاً ، وقد أطلقوا عليه أسماء كثيرة منها : المتشابه ، والمتقارب ، وتجانس الإطلاق ، والجناس المطلق ، وعليه مع سابقه أطلق ابن رشيق اسم (التجنيس المحقق) (٤) .

هذه أشهر الأضرب التى جاء عليها الجناس ، حاولت ضبطها بأقرب وسيلة وأيسر مثال ، لتبين فى بحث التكرير صورة واضحة ، لها - كما سبق - قيمة نفسية تعود على المعنى ، وقيمة لفظية مرجعها الجرس ، وتتوفر لها القيمة متى جاءت باتداعى سمعة المقادة ، أو خفيت فيها الصنعة لدقة اختيار اللفظ فى أداء حق المعنى وتكامل النسق ، ولا ريب أن كل ما جاء

(١) الصناعتين : ٣١٠

(٢) خزائن الأدب : ٣١ وينظر (فن الجناس : ١١٨) .

(٣) جنان الجناس : ٣٣ .

(٤) العمدة : ١ : ٢٢٢ وفن الجناس : ١٢٤ .

منه في القرآن المجيد على الغاية النائية عن ربح الاعتداد له : أماما أحكمته
الصنعة ولا يمكن أن يكون على الفطرة ، مع قبوله للانسجام وعدم القلق
فهو كثير ، وقد اختار له كل مؤلف طائفة حسنة منه ، وما استحسنه لطف
الصنعة ابن معصوم قول ابن جابر :

أيها العاذل في حبي لها خل نفسي في هواها تحترق
ما الذي ضرك مني بعدما صار قلبي في هواها تحت رق
وقول ابن أسد الفارقي :

غدونا بآمال ورحمنا بخيبة أمانت لنا أفهامنا والقراخا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة فتسأله عن حاجة ولاق رانحا
وقول بعضهم :

كف عن الناس إذا شئت أن تسلم من قول جهول سفيه
من قذف الناس بما فيهم يقذفه الناس بما ليس فيه
وقول ابن معصوم :

إذا أصبحت ذا طرب ولهو تعاقر راحة أو شرب راح
فقل لي كيف ترجو الرشد يوما ومالك عن ضلالك من براح (١)

وقال ابن معصوم فيما تركب كل من ركبيه من كلتين فأكثر ،
هو أطفها موقعا في القلوب ، وأحلاها ذوقا في الأسماح ، وأصعبها
مسلكا ، (٢) .

(١) أنوار الربيع ١ ، ١٠٥ - ١١٠ .

(٢) نفسه ١ : ١٢٦ .

ومن أمثلته قول الصفدى :

مضى تصنع المعروف ترق إلى العلى
وتلق سعداً فى ازدياد سعد
ولأن تغرس الإحسان تجن الثمار من
مغار سعدوه لامفارس عود

وقوله :

ومجلس أقوام تطوف عليهم كؤوس الحميا فى مدار سعد
تجادلت الأوتار فى جنباته فأضحى الندامى فى مدارس عود
وبما استلطفه قول ابن القيم رانى يمدح خطيباً :

شرح المنبر صدراً لتلقك رحيماً
أترى ضمخ طيباً منك أم ضم خطيباً

وليس بخاف أن ما كان كذلك من سمر التناول وعدم الكلفة الثقيلة
على الروح - لون جميل فى التعبير لا ينكر حسنه (١) .

- (١) تمكن مراجعة الجناس فى (١) فن الجناس - على الجندى :
دار الفكر (٢) جنان الجناس - الصفدى (٣) أنوار الربيع : ١ : ٩ -
ابن معصوم . (٤) خزنة الأدب لابن حجة ٢٥ (٥) نهاية الأرب للنويرى :
٧ : ٩٣ (٦) تحرير التحجير لابن أبى الإصبع ١٠٢ (٧) البديع لابن منقذ ٣٣
(٨) الجامع الكبير لابن الأثير ٢٥٦ (٩) الطراز للعلوى : ٣ : ٣٥٠ .

الالتزام فى الجنس

الالتزام قيد قاس يرسف فى عقل الملتزم دون عاطفة ، ولا موجب له فى الكلام إلا عاطفة غير سامية ، هى حب الظهور بالقدرة على اللغة ، والتمكن من تطويعها فيما صعب أولان . وقد التزم أناس الجنس فى كلام طويل ، وبتكرير لفظ واحد من المشترك ذى المعانى المتعددة ، نخرج بهذا الالتزام المضاعف عن حقيقة الأدب ، التى من أهم مزاياها التعبير عن النفس المحتاجة بالمشير ، تمبيراً يحمل السامع على المشاركة الوجدانية للقاتل . وقد نهج هذا النهج أولا اللغويون ، ليضبطوا - فى الغالب - معانى لفظ مما وقعت الشراكة فيه ، وقد لا يعاب ذلك لأنه عمل علمى ، وإن أضفوا عليه سحة أدبية ، كقول الخليل بن أحمد فى لفظ (الغروب) :

يا ويح قلبى من هداى الهوى إذ رحل الجهوران هـند الغروب
أتبعتم طرفى وقد أزموا ودمع عيني كفيض الغروب
بانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقامى الغروب

إذ (الغروب) الأول للشمس ، والثانى جمع (غرب) وهى الدلو ، والثالث جمع (غرب) وهى الوهدة المنخفضة من الأرض (١) .
قال صاحب كتاب (الذيل والتكلة) (١) فى ترجمة ابن هشام النخعي الأشبلى :

(١) مراتب النحويين : ٦٠ - ط الثانية - بتحقيق : محمد أبو الفضل .
(١) الذيل والتكلة للأنصارى المراكنى - السفر ٦ : ٧١ بتحقيق هـ . إحسان عباس .

دوكان لابن هشام تصرف حسن في النظم ، ومنه أبيات ضمنها
معاني (الخال) في كلام العرب على اختلافها ، وصدر هذه الأبيات :

أقول لخالٍ وهو يوماً بذى خال

يروح ويغدو في برود من الخال (٢)

أما ظفرت كفالك بالعصر الخالي

بربة خال لا يزن بها الخالي (٣)

تمر كمر الخال يرنج ردفها

للى منزل بالخال خلو من الخالي (٤)

وقد أخذ المراكبي بعد الأبيات يذكر ما نوقش به ابن هشام في
نظم المعاني للفظ (الخال) فأتى بمنظومة أبي الطيب عبد الواحد القنوي
التي منها :

ألم بربيع الدار بان أنيسه

على رغم أقف اللهو قفراً بذى الخال (١)

(٢) الخال الأول فيما يبدو : أخو الأم . وذو خال : اسم موضع .
والثالث : نوع من النسيج البني الموشى .

(٣) العصر الخالي : الماضي . والخال الثاني : نكتة في الوجه يعدونها من
الحسن . والخال الثالث : من الخلالة في المكان .

(٤) مر الخال : مر السحابة أو الغيم . والخال الذي به المنزل اسم مكان :
والثالث من خلا بالمكان إذا لزمه فلم يفارقه .

(١) ذو الخال : اسم الوضع .

مساعد خل أو مقضى ذمة ومحى قتل بعد سكانه خالى (٢)
خلا منهم من حيث لم تحلل مهجى

ولم يحل من نوى وأورق كالحال (٣)
وكم جللت أبهى النوى وصرورها

على الزمن الخالى المحبين بالحال (٤)

وهى ستة عشر بيتاً على هذا العرار من التجنيس قال : وقد أنشد فيها
ثعلب ، والمفضل ، وابن مقسم ثلاثة عشر بيتاً ، فاستدرك عليهم أبو محمد بن
السيد بقية معاني (الخالى) فتم له اثنان وعشرون بيتاً اختلفت رواياتها ، ثم
ساقها المراكشى بإحدى تلك الروايات ، وماروى :

أنعرف أطلالا شجوفك بالحال

وعيشا غريراً كان فى العصر الخالى (٥)

ليالى ريعان الشباب مسلط على بهصيان الإمارة والخالى (٦)
وإذا أنا خدن لغوى أخى الصبا

وللغزل المريح ذى اللهو والحال (٧)

(٢) منادى مرخم أصله يا خالداً (كما فى مراتب النحويين : ٦٦) .

(٣) الأورق الرماد والحال : الحبل الأسود .

(٤) الزمن الخالى : الفائت ، والحال الأخير هو التوب الذى بستر
به الميت .

(٥) الحال الأول : اسم موضع . والعصر الخالى : الماضى .

(٦) الإمارة والحال : الرابة .

(٧) ذو اللهو والخال : الخيلاء .

وهى تفسيرات أبى الطيب اللغوى فى كتابه : (مراتب النحويين : ٦٠)
وما بعدها .

ونقل ابن معصوم في (أنوار الربيع) كما نقل غيره قصيدة ابن أصبغ اللغوى في معانى لفظ (العجوز) الذى التزمه في العافية وردده في الحشو ليستوفى اثنين وستين معنى في ثمانية وعشرين بيتاً ، شرحها أبو حيان النحوى وقد استدرك ابن معصوم في سبعة أبيات ما نقصه ابن أصبغ .

ومن مطالع ابن أصبغ :

الأنثى من معاطاة العجوز (١) ونهذه عن مواطاة العجوز (٢)

ولا تركب عجوزاً (٣) فى عجوز (٤)

ولا روع ولا تك بالعجوز (٥)

وإن أزمى بأقوام عجوز (٦) فمضى فيها بأبوال العجوز (٧)

وإن تزر العجوز (٨) بلا عجوز (٩) ففطره على متن العجوز (١٠)

وإن غاضت عجوز (١١) بنى زياد

غداة غد لها أهل العجوز (١٢)

وما إن للعجوز (١٣) إذا ألمت سوى استعمال أدمغة العجوز (١٤)

ومن استدراك ابن معصوم عليه :

ومن ركب العجوز (١٥) فلا يبالى إذا ما اضطر من أكل العجوز (١٦)

ولا تخلى عجوزك (١٧) من سهام إذا ما اسطمت أعمال العجوز (١٨)

(١) الخمر (٢) المرأة المسنة (٣) رمكة (٤) حرب

(٥) العاجز (٦) ستة شديدة (٧) البقرة (٨) البطل (٩) القرس

(١٠) اليد اليمنى (١١) البئر (١٢) القرينة (١٣) الرعشة

(١٤) الأرنب (١٥) البحر (١٦) طعام من النبات البرى

(١٧) الجمعة (١٨) نصلي السيف

وكم أسمى عجموز (١) في عجموز (٢)

بمرتبة أجل من العجموز (٣)

وعلى هذا الفرار نظم يحيى بن سلامة الحصفكى فى (الهلل) واستدراك
عليه ما قصه شرف الدين بن بنت أبى سعيد ، وأبيات الأول عشرة ، وأبيات
الثانى سبعة عشر ، كلها فى (أنوار الربيع) .

إلا أن الأدباء قد نهجوا نهج العلماء فى هذا الالتزام ، فكتب ابن تمام
السبكى ، يهنئ أخاه قاضى القضاة جمال الدين لتوليه التدريس ، قصيدة
قاربت الأربعين بيتاً يلتزم فى قافيتها لفظ (عين) نذكر منها هذه الأبيات :

هنيئاً قد أقر الله عينى	فلارمت العدى أهلى بعين (٤)
وقد وافى المبشر لى فأكرم	بخير ريئة وافى وعين (٥)
يخبرنى بأن أخى أناه	مناه وسعده من كل عين (٦)
فلو سمع الزمان لكنت أعطى	له ما فيه من ورق وعين (٧)
ألا يا شامة الشام افتخارا	بمن بسناه ينشوا كل عين (٨)
فى إن عدت الأعيان قالت	له الأيام : إنك أنت عينى (٩)

ومن المولعين من الأدباء بالنجنيس لإظهاراً للقدرة أبو محمد القاسم بن
على الحريرى صاحب المقامات ، ومن ذلك قصيدته التى ردها على أحمد

(١) شيخ (٢) صومعة (٣) الخلافة (٤) بمحمد

(٥) العين : الديدبان . الجاسوس المتطلع بعينه .

(٦) العين هنا : الجهة .

(٧) العين هنا : الذهب .

(٨) لعلها بمعنى : كل ذات : كل أحد .

(٩) العين هنا مفرد الأعيان : اشرفاء الأماثل ،

ابن أبي الفتح وقد ناهزت الخمسين (١) من الآيات ومنها :

هرج - لك الخير - صدور الركاب	على رُبِّي كُنْ مغاني الرباب
وقف بها وقفه مستعبر	يسح فيها الدمع سح الرباب (٢)
فسنة العشاق أن يعملوا	في منزل الحب إذا الحب غاب
يا حبذا تلك الربا من ربا	ظباؤها أفنك من أسد غاب (٣)
يعجز من يروح الحياظه	فيها ولو كان الذكي النقاب
من كل هيفاء رؤود الخطا	واضحة الجيد نجول النقاب (٤)
وتسقي اللب بدل الصبا	ومطعم الإدلال حلو وصاب
كان ذاك العهد من حسنه	روض همى المزن عليه وصاب (٥)

ومنه قوله :

وأحوى حوى رقى بركة لفظه	وغادرنى إلف السهاد بقدره
تصدى لقتلى بالصدد وإنتى	أفى أسره مذحاز قلبي بأمره

(١) خريدة القصر : الجزء الرابع - المجلد الثاني : ٥٧٢ هـ

(٢) دالرباب ، فى البيت السابق اسم المحبوبة وفى هذا البيت : السحاب الأبيض .

(٣) دغاب ، فى البيت السابق من الغياب ، وفى هذا البيت الشجر المعروف : أجمة الأسد .

(٤) دالنقاب ، فى البيت السابق : العالم البهانة ، وفى هذا البيت : ما نجهله المرأة على وجهها لستره .

(٥) دالصاب ، فى البيت السابق شجر مر العسارة ، وفى هذا البيت : انصب .

(٦) مصدر نقلنا هو خريدة القصر السابق يئانه : ٦٢٤ هن المقامات .

أصدق منه الزور خوف أزوراره
وأرضى اجتماع الهجر خيفة هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما أجد عذابي جدي حب به
تناسى ذمائي والتناسى مذمة وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
له منى المدح الذى طالب نشره ولى منه طى الوه من بعد نشره
ولولا تنبيه قنيت أعنتى
بداراً إلى من أجتلى نوره بدره

واستساغة هذا اللون من الالتزام إنما ترهن بذوق عصره ، فقد كان
يلغى القصة من استطاعه فى الثناء عليه ، حتى تنبرى الأفلام السبق إلى النقل
عنه ، وقفه فى خلقه شئون .

٣ - العكس أو التبديل

من أنواع البديع التى تحقق بالتكرير هذا النوع الذى يسمونه ؛
العكس أو التبديل ، أو المقلوب ، ومنهم من يجعله من صور الجناس .

عرفه أبو هلال بقوله : « أن تعكس الكلام فتجعل فى الجزء الأخير
منه ما حملته فى الأول » (١) .

وقال الخطيب (٢) : « هو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخره ثم ذكر
لذلك وجوهاً هي :

(١) أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه مثل . طاعات السادات
سادات العاهات .

(١) الصناعات : ٣٨٥

(٢) بنية الإيضاح : ٢٦

٢ - أن يقع بين متعلقى فعلين في جملتين ، كقوله تعالى : د يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، (١٩ : الروم) .

٣ - أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين ، كقوله تعالى : د هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، (١٧٧ : البقرة) .

والتبديل في الكلام البليغ كثير ، وله هدف قاصد إلى تمكين المعاني وتقرير الأغراض ، فالمثال الأول على ما فيه من جمال النسق والواقع يؤكد المدح ، والثاني يقرر القدرة ، والثالث يؤكد المساواة في الحكم فهو من تكرير التشابه .

ومثل ذلك قوله تعالى : د تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، (٢٨ : آل عمران) فإن كلا من الجملتين اللتين وقع بهما تكرير العكس ، فيه التقرير والتأكيد لإثبات القدرة على كمال التصرف في الأضداد ، فإن كثيراً منا قد يقدر على الفعل دون عكسه ، فيكون ذلك نقصاً في قدرته ، وهذا الذى نذهب إليه هو ما يدل عليه صدر السياق : د قل : اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ، (٢٧ : آل عمران) ولهذا كان التذييل بوصف القدرة على كل شئ .

وعلى هذا القياس من التعليل لعودة العكس إلى تقرير الغرض تنظر الأمثلة الآتية :

قول الأضبط :

ويجمع المال غير آكله	ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابس	ويلبس الثوب غير من قطعه

كما يفهم تقرير التلازم بين وجود التقى والمجد في قول المتنبي :
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
فإن السكّال بوجودهما معاً ، وفي انفراد أحدهما النقص .
وقول الحماسي :

رمى الحدّثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن لها سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوهن البيض سودا
فيه شدة التقرير لهُول مارمين به ، لتغييره ملامح النعمة أجمع ، إذ جمال
المرأة في سواد الشعر وبياض الوجه ، فإذا انتقل وصف كل منهما للآخر
انتقل الجمال إلى القبح وسوء الحال .

ويظهر تأكيد السببية بين الهوى والدموع في قول الآخر :
اسانى كتوم لأسرارهم ودمعى برى نغوم مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى ولولا الهوى لم يكن لى دموع
وتعليلنا هذا لا يدفع عن أسلوب العكس الملامة إذا صار جثاً ، أو ارتبط
بغرض نافه لم تتحرك به العاطفة ، كقول القائل :

معدوقى جارية سافية ونزهتى ساقية جارية
جارية أعينها جنة وجنة أعينها جارية
فإنه صورة مصنوعة بذكاء ودعى لاستكمال اللعب باللفظ كتبديل قطع
الشطرنج في رقعة .

٤ - مالا يستحيل بالانعكاس

هذا الأسلوب ملحق بسابقة، بل هو أتمه في القيام على التكرار الكلى للحروف فضلاً عن الكلمات سواء السكاكى مقلوب الكل، ويسمونه العكس المستوى، أو المقلوب المستوى، ودلالة الجميع واحد.

قال ابن حجة: وعرفه الحريرى في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده... وهذا النوع غاية أن يكون رقيق الالفاظ، سهل التركيب، منسجماً في حالى النثر والنظم وجاء منه في الكتاب العزيز دكل فى فلك، (٤٠: يس) و د ربك فكبر، (٣: المدثر).

والمهرز فيه هو الذى يأتى به رقيق الالفاظ، سهل التركيب، رافلا فى حلل الافسجام، (١).

وقال الملوى فى (القلب) :

« وهو من جملة أفانين البلاغة، وفيه دلالة على الاقدار فى الكلام والإعراف فيه، ثم قال فى (المستوى) منه وهو خامس الأوجه للقلب عنده.

« وهو قليل، نادر، صعب المسلك، وعز المرتقى، لا يكاد يأتى به إلا من أفلق فى البلاغة، وتقدم فى الفصاحة،.

وهو كما وصفوه؛ حتى لا يتصور الإنسان إتيانه بدفع الوجدان، وإنما

هو - إلا ما ندر - وليد الكلفة ، ولا يحسن ، أمثلوا له به إلا القليل ، الذي جاء على ما شرطوه ، كقول القاضى الأرجانى :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

وتكرير الكلمات فيه ظاهر ، ولكنه ليس المقصود هنا ، بل المقصود التكرير الخفى ، الذى لا يفتنه إليه السامع أو القارئ إلا بالأنية إليه ، وهو أن تاد قراءة الكلمات من آخر حرف ، فتوجد بلا نقص أو تحريف أو تغيير ، شكلا وهلالة ، وهذا سر دقته ووعورة مسلكه ، وتأية إلا على فرسان الصناعة .

ولا أزه عن الشك أن يكون قد جاء على البدئية - كما قالوا - قول المهاد الكاتب للقاضى الفاضل وقد مر به راكباً : : سر فلا كباكك الفرس ، ورد القاضى عليه : : دام علا المهاد ، إذ يقضى كل من التعبيرين أنه سبق إعداده لمثل هذا الموقف ، وقد اعتاد المهاد أن يراه راكباً فرسه ، كما عرف القاضى أن المهاد من المولعين بتجويد هذه الصناعة .

وإذا كان لونا يقوم على التكرير المقدر دائما ، والظاهر فى الكلمات أحيانا كبيت الأرجانى . فإنه لا يوسع المتكلم عن التكرير بمعناه العام تركه .

٤ - تشابه الأطراف

لتشابه الأطراف تعريف عند الخطيب لا ينطبق عليه مرادنا ، وقد ألحقه برعاية النظير أو التناسب (٢) . والذى معنا هو ما يسميه بعضهم (التسبيغ)

(١) الطراز : ٣ : ٩٥ .

(٢) بغية الإيضاح : ٤ : ١٨ .

وقد قال فيه ابن أبي الإصبع بعد ما بين أن الأجداد سماه الاسم السابق :
 و فرأيت أن أسمى هذا الباب تشابه الأطراف ، لأن الآيات تشابه
 أطرافها ، (١) وقال ابن معصوم : تشابه الأطراف عبارة عن أن يعيد الشاعر
 لفظة القافية في أول البيت الذي يليها . فتكون الأطراف متشابهة ... وقد
 يكون ذلك في النثر أيضاً ، بأن يعيد النثر القرينة الأولى في أول القرينة
 التي تليها ، (٢).

وعلى هذا الحد فإن التشابه ليس بين طرفي البيت الواحد ، ولكنه بين
 آخر البيت وأول تاليه ، حيث يكون التكرير ربطاً محكما لتوثيق الغرض
 المقصود بالتعبير ، والذي يظهر من أمثلهم أن الألفاظ المكررة لا يشترط
 فيها اتحاد المعنى ، فقد يتحدث كما في النثر من قوله تعالى : د الله نور السموات
 والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج
 كأنها كوكب دري ، (٣٥ : النور) .

وقد يختلف بالنفي والإثبات كما في قوله تعالى - وهو أيضا من طباق
 السلب - ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ،
 (٧ : الروم) .

وكقول قيس :

إلى الله اشكرو فقد لبني كما شكا إلى الله بعد الوالدين يتيم
 يتيم جفاه الأقربون لجسمه نحيل وهد الوالدين قديم
 وقول أبي ذؤيب :

(١) تحرير التحرير : ٣ : ٥٢٠

(٢) أنوار الريح : ٣ : ١٥٠

وإن حديثاً منك لو تبدلته جنى النحل في ألبان عود طافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء الفاصل
وكقول ابن أبي الإصبع من شعره مع اختلاف المعنى بالذات
لا بالننى :

خليل إن لم تغداني في الهوى ولم تحملاني عنى الهوى فدعاني
دعاني إليه الحب فالجب آفا دعاني قلبي إذ دعاه جناني
جناني في سكر فلا رعى عنده بكاس بها ساقى الغرام سقاني

غير أن اتحاد المعنى ، أو اختلافه بالسلب والإيجاب أعود على الغرض
بفائدة التقرير وتوثيق الربط بين أوصال الكلام ، فلا يبقى للتركيب مع
اختلاف المعنى بالذات إلا القيمة السمعية العائدة على الجرس .

وما تكرر متحد اللفظ والمعنى للتطريب والتأكيد واستطابة التردد
قول أبي حية :

رمتي وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
ريم التي قالت لجارات يديها ضمنت لكم أن لا يزال بهيم
وقول عمر بن أبي ربيعة :

فلم أستطعها غير أن قد بدالنا عشية راحت وجهها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البهم بالضحي
عصاها ووجه لم تلاحه النسائم

فهذه الإعادة للألفاظ على وجه تشابه الألفاظ ، فيها تركيز لمدلول
السكر وتثويته به ، يلفت النفس إلى المستأنف من أخباره ، على أي وجه
يتجه إليه الغرض ، غزلاً كان كما مضى ، أو مدحاً كما في قول ليلي
الأخيلة للمعاصم :

إذا نزل المجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاه
شفاه من الداء العضال الذي بها

غلام إذا مر القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعليها إذا جمعت يوماً وخيف أذاها

ومنه في الادم قول الثابتة لتأكيد بيان المفترين عليه :

لعمرى وما عمرى على بهين لقد نطقت بطلا على الأفارع
أفارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروء تبتغي من يجادع

وتشابه الأطراف كالمحسنات كلها ، يلذ للسمع ويخف على القلب ،
متى قوى به الانسجام والتلاؤم غير ناب به موقعه ، وقد تكرر في أبيات
الأخيلية فلم يثقل ثقله في أبيات ابن أبي الأصم السابقة ، فإن أثر التكلف
فيها ينادى على نفسه ، وليس من السداد أن يلتزم بلا داع يوجه
كما التزمه القائل :

ما إن تريم فؤاده أشجانه	كثرت بها يوم النوى أحزانه
أحزانه لما جرت بهظامه	من حب من شهدت له أجفانه
أجفانه شهدت له أن الورى	طرا أذل رقابهم سلطانه
سلطانه برع الجمال بوجهه	وروادف خضعت لها أركانه
أركانه أبداً تميد إذا مشى	ويكاد تقطر كفه وبنانه
وبنانه كالخيزران وقده	قد الفصيب زهت به أغصانه

ولاشبهة في الفرق الشاسع بين هذا التكرير الغث والامثلة السابقة
لابي حية ، وابن أبي ربيعة ، وليلى ، والنابعة ، من كل ما أدى تشابه
الأطراف فيه حق وجوده من خفة على السمع ، ومواتاة للطبع ، وتوثيق
لربط ما بعده بما قبله ربطاً فيه ثراء المقصود بالبيان ،

قال ابن معصوم : دوفى هذا النوع - أعنى تعاضده الأطراف - دلالة على قدرة عارضة الشاعر وتصرفه فى الكلام ، وإطاعة الألفاظ له . ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع فى السمع والطبع ، فإن معنى الشعر يرتبط ويتلاحم به حتى كأن معنى البيتين أو الثلاثة معنى واحد ... فلا عبرة بقول ابن حجة : دليس تحته كبير أمر... (١) .

هـ - رد الأعجاز على الصدور

من الأنواع البديعية التى تعتمد على تكرير اللفظ هذا النوع ، الذى يسمى مع هذا الاسم : التصدير ، ويورده ابن الأثير تحته التجنيس ، وتسميته بالتصدير هى من إطلاق المتأخرين .

يقول ابن أبى الإصبع : دوهو الذى سباه المتأخرون (التصدير) وقسمه ابن المعتز ثلاثة أقسام ، (٢) وقد أخذ يسوق كل قسم وتعرفه والنقد عليه .

من ذلك يظهر أنه من أسبق أنواع البديع إلى كتب البلاغة ، وقد عرفه الخطيب فى النثر بقوله : دوهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما - فى أول الفقرة والآخر فى آخرها (٣) .

وهو يعنى أنه يأتى بلفظين قد اتحد معناه ، ولفظين قد اختلف معناه ، ولفظين لا يجمعهما أصل اشتقاقى ، بعد اتفاق المكرر فى الحروف ، أو يجمعهما مع اختلاف الحياة .

(١) أنوار الربيع : ٣ : ٥٠

(٢) تحرير التحرير : ١ : ١١٦

(٣) بغية الإيضاح : ٤٠ : ٨٧

فرد العجز على المصدر في المكررين المتحدین افظا ومعنى كقوله تعالى :
« وتغنى الناس واقه أحق أن تغشاه ، (٣٧ : الأحزاب) .

وفي المتجانسين المختلفي المعنى كقولهم : سائل التيم يرجع ودمعه
سائل ، فإن الأول من السؤال والثاني من السيل ، وكلاهما اسم .

وفي الملحقين بالمتجانسين كقوله تعالى : « قال : إني أعلمكم من القالين ،
فإن الأول ماضى القول ، والثاني اسم فاعل القلى .

كما عرفه الخطيب في الشعر بقوله : « وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر
البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ،
أو صدر الثاني ، (١) فهذه صور أربع ، كل منها يجرى مع واحد من الثلاثة
السابقة : المكررين ، والمتجانسين ، والملحقين بالمتجانسين . ولهذا نراه قد
أنعم التمثيل لاثنتي عشرة صورة .

أمثلة المكررين :

- (١) سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
وليس إلى داهي الندى برريع
 - (٢) تمتع من شميم عرار نجد فا بعد العشيّة من عرار
 - (٣) ومن كان بالبيض الكواعب مفرما
فأزالت بالبيض القواضب مفرها
 - (٤) وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلا فإن نافع لي قليلا
- أحد المكررين دائما مكان القافية ، والثاني في البيت الأول « سريع ،
وقع غير مسبوق في صدر مصراعه .

والثاني في البيت الثاني وقع حشو مصراعه « عرار ، ،

والثاني في البيت الثالث وقع آخر مصراعه مفرما .

والثاني في البيت الرابع وقع أول مصراع قرينه قليلا .

أمثلة المتجانسين .

(١) دعاني من ملامكا سفاها فداعى الشوق قلبكما دعاني
(دعا) الأول أمر بمعنى الترك ، والثاني ماضى بمعنى الطلب .

(٢) وإذا البلابل أفصحت بلغاتها

فأقف البلابل باحتساء بلابل

(٣) فشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني

(المثاني) الأول من القرآن ، والآخر أوتار الطرب .

(٤) أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

(فلاح) الأول مركب من الفاء والفعل الماضى ، والآخر اسم .

وظاهر أن اللفظ السابق على الترتيب فى الأمثلة الأربعة : أول الشطر الأول ، حموه ، آخره ، أول الشطر الثانى .

أمثلة الملحقين بالمتجانسين .

(١) ضرائب أبدعتها فى السماح فلاسنازى لك فيها حمريا

الإلحاق من عدم اتحاد الصيغة مع اتحاد الأصل فى الاشتقاق .

(٢) إذا المرء لم يحزن عليه لسانه

فليس على شىء سواه بخزان

اتحد الاشتقاق واختلفت الصيغة .

(٣) فدع الوعيد فما وعيدك ضاى
أطنين أجنحة الذباب يضير ؟

اتحد الاشتقاق واختلفت الصيغة .

(٤) وقد كانت البيض القواضب فى الوغى
بواتر ففى الآن من بعده بتر

تحد الاشتقاق واختلفت الصيغة .

واللفظ السابق على ترتيب الأمثلة : أول الشطر الأول، حشوه ، آخره
أول الشطر الثانى .

هذا التصوير الدقيق لمواقع المكرر ونوعه ، يسلبنا إلى أن أكثر
التصدير من أمثلة الجناس ، وعلى ذلك فإن حسن الجناس يضاف إلى
حسنه .

وقد اختصر القسمة ابن المعتز قبل هذا التعمق، فلم ينظر إلى نوع المكرر
ولمّا نظر إلى موقعه فجعل الأقسام ثلاثة :

١ - المكرران طرفان للبيت فى مثل :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى سريع
وسمى هذا النوع ابن أبى الإصبع (تصدير الطرفين) .

٢ - المكرران : آخر المصراع الأول وآخر البيت كقول القائل :

يلقى إذا ما كان يوم عرمم فى جيش رأى لا يفل عرمم
وقد سمى ابن أبى الإصبع هذا النوع (تصدير التقية) .

٣ - المكران : أولهما في الحشو (مطلقا) والثاني آخر البيت في مثل :

سقى الرمل جون مستهل غمامه وماذاك إلا حب من حل بالرمل
وسماه ابن أبي الإصبع (تصدير الحشو) (١).

وقد أراد ابن معصوم أن يزيد شيئاً ، فجعل الصور التي خلفها الخطيب ستة عشرة صورة ، إذ جعل الملحق بالمتجانسين نوهين ، فجعل المتفقين في الاشتقاق مع اختلاف الحياة نوعاً ومثل له بأربعة أمثلة تسير ماجرى عليه الخطيب ، ثم جعل المتفقين في اللفظ دون أن يجمعهما الاشتقاق أو الاشتراك نوعاً ومثل له بأربعة على النسق ذاته .

وأيما كان من التقسيم والتفصيل ، فإن التصدير يقوم على التكرير ، وإنه يؤدي معنى دقيقاً غير التردد الصوتي ، بحيث يفقد الكلام هذا المعنى إذا وجد فيه ثم أخيناه منه ، فقام المقارنة وتقرير الحال في المعاينة ، يقتضى أن يتكرر لفظ الخشية التي هي مناط الغرض في قوله تعالى : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » (٢٧ : الاحزاب) وتأكد الهم لابن العم يقتضى ذلك التكرير الحادث لإنبات المفارقة في قول ابن عمه :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع
فقد أثبت له السرعة في الحق ، وقفاها في البر ، ونفى الخهر بعد إيجاب الشر تأكيد لثبوته .

وقول البحري :

(١) تحرير التحبير : ١ : ١١٦ وما بعدها .

على الحى سرنا عنهم وأقاموا سلام : وهل يدنى البعيد سلام؟

يشعرنا التصدير فيه - بتكرير السلام - أن الشاعر حزين مبلبل
العاطفة ، فالسلام أنشأه من بعيد على الأحباب النازحين ، هو تعويض
للنفس الملهوفة على حد قول الرضى :

وتلفتت عيني فذ خفيت عني الطول تلفت القلب

والسلام المعاد على وجه الاستبعاد ، صحوة تهتذب العاطفة إلى جهة العقل
ليتولد منها الأسى اليأس ، أو الصبر اليأس .

وعلى هذا يمكن أن نرى تكرير التصدير أسلوباً يمليه الموقف ،
ولا بجانب العاطفة ، إلا إذا جاء مفتعلاً أو على وجه الالتزام الدال على
الكلفة ، ومنه قول ابن جابر :

جمال هذا الغزال سحر يا حبذا ذلك الجمال

هلال خديه لم يغيب عني وإن غيب الهلال

غزال أنس يصيد أسداً فاعجب لما يصنع الغزال

وهكذا إلى تمام ستة أبيات ، لا يخفى على المتذوق خفاء الروح فيها
أو احتجاب العاطفة ، وليس أقل منه في ذلك قول الثعالبي الذي هام به
بعضهم :

وإذا البلايل أفصحت بلغاتها فانف البلايل باحتساء بلايل

فلا شيء فيه غير إظهار القدرة على استعمال المشترك .

ورد أحجاز الكلام على ما تقدمها مما اهتم به الدكتور إبراهيم سلامة في
كتابه (بلاغة أرسطو ...) وجعله من صميم الذوق الشعري عند العرب ،
وبين أن تسميته خلسة بهم ، وقد ذكر من مزاياه : أنه نوع من الدلالة فيه

تقرير وبيان وتدليل ؛ وأن فيه نوعاً من زيادة المعنى ، حاصلًا من إجماع اللفظ الأول بالثاني الذي هو تكرار له ، وأن الأول كما أوحى بالثاني فإنه يذكر به عند الإنشاد ، فهو رابط من روابط التذكر ، وأن هذا التردد نوع من الموسيقى . وأقرب ما يكون إلى الغناء الذي يطلب فيه تردد بعض الفاظ يدركها السامعون إدراكاً وهملياً بمجرد الإنشاد ، والموسيقى تحلو على التردد والتكرير . وفيه فوق كل ما تقدم روتق من حسن السبك في الصناعة ومانية وطلاوة من جمال العرض . (١)

٦ - التكرير بالمعنى الخاص

والمقصود به ما كرر فيه اللفظ بمعناه على الوجه الذي عدوه من الإطناب قال ابن معصوم : : وهو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنسكتة ، (٢) .

وقد عد من فوائده الزركشى سبعةً مثل لها من القرآن :

أولها : التأكيد ، كقوله تعالى : د كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون ، (٣ - ٤ : التكاثر) .

وقوله : دوما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين ، (١٧ : الانقطار) .

على أنه إنذار مؤكد ، ولا يمنع التأكيد وجوده ثم ، فقد أطلق بد الدين بن مالك في شرح ، الخلاصة ، أن الجملة التأكيدية قد توصل

(١) بلاغة أرسطو : ١٢٧ .

(٢) أنوار الربيع : ٣٤٥ : ٥ .

بعاطف ، ولم تختص بـ (ثم) وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص ،
ومن أمثله : دكى نسبك كثيرا ونذكرك كثيرا ، .

(٣٣ : طه)

د أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك
أصحاب النار ، (٥ : الرعد) .

د أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، (٥ : البقرة) .

د قل : إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . وأمرت أن أكون
أول المسلمين ، (١١ الزمر) .

ثانيها : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول .

ثالثها : إذا طال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانياً بطريقة له
وتجديداً لعهده ، كقوله تعالى : د^{ثم} إن ربك الذين عملوا السوء بجهالة
ثم قابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، .
(١١٩ : النحل)

وقوله : د^{ثم} إن ربك الذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، (١١٠ : النحل) .

وقوله : إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ،
(٤ : يوسف)

رابعها : في مقام التعظيم والتهويل . كقوله : دالحاقة ما الحاقة ، .

وقوله : د القارعة ما القارعة .

وقوله : د إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، .

وقوله : د وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، .

خلصها : في مقام الوعيد والتهديد . كقوله تعالى : دكلاسوف تعلون .
ثم كلاسوف تعلون ، (٣ : التكاثر) .

وذكره ثم ، في المكرر دليل على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول
وفيه تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد أخرى ...

سادسها : التعجب . كقوله تعالى : د فقتل كيف قدر . ثم قل
كيف قدر ، (١٩ : المدثر) .
فأعيد تعجباً من تقديره .

سابعها : لتعدد المتعاقب كما في قوله تعالى : د فبأي آلاء ربكما تكذبان .
دمكرر : الرحمن ، فإنها وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله ، وإن
الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن ، وعدد عليهم نعمه التي خلقها
لهم ، فكما ذكر فعلا من فصول النعم طلب إقرارهم ، واقتضاهم الشكر
عليه . . . (١) .

وبما عدوه من فوائد التكرير : (٢) .

زيادة التوجع والتحسر : كقول الحسن بن مطير :

فيا قبر معن أنت أول حضرة

من الأرض خطت الساحة مضجعا

ويا قبر معن كيف ولدت جوده

وقد كان منه البر والبحر مقرا

وقول الشاعر :

وهيات هيات العقيق وأهله وهيات خل بالعقيق فواصله

(١) مستصفي من البرهان : ٣ : ١١ - وما بعدها .

(٢) ينظر أنوار الريح : ٣٤٥٠٥ .

وزيادة المدح : كقول أبي تمام :

بالصریح الصریح والاروع الاروع
وع منهم وباللباب اللباب
والتلذذ بذکر المكر كقول الآخر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد
ويا حبذا نجد على القرب والبعد
نظرت إلى نجد وبغداد دونها
أعلى أرى نجداً وهبات من نجد
فكرر لفظة نجد خمس مرات لتلذذه بذكرها .

هذه فوائد للتكرير يضاف إليها ما أسلفناه في « الأغراض الجزئية » ،
قبل ، فإذا لم يوف التكرير بفرض منها فسقطت ميزته فهو مردود ، وقد
نقد العلماء كثيراً من أمثله العارية عن الفائدة . قال ابن معصوم : ولا ريب
في قبح التكرار إذا خلا من فائدة ، كما في قول من كتب إلى محمد بن
عبد الملك :

قد بعثنا بتحفة البستان بكر ما قد جنى من الريحان
ياسميناً ، وزجساً قد بعثنا وبعثنا شقائق النعمان
فأجابه بقوله :

هون فض الإله فك وأدما . وأقصاك يا عبي اللسان
حشو بيتيك قد وقد فإلى كم قدك الله بالحسام اليماني

وبعث إلى الوليد بن عبد الملك عمه عبد الله بن مروان قطيفة وكتب
إليه : بعثت إليك بقطيفة حمراء حمراء حمراء . فكتب إليه الوليد :
وصلت القطيفة بأهم ، وأنت أحق أحق أحق .

وقالت جارية ابن السماك له : ما أحسن كلامك لولا أنك تكثر
تكراره :

فقال : أكرره حتى يفهم من لا يفهم . فقالت : فإلى أن يفهم من لم يفهمه
فقدم له من فهمه (١) .

(٧) الترديد

من الأنواع البديعة التي عمادها التكرير ما يسمى في علم البديع
بالترديد ، وهو كما عرفه ابن أبي الإصبع : « أن يعلق المتكلم
لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يرددها بعينها ويلحقها بمعنى آخر ، (٢)
ومن أمثلته :

« وإذا جاءهم آية قالوا : إن تؤمن حتى تؤتي مثل ما أدنى رسول
الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ٢٤ : الأنعام ، فالجلالة الأولى مضاف
إليها والثانية مبتدأ بها .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يطلون ظاهراً من الحياة الدنيا ، .
٧ : الروم ،

الأول منى منزل منزلة اللازم ، والثاني مثبت متعل إلى المفعول
الخاص .

« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن نقوم فيه . فيه رجال
يحبون أن يتطهروا ، ١٠٨ : التوبة ، « فيه ، الأول متعلق بالقيام ، والثاني
مخبر به مقدم . ومنه قول ابن هاني :

وقد أبط الفيث فض الجيم غرض الأسرة غرض الندى .

(١) أنوار الريح : ٥ : ٣٥١ وقد سبق فلامن البيان والتبيين ،

(٢) تحذير التحديد : ٢ : ٢٥٣ ،

واختلاف ما أضيف إليه المردد بين . ومثله قوله :

ويأبى لك الذم طيب النجار وطيب الخلال ، وطيب الشيم

وقول أبي تمام يهجو صالح بن عبد الملك الهاشمي :

يا أكرم الناس آباء ومفتخراً وآلام الناس مبلوا ومختبراً

تغضى الرجال إذا آباؤه ذكروا لهم ويفضى لهم إن فعله ذكرا

ولا يخلو مثال من أمثلة التزديد من التنويه بمعنى يستحكم به النظم وتقوى الدلالة ، فتزديد الجلالة في قوله تعالى : « حتى نؤتي مثل ما أوتى رسول الله الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، إظهار في مكان الإضمار لسبق الذكر ، وإنما عدل إليه لتأكيد استقلال الجملة الثانية الاستثنائية ، ليكون أبلغ في الرد والردع .

والمثال الثاني لمسجد أسس على التقوى . . . ، إنما ردد الظرف وقدم على المبتدأ لأن الضمير فيه عائد على المسجد الذي هو مناط الاهتمام والاحقية ، وهذا التزديد مع التقديم تأكيد لتفضيله على سواه :

وترديد ابن هانئ يفيد تأكيد مدلول المضاف ، وأنه وصف لازم للممدوح في كل ما يتصل به .

وترديد أبي تمام في البيت الأول يؤكد المغارقة الغريبة على وجه الشمول في طباق التفضيل ، وترديده الإغضاء والذكر في البيت الثاني على وجه المقابلة تأكيد للذم بعد تأكيد .

وهكذا يمكن النظر في أمثله الآتية :

المتن :

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من ردّه تحليل
ما الذي عنده تطار المنايا كالذي عنده تدار الشمول

البحرى :

أكرم الناس شيمة ، وأتم الناس خلقا ، وأكثر الناس رفدا
أظهر العدل فاستنارت به الأَرْض وهم البلاد غورا ونجدا
بشار :

عندها الصبر عن لقائى ، وعندى زفرات يأكلن قلب الحديد

الترديد المتعدد

ومن التردد ما يسمونه (المتعدد) وهو كما عرفه ابن أبى الإصبع :
أن يتردد حرف من حروف المعاني إما مرة أو مرارا مع تغير مفهوم النسب
لتغير الاسم إما لتغير الاتصال أو لتغير ما يتعلق بالاسم (١) ، كقوله تعالى :
« ومن يتوهم منكم فإنه منهم » ، ٥١ : المائدة ، حيث اتصل (من) بضمير
المخاطبين والغائبين فى الموضعين ، مع تضمن « من » معنى الشرط ، فغير التردد
مفهوم المؤمنين إذ جعلهم من الكافرين متى تحقق الشرط .

وقد يتردد الحرف مرارا كما فى قول المتنبي :

يا بدر ، يا بحر ، يا غمامة ، ياليت الشرى ، يا حمام ، يا رجل

وقول السامى :

والثريا كراية ، أو كحمام أو بنان ، أو طائر ، أو وشاح

ترديد لإيهام التاكيد

ومن التردد ما يسمى (إيهام التاكيد) وقد استخرجه زين الدين بن الوردى . قال ابن معصوم : د وهو عبارة عن أن يعيد المتكلم في كلامه كلمة فأكثر مراداً بها غير المعنى الأول ، حتى يتوهم السامع من أول وهلة أن الغرض التاكيد وليس كذلك ... ولم أنف عليه في شيء من كتب هذا الفن ، وإنما أشار إليه صلاح الدين الصفدى في شرح لامية العجم استطراداً وقال : إنه في غاية الحسن ، .

والمقصود بالتاكيد في قولهم هو اللفظى الذى يتبع فيه الثانى ما سبقه في حكمه ، وليس توثيق المعانى وتقرير الغرض بالوجه الأعم الذى هو ميزة في كل ترديد ، وقد مثلوا لإيهام التاكيد ببعض ما سبق : كقوله تعالى : د أحق أن تقوم فيه فيه رجال ، حيث يظن السامع قبل التحقيق أن التكريرائاً كيد الأول بالثانى على الإتياع .

ومنه قول أبى نصر الزوزنى :

ألا حل بنى عجب عجب تقاصر وصفى عن كفه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه

ومنه لزين الدين بن الوردى .

تعشقت أحوى لى إليه وسائل
وإصلاح أحوالى لديه لديه

أمر به مستعظفا ومسلما فيثقل تسليمى عايه عليه

فلا كان واش كدر الصفو بيننا وبغض تحببى إليه إليه

ولما يقع الإيهام لتجاوز اللفظين بلا فصل ، فيظن أن الثانى تابع نحوى للأول وليس كذلك ، لأن متعاقبه غير متعاقب سابقة ، فإن التقدير : ولديه لإصلاح أحوالى لديه ، فالثانى خبر المبتدأ ، والأول مرتبط بالمبتدأ متمم للمدلوله .

وهكذا : فيثقل عليه تسليمى عليه ، وبغض تحببى إليه إليه

تريد الحبك

هو نوع خاص من التكرير ، عرفه ابن أبى الإصيح بقوله : « هو أن تبنى البيت من جمل ، تردد فيه كلمة من الجملة الأولى فى الجملة الثانية ، وكلمة من الثالثة فى الرابعة ، بحيث تكون كل جملتين فى قسم ، والجملتان الأخيرتان غير الجملتين الأوليين فى الصورة ، والجمل كلها سواء فى المعنى : كقول زهير :
 يعلمهم ما ارتموا حتى إذا اطعموا ضارب حتى إذا ماضوا بوا اعتقا (١)

وهو تكرير يحمل الكلام فى تماسك واطراد ، كأن جملة يدفع بعضها بعضا لغاية ، ولهذا سميت فى كتاب (الحديث النبوى - من الوجهة البلاغية) تصعيد المعانى ، ولكنى عنيت منه فى الجمل المتوالية ، أن تبنى كل تالية على لفظ من السابقة ، فإن ذلك أتم فى معنى التردد وأكمل فى معنى الحبك . وقد جاء منه الكثير فى الحديث وكلام البلغاء ، فكان غاية فى الجودة ، وقرر المقصود ، وطيب الجرس . وما جاء على ذلك من كلامه ﷺ :

من خاف أدج ، ومن أدج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة، (١)

من أحبي سنة من سنتي قد أميتت بعدى فقد أحبنى ، ومن أحبنى ، كان معي (٢) .

« إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ، (١) .

« عمران بيت المقدس خراب يثر ، وخراب يثر يخرج الملاحمة والملاحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ، (٤) »

« من اقتبس بابا من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر ، المنجم كاهن ، والكاهن ساحر ، والساحر كافر (٥) »

ومن قول الأحنف :

« من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، (٦) .

وقال يزيد بن أبان

ليتنا لم نخلق ، وليتنا وإذا خلقنا لم نعص ، وليتنا إذا عصينا لم نمت

(١) تيسير الوصول : عن الترمذی .

(٢) نفسه ٢ : ٢٦٨ .

(٣) نفسه ١ : ٢٤٦ عن أبي داود .

(٤) تيسير الوصول ١ : ١٠٥ - عن أبي داود والترمذی .

(٥) نفسه ٤ : ٢٨٥ .

(٦) لباب الأدب : ١٧ .

وليتنا إذا متنا لم نبعث ، وليتنا إذا بعثنا لم نحاسب ، وليتنا إذا حوسبنا لم نعذب وليتنا إذا عذبنا لم نخلد ، (١) .

وقال الحسن البصري :

فرحم الله رجلا نظر فتنفكر ، وتفكر فأبصر ، وأبصر فصبر (٢)

ونسب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، :

الموت خير من ركوب العار

والعار خمر من دخول النار

والله من هذا وهذا جاري (٣)

(٨) التذييل

ومن الأنواع التي تقوم على التكرير التذييل ، وهو ، تعقيب الجملة التامة نظماً كانت أو نثراً بجملة تشتمل على معناها ؛ لتوكيدها منطوقاً أو مفهوماً ليظهر المعنى لمن لم يفهم ويتقرر عند من فهمه ، (٤) .

والمقصود منه هنا ما يظهر فيه إعادة صوت الحروف كما في قوله تعالى :

« وقل : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ٨١ : الإسراء ،

فإن لفظ الباطل معاد بصورته ومعناه والزهوق معاد بمادته ومعناها ، للغرض

(١) البيان والبيان : ١ : ٢٦٢ .

(٢) قصه ٣ : ١٤٢ .

(٣) أدب الدنيا والدين : ٢٢٣ .

(٤) أنوار الريح : ٣ : ٣٩ .

الذى سبق في التعريف . ومثله قوله تعالى : « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل
نجازي ، إلا الكفور ، (١٧ سبأ) .

قال أبو هلال : والتذييل في الكلام موقع جليل ، وممكن شريف خطير
لأن المعنى يزداد به انشراحاً ، والمقصود انضاحاً . وقال بعض البلغاء :
للبلاغة ثلاثة مواضع : الإشارة ، والتذييل ، والمساواة ... ، (١) .

وقد بين مقام التذييل من أحوال الخطاب وأثره النفسى في المخاطبين
فقال :

وينبغى أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف الحافلة ، لأن تلك
المواطن تجمع البطيء الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب الفريضة ، والجيد
الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تولد عند الذهن اللقن
وصح للكليل البليد ، (٢) .

ومن الشعر في ذلك قول الحطيئة يدح ،

قومهم الأتف والأذئاب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا ؟

وقول أبى الشيبس :

وأهنتى وأهنت نفسى عامداً ما من يهون عليك ممن يكرم

وقول ربيعة بن مقروم :

فدعوا زوال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذالم أنزل ؟

وقول ابن زريق :

(١) الصناعتين : ٣٨٧ .

(٢) نفسه : ٣٨٧ ؛

أعطيت ما سكا فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

وقوله :

والسعى في الرزق والأرزاق قد قسمت

يفنى ألا إن يفنى المرء يصرعه

وقول المثقب وفيه أكثر من مثال :

لا نقولن إذا ما لم ترد أن تتم الوعد في شيء : نعم

حسن قبل نعم قولك : لا وبيع قول : لا بعد نعم

إن (لا) بعد نعم فاحشة فتلافه إذا خفت الندم

واعلم أن الذم نقص للفتى ومتى لا تنق النعم تدم

إن شر الناس من يكسر لى حين يلقيانى وإن غبت شتم

وقول المتنبي :

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفكم أبصط ما يفنى بما لا ينفد

وقوله :

وقيدت نفسى في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيدا تفيدا

ويستوى في التكرير والغاية ما جرى من التذييل مجرى المثل لصحة

انفصاله عما قبله عند المناسبة ، وما لا يجرى مجرى المثل لإحكام ارتباطه بسابقه

وبنائه عليه .

(٩) التعطف

من الأنواع البديعية التي عمادها التكرير هذا اللون المسمى بالتعطف، وهو يمزج بالجناس وبالتزديد لولا ما يلاحظ من فرق طفيف .

عرفه أبو هلال بقوله : أن تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف (١). وهو يريد الاختلاف الواقع بين المعاني المدلول عليها باللفظ ذاته ، لا باختلاف ما يتعلق به ، ومعنى ذلك هو ذكر اللفظ المشترك بأحد معانيه ، ثم إعادة ذكره بمعنى آخر منها ، ودليل ذلك التوجيه شيثان :

(١) أنه مثل له بالمشارك المردد باختلاف معانيه . كقول الشماخ :

كادت تساقطن والرحل أن نطقت حمامة فدعت ساقا على ساق
فالساق الأول ذكر القهاري والثاني ساق الشجرة .

(٢) أنه أخرج منه قول امرئ القيس :

ألا لائق بال على جمال بال يسوق بنا بال ويتبعنا بال

فإن اللفظ المكرر بمعنى واحد في المواضع الأربعة وإن اختلف الموصوف . والعسكري - إذن - مطالب ببيان الفرق بين التعطف والجناس التام : ومن الملاحظ في تعريفه وتمثيله له بالشعر وقوله تعالى : دوير تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ، (٥٥ : الروم) وغير ذلك من النثر - أن التعطف غير مقيد بأحد القسمين .

ولهذا خصه العلوى بالشعر أولا ، وأطلقه من جهة الاشتراك أو المحافظة على الهيئة ثانيا ، فكان تعريفه : هو أن يأتي المتكلم بلفظ في صدر البيت ، ثم

بأى في العجز به أو بشيء من مشتقاته . فيخالف الجنس والترديد باختصاصه
بالموضعين من بيت الشعر دونهما : الصدر والعجز .

وقد عرفه ابن ميمون في أنوار الربيع التعريف نفسه فقال : « أن يأتي
الشاعر في المصراع الأول من البيت بلفظة ويعيدها بعينها أو بما يتصرف منها
في المصراع الثاني ، (١) » .

ومن أمثله على هذا الحد قول أبي الطيب :

فساق إلى العرف غير مكدر وسقت إليه الشكر غير مجمم

وهو من تكرير المجازاة حيث جعل الثاني جزءاً للأول ، كما يحىء على
وجه التعليل في مثل ما أنشده الأصمعي هرون الرشيد . وقد سأله أحياناً تجمع
محاسن الأخلاق :

فلا تمجل على أحد بظلم فإن الظلم مرتعه وخيم

ولا تفحش وإن ملئت غيظاً على أحد فإن الفحش لوم

ولا تقطع أخاً لك عند ذنب فإن الذنب يفره الكريم

ولا تجزع لريب الدهر واصر فإن الصبر في الدنيا سليم

ففي كل بيت من هذه الأبيات مثال للتعطف ، وقد ترى أنه من ملاحظ
آخر مثال للتذيل .

ومما مثل به ابن أبي الإصبع لتعطف قول زمير :

من يلق يوماً على علاته حرماً يلق الساحة منه والتدى خلقاً

وقول حقي بن خليفة :

فتى كان مولاه يحمل بفجوة فخل الموالي بمسده بمسيل

وقول أبي تمام :

فاقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدي مر سؤاله

وقول أبي الطيب :

فساق إلى العرف غير مكدر وسنت إليه المدح غير مذم

وهي رواية للبيت مختلفة عما سبق . وقد علق عليه ابن أبي الإصبع بقوله : وهذا البيت أفضل بيت سمعته في هذا الباب ، فإنه انعطفت فيه ثلاث كلمات من صدره هي ثلاث كلمات من عجزه ، فتمية بهذا الاعتبار ثلاث تعطفات .

وهذا يخبرنا أن التعطف يجوز أن يكون متعددًا في البيت الواحد . كما أجاز ابن أبي الإصبع مجيئه في النثر كأبي هلال ، ومثل له من القرآن بأكثر من المثال الذي قال العسكري : إنه لم يجد للتعطف في القرآن غيره . ومن هذه الأمثلة :

قل : هل تربصون بنا إلا لأحدى الحسنيين ونحن نترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من هناء أو بأيدينا فترصدوا إلانا معكم مترصدون ، (٥٢ : التوبة) .

قال : فإن التعطف في هذه الآية الكريمة في موضعين . ومعنى ذلك أنه عقد بين كل مترصدين متقابلين في الآية تعطفًا ، كما مثل بقوله تعالى :

« وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » ، (٤٠ : البقرة) .

« وهم عن الآخرة هم غافلون » ، (٧ : الروم) .

وقد سمي (التعطف) بعض العلماء (المشاكلة) ولكن المشهور أن المشاكلة لها ملحق آخر ، تفرق به عن التعطف وإن يكن في كل منهما تكرار لفظ .

١٠ - المشاكلة

هرف الخطيب المشاكلة بأنها ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في محبته تحقيقاً أو تقدير (١). ونقل هذا التعريف أكثر المؤلفين ، مع الأمثلة التي ذكرها الخطيب ، ومنها قوله تعالى : «جزاء سبعة سبعة مثلها» (٤٠ : الشورى) ذكر الجزاء باسم السبعة لوقوعه في محبتها .

وقول أبي الرقعمق :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم إلى خصوصاً
قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طبعه قلت : اطلبخوا لى جبة وقيصاً
ذكرت خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في محبته .

وقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحداً علينا فنجهل فوق جهل الجاهليتنا
ذكر جزاء الجهل بلفظ الجهل لوقوعه في محبته (على هذا الوجه) ،
وقول أبي تمام :

من مبلغ أفناء يمرب كلهم أنى بنيت الجار قبل المنزل

ذكر اتخاذ الجار بلفظ البناء لوقوعه في محبته ، إذا التقدير : قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور .

والمشاكلة - كما ترى - قائمة على التكرير ، وفيها تخييل حسن لا يخلو عن طرافة تعود على المعنى ، ولذا عدما بعض العلماء من قبيل المجاز ، كما فيها جمال الجرس الناشئ من إعادة الصوت ، فن عدما فى المحسنات المبنوية فله مبرره ، ومن عدما فى اللفظية فله وجهته .

١١ - الإحصاء أو التسميم

ومن الأنواع التي عمادها التكرير (الإحصاء) ويسميه بعض البديعيين (التسميم) كما سماه أبو هلال وقدامة (التوشيح).

عرفه الخطيب بقوله: وهو أن يجعل قبل المعجز من الفقرة أو البيت ما يدل على المعجز إذا عرف الروى، (١).

ومثل له من غير الشعر بقوله تعالى: وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، (٤٠: أنعمك بركات) وقوله: وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلتموا ولولا كلمة سبقت من ربك لأقضى بينهم فيما فيه يختلفون، (١٩: يونس)

والأمر ظاهر في إشعار أول الكلام بما عليه الفاصلة، وبخاصة إذا أضيف النظر إلى السياق الذي عليه الفواصل.

كما مثل الخطيب للإحصاء من الشعر بقول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا - لأبالك - يسأم
وقول عمرو بن معد يكرب.

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وقول البحترى:

أبكىكما دما ولو أنى على قدر الجوى أبكى بكيتكما دما
وقوله

أحلت دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حلته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام

ولا شك في أن صدور هذه الآيات ووال على ما ختم به عند من يعرف روى ما هي منه على الأقل .

أما ما يدل على أن الإرساد هو التوشيح عند أبي هلال ، فانطبق كلامه على ما معنا، فإنه عرف التوشيح بقوله : هو أن يكون مبدأ الكلام ينبيء عن مقطعه ، وأوله يخبر بآخره ، وصدوره يشهد بعجزه ، حتى لو سمعت شعراً وعرفت رويته ، ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه ، وخبر الشعر ما تسابق صدوره أعجازه . . . كأنه سبيكة مفرغة ، (١) . وقد مثل له بكثير من الأمثلة التي مثل بها العلماء للإرساد .

ومع سهولة الخطب - إن يكن خطب - فقد نسب ابن معصوم إلى الصفي الحلي تفريقه بن التوشيح والإرساد بثلاث فروق :
الأول : أن التوشيح يعرف به من أول الكلام آخره ، ولم مقطعه من حشوه ، من غير أن تتقدم سجمة النثر أو قافية الشعر ، والتوشيح لا يعلم السجمة منه أو القافية إلا بعد تقدم معرفتها :

الثاني : أن التوشيح لا يداك أوله إلا على القافية لحسب ، والتقسيم بذلك تارة على عجز البيت ، وطوراً على ما دون العجز بشرط الزيادة على القافية :

الثالث : أن التوشيح يدل تارة أوله على آخره ، وطوراً آخره على أوله ، بخلاف التوشيح (٢) :

وذلك غلو في تدقيق فروق الجنس الواحد خير منه الإطلاق ؛ إذ يرجع الجميع إلى غاية واحدة هي إثارة السابق من اللفظ ذكاء المخاطب لتقدير اللاحق قبل النطق به ، وإدخاله مع المتكلم شريكاً في إتمام الكلام عن طريق التداعى . وهو - كما ترى - نوع من رد الأعجاز على الصدور ،

(١) الصناعتين : ٣٩٧ .

(٢) أنوار الربيع : ٤ : ٣٣٦

روعى فيه ملحظ خاص ، هو إشعار السابق باللاحق ، ويمكن للمتامل أن
يأتى بكثير مما سبق هناك ليجمعه مثلاً هنا ، كقول القائل :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى سريع

وقول الآخر :

نمتع من شميم عرار نجد فما بعد المشية من عرار

وقول الشاعر :

فدع الوعيد فما وعيدك ضاوى أطنين أجنحة الذباب يصير ؟

إلى غير ذلك مما يصدق عليه التعريفان مع التفريق بالملحظ الخاص .

وقد مثل ابن معصوم للإرصاد بكثير ، منه قول ابن أبي ربيعة :

قدرت له حيناً لتقتله واسكل ما هو كأن قد
فالشهر مثل اليوم إن حضرت واليوم إن غابت به شهر
وإذا تجلت في الظلام جلت دجن الظلام كأنها البدر

وقول أبي تمام :

كم منزل في الأرض يالفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وقول البحتري :

ويالأنمى في عبرة قد سفحتها لبين وأخرى قبلها لتجنب
محاوّل منى شيمة غير شيمتى وتطلب منى ذهباً غير مذهبي

والإرصاد في الواقع من أزهى أنواع التكرير وأدلهما على الترابط
النفسى للداول التعبير ، وله تهش نفس السامع بالتحرك مع المتكلم وانتظار
صدق الحدس بما تقدر من اللفظ ، وقد جاء أكثره لقرير المعاني والأحكام
بالتنزيل أو التعليل أو الاستدراك أو غير هذا مما لا يخفى على الدارس .

١٢ الازدواج

قال ابن أبي الإصبع : ومن الازدواج نوع يؤتى فيه بكلمتين صورتهما واحدة ومفهومهما واحد ، كقول ابن الرومي :

أبدانهم وما لبس من الحرير معاً حرير

أردانهم وما مصن من العبر معاً عبر

وكقول بعض العرب (علقمة) :

ومطعم النصر يوم للنصر مطعمه أنى توجه والمحروم محروم

فقوله : ومطعم النصر مطعمه : والمحروم محروم لزدواج (١) .

والازدواج في كل من هذه الأمثلة واقع في جملة واحدة ، فاللفظ الثاني الذي تم به خير المبتدأ في كل مثال ، على التشبيه في بيتي ابن الرومي ، وعلى تقرير انصاف المبدأ بنجده في البيتين الآخرين ، فبعبودة على المعنى مع لطيف الجرس . ويقاس على ذلك مثل : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

وقد جمعه أبو هلال (٢) في (المجاورة) قال : دهي تردد لفظتين في البيت ووقوع كل منهما بحيث الأخرى أو قريباً منها من غير أن تكون أحدهما لذوا لا يحتاج إليها ، وقد مثل لها بأمثلة منها يد علقمة السابق ، وفرق بينه ابن أبي الإصبع وبين التجنيس المماثل باختلاف معنى اللفظين في الجنس وانفاقهما في الازدواج .

(١) تحرير التعبير : ٣ : ٤٥٢ .

(٢) الصناعات : ٤٣١ .

واختصر الخطيب المزاوجة بالترديد في الشرط والجزاء ، قال في ترميها ،

وهي أن يزوج بين معنيين في الشرط والجزاء . قال التفتازاني : ومعنى ذلك أن يحمل معنيان واقعان في الشرط والجزاء مزدوجين في أنه يترتب على كل منهما معنى هو الذي رتب على الآخر : كقوله :

إذا ما نهى الناهي فلج بني الهوى
أصاحت إلى الواشي فلج بها الهجر ،

« زواج بين نهي الناهي وإصاحتها إلى الواشي ، الواقعين في الشرط والجزاء ، في أن يرتب عليهما لجاج شيء » ، (١)

والمثال للخطيب من قول البحترى ، وقد زاد في الإيضاح مثالا آخر
للشاعر نفسه :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها
تذكرت القربي ففاضت دموعها (٢)

وهذا النوع على تلك الوتيرة أشد اتزاناً في التردد السمعي ، وتمكينا
للفرض المقصود بلح المفارقة ، لأن جملة الشرط مع جملة الجزاء مع ما ترتب
على كل منهما في مقام الطباق .

ومثل هذين البيتين قول الآخر :

إذا ما ذكرت الفقر فاحتلت للفقر
ذكرت هوان النفس فاحتلت للفقر

(١) مختصر المعاني ٣ : ٨٩

(٢) بنية الإيضاح : ٤ : ٢٦

وإن غرني دهرى فأصغيت للمنى
دعاني الردى : أبصر ! فأصغيت للقبير
وذلك عمرى انك إلا ثمالة ترقق كأمى . ما بها بمة الصدر
وقوله :

لعمركم في الأرض دارك لاهث^١
فقر يطن الأرض سجاه ما سجدى
ومها رجاسع فادرك سؤله رجاحتفه ساع فادرك مارجى

(١٣) السلب والإيجاب

ما يتكرر فيه اللفظ (السلب والإيجاب) وقد عرفه أبو هلال بقوله : د هو
أن يفتى الكلام على نفي الشئ من جهة وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به
من جهة والنهي من جهة أخرى ، وما أشبه ذلك (١) وهو مدلول طباق السلب
الذى عرفه الخطيب فقال : د هو الجمع بين فعلى مصدر واحد : مثبت ومنفى
أو أمر ونهى ، والأمثلة فى الموضعين إما واحدة وإما متشابهة . ومنها :

قوله تعالى : د ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة
الدنيا ، . (٦ : الروم) وهو بالنفى أولاً والإثبات ثانياً .

ومن الشعر قول السموأل :

(١) الصنائع : ٤٢١ .

(٢) بغية الإيضاح : ٤ ، ٧ .

وئنكر إن شئتأ على الناس قولهم
ولا يشكرون القول حين نقول

وقول البحرى :

يقبض لى من حيث لا أعلم النوى
ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم

ولابى الطيب :

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة
ولقد جهلت وما جهلت خمولا

كما قال الآخر :

خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا معاج يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا
ومنه قول امرئ القيس :

هضم الحما لا يملأ الكف خصرها
وتملأ منها كل حجل ودملج

وقول الحماسى يمدح :

لا يفتنون لعيب جارم وهم لحفظ جواره فطن
وتكرار اللفظ مع اتحاد الصيغة أو اختلافها ظاهر فى هذا اللون ،
والمعنى بأصل المادة واحد ، وإنما طرأ عليه الاختلاف من خارج هذا
الأصل بدخول أداة النفي أو النهى مع اختلاف الصيغة أحياناً

وليس السلب والإيجاب من أضرب البديع العائنة ، بل هو مما يتأكد به
المنعنى المقصود : مدحاً ، أو ذماً ، أو غيرهما ، ففي الآية الأولى يؤكد
مدلول الأمر بنحوية الله مدلول النهى عن خشية الناس ؛ لأن الخشية أمر
ثابت ، فإذا صرفها بالنهى عن الناس لزم أن تتجه إلى المقابل الذى أكدته
بجملة الأمر ، وفي هذا التأكيد تعريض بخطأ المخاطبين وتصحيح لما يجب
أن يكون . وفي الآية الثانية ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون
ظاهر من الحياة الدنيا ، فائدة الاحتباس من شك جاهل بالمراد ، وتحقيق
لمفهوم العلم المنفى منهم ، فالمثبت لهم كاستثناء المؤكد للفرض ، وهو أبلغ
عالمو قبل : ولكن أكثر الناس لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ،
لأن الدلالة بجملة مستقلة على العلم المنفى تنزيل له منزلة العدم لعدم الاعتداده ،
واستئناف للدلالة بجملة مستقلة على العلم المثبت بعدما يشبه السكينة بين
الجلتين ، فيه إغناء السائل أن يسأل ، وإشباع له بعد النطلع بالجواب ،
مع ما فى الطباق من إيهام اجتماع الضدين فى محل واحد ؛ وما فى التكرار
من قيمة صوتية .

وعلى هذا يقاس ابن رشيق فى (العمدة) يرى طباق السلب والإيجاب
لونا من ألوان التجنيس ، وإذا كان التجنيس يقتضى اختلاف المعنيين تحت
اللفظين ، فهما بعد تمام الطباق مختلفان ، وليس فى هذه منه أو فى خروجه
عنه كبير خطر .

١٤ - التطريز

التطريز فن بديعى فيه لطف وجمال جرس ؛ لما فيه من تمكير قد يتعدى ،
والذى نعنيه منه د أن يتبدى المتكلم من ذوات غير مفصلة ، ثم يخبر عنها
بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذى قرره فى تلك الجمل
الأول ، فتكون الذوات فى كل جملة متعددة تقديرأ . والجمل متعددة
لفظا ، وعدد الجمل التى وصفت بها الذوات (لا عدد الذوات) عدد تكرار
واتحاد لا تعداد تغاير ، هذا ما قرره الصفدى ونقله عنه ابن منصوم ،
وهو الذى قرره بلفظه ابن أبى الإصبع فى (تحرير التحير) ، وقد اختصره
صاحب (نفحات الأزهار فقال : د هو أن يتبدى المتكلم بذكر جمل
الذوات غير مفصلة ، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب
العدد الذى قرره فى تلك الجمل الأولى ، (١)

والتعريف دال بذاته على اعتماد (التطريز) اعتماداً أساسياً على التكرير
وفائدته بعد التدفق الصوتى لإدماج الصفات ، المؤكدة لشدة الربط بين
الموصوفات ، وتخيل اجتماعها فى صورة مركبة واحدة ، ويتخذ من هذا
الأسلوب وسيلة ناجحة لتوثيق الغرض : مدحا ، أو ذما ، أو غزلا .. مع
طرافة تروق الخاطر .

والتطريز أمثلة كثيرة ، منها قول ابن لئلك يصف :

أقول لصاحبى والراح روح لجسم الكأس فى كف التديم
وقد حبس الدجى عنا بـواك
تسيل نفوسها فوق الجسوم

(١) تحرير التحير : ٢ : ٣١٤ - وأنوار الربيع : ٥ : ٣٤٢ - ونفحات

ونحن من المسرة في سماء فن سارى الضياء ومن مقم
شمسك والكؤوس مع الندى نجوم في نجوم في نجوم

وقول ابن الرومي يسخر :

أمورك بني خاقان عندي عجاب في عجاب في عجاب
قرون في رهوس في وجوه صلاب في صلاب في صلاب

وقول المهلب يصف متغزلا :

تبدى في قيص اللاذ يسمى عذو لي يلقب بالحبيب
فقلت له : بم استحضت هذا ؟

لقد أقلت في زى عجيب ؟

فقال : الشمس أبدت لي قيصا

بديع اللون من شفق الغروب

فتوبى والمدام ولون خدى قريب من قريب من قريب

ولبعضهم .

أيا قرا تبسم عن أقاح وباغصنا يميل مع الرياح
جيينك والمقلد والثنايا صباح في صباح في صباح

وقد ألزمه الآخر فقال :

كتبت مثاها وجعلت أبكى وأشكو ما أجن إلى المثال

فزار خيالها والليل داج لي الله ذلك من خيال

فطرتها ، وخالها ، وبالى ليال في ليال في ليال

وموعدها ، وسلوانى ، وصبرى محال في محال في محال

وهجرى ، والقطيعة ، والتجنى دلال ، فى دلال ، فى دلال
وسفك دمي ، وتعذيبى ، وهتكى حلال ، فى حلال ، فى حلال
وتفنيدي ، وتعيني ، ونهى ضلال ، فى ضلال ، فى ضلال

ولا يخلو (التطريز) من تهويله ، وأناة فى جمع المتشابهات المتناظرة
فى الاتصاف بالوصف المكرر ، فهو مهما ظهر فيه الانطباع أثر الصنعة
والتلطف فى النظر ، ولهذا يبرو إذا اجتراً عليه من لا يحسن التأني . وكيف
يكون من جود السليقة المحض دون الانتخاب الصاحي قول عضد الدولة :

طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الكاس والغرر الملاح
وكان الثلج كالسكفور نثراً ونار عند فارنج وراح
فشروب ، ومشوم ، ونار وصبح ، والصبوح ، مع الصباح
لهيب فى لهيب فى لهيب وصبح ، فى صباح ، فى صباح

لأنها أبيات أربعة تجمع أضرباً مختلفة من البديع : كراية النظير ،
والجناس ، واللف والنشر المرتب ، والتشبيه ، والانسجام . . . مع هذا
(التطريز) وما ينبغى التنبيه عليه أن أبا هلال أدخل أمثلة (التطريز)
فى (المجاورة) التى سبق فى حديثنا عن (الازدواج) تعريفها عنده ، وما
مثل به قول الشاعر (١) :

كان الكاس فى يده وفيه عقيق فى عقيق فى عقيق

وأما (التطريز) عند العسكري فهو الموازنة ، قال فى تعريفه هو د أن
يقع فى أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن ، فيكون فيها
كالطراز فى الثوب ، وقد ساق تحته أمثلة ، من التوشيح (٢) .

(١) الصناعتين : ٤٣١ .

(٢) قصه : ٤٤٣ .

١٥- المشاركة

تقوم (المشاركة) أو (الاشتراك) على تكرير البيان والتفسير ، عرفها ابن معصوم بأنها ، عبارة عن أن يأتي الشاعر بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكاً أصلياً أو عرفياً ، فيسبق ذهن السامع إلى المعنى الذي لم يقصده الشاعر ، فيأتي بعده بما يبين قصده ، (١) .

وسبق ذهن السامع الذي أشار إليه التعريف هو أمر تقديري ، يفترضه المتكلم فيبنى عليه تفسيره دفعا للإيهام ، كما يحدث في الجمل المستأنفة الواقعة موقع الجواب من السؤال المقدر ، الذي قد تثيره في ذهن السامع جملة سابقة . ومن أمثلة المشاركة بهذا التعريف قول كثير .

فأنك التي حبت كل قصيرة إلى ولم تعلم بذاك القصائر
عنبت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطى شر النساء البحائر

فالقصيرة لفظ مشترك بين المقصورة في الحيام والحجال ، كما في قوله تعالى : ه حور مقصورات في الحيام ، (٧٢ : الرحمن) وبين قلبية الطول في القامة الذي هو بعد أو قياس ، والثاني هو الأسبق إلى ذهن السامع وكثرة الاستعمال ، وليس ما يعنيه الشاعر ؛ لهذا باهر بتعيين مراده من المشترك ؛ ليدفع الإيهام ويحمر القصد ، فالتكرير فيه ليس لتوفير الجرس دون هوة على المعنى ، بل مرده الإفادة الفكرية قبل القيمة السمعية .

ومثل ما سبق قول حارثة بن بدر في سعيد بن قيس :

أله يحزى سعيد الخير نافلة أهنى سعيد بن قيس قروم ممدان

(١) أنوار الريح : ٥ : ٣٢٠ .

ولا يلزم أن يذكر الشاعر ما يدل على التفسير مثل « عنت ، أو (أعنى) أو (أريد) كما فعل كثير وحارثة ، فإن إتباع المشترك بالمكرر على وجه البيان كاف في اندراجهم تحت التعريف . ومنه قول عمر بن الخطاب لسعد ابن أبي وقاص (رضى الله عنهما) : يا سعد سعد بنى أهيب ، إن الله إذا أحب عبداً حبيه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . وقول سرافقة بن مرداس يرثى سيد الأزد عبد الرحمن بن مخنف :

ثوى سيد الأزد بن : أزد شنوءة

وأزد عمان رهن دمس بكازر

وقول عدى بن زيد :

أين كسرى : كسرى الملوك أنوشروان ؟ أين قبله سابور ؟

وقول ابن مياده :

ولو أن قيساً : قيس عيلان أقسمت على الشمس لم تطلع عليك حجابها

وقول امرئ القيس .

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لحاك الله إنك مرجلي

١٦- المراجعة

بما يقوم على التكرير ما سماه البديعيون (المراجعة) أو (السؤال والجواب) وهو كما عرفوه « عبارة عن أن يحكى المتكلم ما جرى بينه وبين غيره من سؤال وجواب ، بعبارة رشيقة ، وسبك لطيف يستحلى ذوقه السامع ، إما في بيت واحد أو في أبيات ، (١) .

سماء غفر الدين الرازي (السؤال والجواب) وسماء ابن أبي الإصبع
(المراجعة) وقال : إنه من مخترعاته .

ومن المراجعة قول وضاح :

قلت : ألا لا تلجن دارنا	إن أبانا رجل غائر
قلت : فإن طالب غرة	منه وسيف صارم باتر
قلت : فإن القصر من دوننا	قلت : فإن فوقه طافر
قلت : فإن البحر من بيننا	قلت : فإن ساجح ماهر
قال : لحول إخوة سبعة	قلت : فإن غالب ظافر
قلت : فليت رابض بيننا	قلت : فإن أسد عافر

وقال أبو نواس يهجو ويهجو :

قال لي يوماً سليماً	ن وبعض القول أشنع
قال : صفني وعلياً	أينما أبق واقع ؟
قلت : إني إن أفل ما	فيك بالحق تجزع
قال : كلا . قلت : مهلاً	قال : قل لي : قلت : فاسمع
قال : صفه . قلت : يعطى	قال : صفني . قلت : تمنع

والمراجعة كثيرة في كلام الماجنين من الشعراء ، اقيامها على القص
والرواية ، ولذا فرى أكثرها عند ابن أبي ربيعة ، وأبي نواس وابن حجاج
وأشباههم ، وقد جاراهم البديعيون في ذلك لاستكمال الفنون في شعرهم ، قال
ابن الوردى في رد الفعل عند العاشرين :

نمت والبلبل أتى بحيلة	متدبه
فقال : ما قولك في حيلة	متدبه
فقلت : لا : قال : ولا	خمرة كرم مفعبه ؟
فقلت : لا . قال : ولا	ملحة مطيه ؟

فقلت : لا . قال : ولا أغيد بالبدر أشتبه ؟
فقلت : لا . قال : ولا آله هو مطربة ؟
فقلت : لا . قال : فتم ما أنت إلا خشبة !

وقد عارضه الصنى الحلى فقال فى ضد مذهبه :

وليلة طال سهادى بها فزارنى إبليس عند الرقاد
فقال لى : هل لك فى شمة كيسة تطرد عنك السهاد ؟
قلت : نعم . قال : وفى قهوة

عتقها العاصر من ههد عاد

قلت : نعم . قال : وفى مطرب

إذا شدا يرقص منه الجاد ؟

قلت : نعم . قال : وفى طفلة فى وجتها للحياء اتقاد ؟

قلت : نعم . قال : وفى شادن

قد كحلت أجفانه بالسواد ؟

قلت : نعم . قال : فتم آمنا يا كعبة للفسق وركن الفساد !

والمراجعة قد تجتمع مع المذهب الكلامى ؛ ومع أسلوب الحكيم أو
القول بالموجب وهو حمل كلام وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما
يحتمله بذكر متعلقه ، (١)

وتعريف ابن أبى الإصبع لأسلوب الحكيم يدل على التكرير ، حيث
قال : هو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام ، فيعمد المخاطب إلى كلمة من
كلام المتكلم فيبنى عليها من لفظها ما يوجب عكس معنى المتكلم ، (٢)

(١) أنوار الريح : ٢ : ١٩٩

(٢) تحرير التحرير : ٥٩٩ :

ومن ذلك قول الشاعر :

قلت : ثقلت إذ أنيت مرارا قال : ثقلت كاهلي بالأيدى
قلت : طوت قال : بل تطوت وأبرمت أقال : حبل وهادى

وقول ابن نباتة :

وملوة في الحب لما أن رأت أثر السقام بمظمى المنهاض
قلت : تغيرنا ! فقلت لها : نعم أنا بالسقام وأنت بالإعراض

ولأبي المحاسن الوشاء :

ولما أنا العاذلون - عذمتهم - وما فيهم إلا للحدى قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحباً وقالوا : به عين فقلت : وعارض

والشهاب عمود :

رأيتي وقد نال مني النحول وفاضت دموعي على الحد فيضا
فقلت : بعيني هذا السقام صدقت وبالخسر أيضا

فالمرجمة حاصلة بترديد القول ، وأسلوب الحكيم حاصل بحمل كلام المخاطب على غير ما أراد تنبيهها على أنه أولى بحمل الكلام عليه ، وأياما كان فإنه قائم على التكرير ، انفرد عن غيره أو اجتمع معه ، إلا أن اجتماعهما لما يندق به المعنى ويلطف ، فيكون أعلى طبقة من سرد الحكاية لأن فيه توليد المخالفة للفتائل من شبه الموافقة والتسليم .

١٧-التخيير

من الفنون التي عمادها التكرير ما سماه البديعون (التخيير) وهو أن يأتي الشاعر بيت يسوغ أن يقف بقواف متعددة . . . (١)

وقد اثن شعراء البديع فيه افتنافا عجيبا ، حتى ذكر الصفدي في شرح اللامية أن بعض الشعراء نظم ما يزيد على العشرين بيتا على أربع وعشرين قافية ، حيث تشدد الصدور على اختلاف القوافي مكررة أربعاً وعشرين مرة . كما جعل ابن الصيرفي هذين البيتين بقواف على جميع حروف المعجم وهما :

لما غدوت ملك الأرض أفضل من

جلت مفاخره عن كل أطراء

تنائرت أدوات النطق فيك على ما يصنع الناس من نظم وإنشاء

ومن تكرير القوافي مع اتحاد ما قبلها قول ديك الجن :

قولي لطيفك : ينثى عن مضجعي عند المنام

فمسي أنام فتنتظي نار تأجج في عظامي

جسد قلبه الأكف على الفراش من السقام

لما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام ؟

قولي لطيفك ينثى عن مضجعي عند الهجوع !

فمسي أنام فتنتظي نار تأجج في ضلوعي

جسد قلبه الأكف على الفراش من الدموع

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع ؟

وهكذا تنتقل القوافي الأربع إلى : (الرقاد - الفؤاد - من الفتاد
من معاد)

ثم إلى : (المهجود - في كبودي - من الوقود - من وجود) .

ثم إلى : (الوسن - في البدن - من الحزن - من ثمن)

قالوا : إن أول من نبه إلى ذلك اللون البدعي ؛ هوجني بشر سواد بن
قارب الصحابي (رضى الله عنه) بظهور أنبي (صلى الله عليه وسلم) وكان
رثياله ؛ إذ جاءه في نومه ليلة بعد ليلة ينشد هذه الصدور كل مرة من الليالي
الثلاث بقافية :

عجبت للجن وتطلباها	وشدها العيش بأفتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى	ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم	ليس قدامها كادبارها
عجبت للجن وتحساسها	وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى	ما طاهر الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم	وأرم بعينيك إلى رأسها

قال سواد يحكى هذه القصة لعمر (رضى الله عنه) وقد استحكاه :
فرحلت ناقتي وأتيت المدينة ، فإذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وأصحابه حوله فأنشأت أقول :

أناك نجى بين هدو ورقدة ولم أك فيما قد بلوت بكاف
ثلاث ليال قوله كل ليلة أفاك رسولك من لؤى بن غالب
فشمزت عن ذيلي الإزار ووسط

بي الذعلب الوجناء بين السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل خائب

فكن لي شفيما يوم لاذو شفاعة بمن فتيلا عن سواد بن قارب (١)

١٨ - التوأم

افتن البديعون افتناناً أشد في ذلك النوع القائم على التكرير من البديع والذي سموه (التوأم) و (التشريع) و (التوشيح) على خلاف بين الخطيب ومعه الأجداي ، وبين ابن الأثير والعلوي وغيرهم في التسمية .

وخلاصة ما يعرف به ، أنه بناء بيت أو أكثر على تعدد القافية ، بحيث يقرأ كاملاً فيكون سليماً على قواعد العروض والقافية ، فإذا نقص انتقل إلى القافية الأخرى مع سلامة القواعد ، والذي يعيننا منه ما قام على التكرير ، وهو نوع من البناء الفارسي للشعر يسمى (المربع) لبنائه على أربع كلمات يتألف منها باختلاف أوضاعها أربعة أبيات مقفاة بروى واحد ، لو وضعها في جدول ذي ستة عشر بيتاً كما في علم الأوقاف ، لقرئت من اليمين إلى اليسار على الترتيب كما تقرأ من الأعلى إلى الأدنى دون فرق ، ولنجمل مثالها هكذا :

٤	٣	٢	١	
ريب	غزال	سباه	فؤادي	١
رطيب	كفصن	بقد	سباه	٢
عجيب	جنه	كفصن	غزال	٣
حييب	عجيب	رطيب	ريب	٤

(١) ينظر الاستيعاب ٢ : ٦٧٤ - أسد الغابة ٢ : ٣٧٥ - بلوغ الأرب

٢٩٩ : مع أنوار الريح ١٥٣ .

إنه بناء يعوزه الصبر ، ولا يمكن أن يكون نتاج الوجدان ، ولكنه طريف الهندسة الشكلية والسمعية ، ولا يسهل المتكلم على أنواع التكرير بالمعنى العام تركه .

والآيات الأربعة المذكورة من شعر الوطواط ، وكان شعراء العصر مولعين بالإفراط في الصنعة ، وقد جمعت دواوينهم ، وكتب البلاغة التي عنت بديهم - كثيراً من صور المكلف لألوان الافتنان .

والموشحات التي استكثر من أنواعها شعراء الأندلس أمثلة للتكرير الملتزم أو شبه الملتزم في أعم ما وصل إلينا ، ويخرجنا عن القصد أن نسير معها إلى الغاية ، لحسبنا أن نوجه هذه الإشارة إليها من شاء الانساع .

١٩ - التفریع

بما عماده التكرير (التفریع) وحقه أن يرد إلى التردد ، فقد تضمنت أمثلة التردد كثيراً من أمثله وليس بين بعض الأنواع في التفریع وبينه فرق في التعريف .

فهو ثلاثة أنواع : نوع متعارف قال فيه الخطيب : د أن يثبت لمتعلق أمر حكم ، بعد إثباته لمتعلق له آخر ، على وجه يشعر بالتفریع والتعقيب (١) وذلك كقول الكبي :
أحلامكم إسقام الجهل شافية كما دعاؤكم تضي من الكلب

قال : د فرح من وصفهم بشفاء أحلامهم إسقام الجهل ، وصفهم بشفاء هماتهم من داء الكلب .

(١) بغية الإيضاح : ٥٧:٤ - مختصر المعاني للسعد : ٣ : ١٠٨ .

والنوع الثانى استنبطه ابن لبي الإصبع ، قال : د التفريع نوعان أحدهما أن يبدأ الشاعر بلفظة ، هى إما اسم وإما صفة ، ثم يكروها فى البيت مضافة إلى أسماء وصفات يتفرع من جملتها أنواع من المعانى ، فى المدح وغيره : كقول أبى الطيب المتنبى :

أنا ابن المقام ، أنا ابن السخاء	أنا ابن الضراب ، أنا ابن الطعان
أنا ابن الفياض أنا ابن القوافى	أنا ابن السروج ، أنا ابن الرعان
طويل النجاد ، طويل العماد	طويل القنطرة ، طويل السنان
حديد اللحاظ ، حديد الحمام	حديد الحسام ، حديد الجنان

وهذا النوع لم أسبق إلى استخراجيه ، وإنما لم أثبتته فيما ابتكرته من الأبواب لكونه نوعاً من التفريع ، فالذى يجب أن يسمى به تفريع الجمع ، لأن كل بيت ينطوى على فروع من المعانى شتى من المدح تفرعت عن أصل واحد ، (١) :

وقد سبق تعريف ابن أبى الإصبع للترديد بقوله : د أن يعاق المتكلم لفظه من الكلام بمعنى ، ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ، (٢) .

ومن الأمثلة التى مثل بها العلماء للترديد ما يشترك مع البيتين الثالث والرابع من أبيات أبى الطيب السابقة مثل قول الآخر :

ويأبى لك الذم طيب النجار وطيب الخلال ، وطيب الشيم

والذى نراه أن الترديد بتعريفه أعم د أن يعلق المتكلم لفظه من الكلام بمعنى ... ، والتفريع فى هذا النوع أخص د أن يبدأ الشاعر بلفظة إما اسم

(١) تحرير التمهيد : ٣ : ٣٧٣ .

(٢) نفسه : ٢ : ٢٥٣ .

ولإما صفة ، ثم يكررها ... ، فاللفظ المكرر في التردد يكون من أقسام الكلمة الثلاثة ، ولا يمكنه في التفريع مقيد بالاسم والصفة ، لذلك اجتماعا في مثال واحد بملاحظين .

النوع الثالث من التفريع ذكره الرنجاني في (معيار النظر) وقد سماه البديعيون (النقي والجحود) لأن فيه نقي أن تكون الصفة في غير المراد لإثباتها له أشد ظهوراً من وجودها فيه ، فحله التفضيل المسبوق بالنقي ، والمؤدى إلى المبالغة في إثبات الصفة المفضل عليه . قال ابن معصوم : وهو أن يأخذ المتكلم في وصف فيقول : ما كذا ، ويصفه بمعظم أوصافه اللاتفة به في الحسن والقبح ، ثم يجعله أصلاً يفرع منه معنى ، فيقول : بأفمل من كذا ، وهو المعنى المشهور للتفريع (١) .

والذى يختص منه بموضوعنا ما در فيه اللفظ في طرفي المفاضلة
كقول ابن سناء الملك :

إليك فابدر المقنع طالعا بأسحر من الحاظ بدرى المحمم

يقصد القمر السحري الذى صنعه المقنع الخراساني ليظهر في الليل ،
فيضال العامة ليصدقوه في ادعائه الربوبية .

وكقول الآخر :

وماشوق أهراية بان دارها وحت إلى وادى الحجاز ورنده

بأكثر من شوقى إليكم ولاتنى رمانى زمانى فى البعاد بجده

وقول ابن زيدون :

وماشوق مغلول الجوانح بالصدى إلى نطفة زرقاء أضمرها وقط

(١) أنور الريح : ٦ : ١١٢ .

بأبرح من شوقى إليكم ودون ما
أدير المني عنه اقتادة والخرط

ومن رقاء متمم بن نويرة أخاة :

فاوجد أظمار ثلاث روائم رأين مجرا من حوار ومصرعا
ولاشارف جشاه ريمت فرجعت حنيننا فأبكى شجوها البرك أجمها
بأوجد منى يوم فارقت مالكا ونادى به الموت الحبيب فأسمها

وعلى أى حال من هذه الأحوال نرى التفريع يؤدي وظيفة نفسية ،
فإن فيه إشباع الوجدان بنأ كيد ماسبق الكلام من أجله ، زهواً وغفرا كما
في أبيات المتنبي ، أو مدحاً ، أو حنيناً ، أو تحزناً كما في بقية الأمثلة ، مع
مافيه من قيمة صوتية يشتد ظهورها . في النوع الذى استنبطه ابن أبى الإصبع
وجاءت عليه أبيات أبى الطيب وأشباهها .

٢٠- التفريق

عرفه الخطيب ونقل غيره عنه بلافق فقال . « هو إيقاع تباين بين
أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره » ، (١) فإذا كان اللفظان الدالان
على الأمرين من حروف واحدة فقد وقع التكرير .

وقد مثل له الخطيب بقول رشيد الدين الوطواط :

مانوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء
فدوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

(١) بغية الإيضاح : ٤ : ٣٧ .

أنوار الريع : ٢٥٩ .

فأنت ترى أنه نفى المماثلة بين النوائين في البيت الأول مفرقا بينهما على الإجمال ثم علل في البيت الثاني بما يؤكد التفريق بينهما ، كما ترى أن النوال قد ردد أربع مرات ، والغمام مرتين ، والامير مرتين .

وقد يخفف التكرار في التفريق فلا يوجد ظاهراً بهذه الكثرة ، كما في قول بعضهم :

من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطى وتبكي وأنت تعطى وتضحك

نظماً القياس دليل التفريق المجل في البيت الأول، ويان وجه المفارقة تأكيد وتفصيل في الثاني ، وقد تكرر فيه الخطاب ، والسحب ، والعطاء .

ومثله في المعنى :

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد دافع العين

ومنه قول المؤمل المحاربي :

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثمرة حلو مذاقته وإذا يمر فلا يحلو له ثمر

وهذا الضرب من التفريق يكثر في المبالغة عند قلب التشبيه الظاهر أو المفهوم ضمناً ، كقول الشاعر :

أتبكي وتبكي غير أن الأسى دموعه غير دموع الدلال

٢١- الجمع مع التفريق

في الأمثلة السالفة وجدنا التفريق يطالعنا في النفي وما أشبهه من أول الأمر ، ثم يأتي بعده ما يزيد تقررأ بالتعليل المفصل .

ولكننا هنا أمام جمع الشيثين في حكم أو وصف ، ثم التفريق بينهما فانياً وقد عرفه الخطيب بقوله : « هو أن يدخل شيثان في معنى واحد ، ويفرق بين جهتي الإدخال (١) » .

ومن أصدق ما يقع عليه التصور فيه ما سبق أن مثلنا به لتكرار المفارقة:
والزنبور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحة وخفق
ولسكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزنبور فرق
ومنه قول مهيار وقد مثلوا به للتفريق السابق بيانه :

أتبكي وتبكي ؟ غير أن الأسى دموعه غير دموع الدلال

فالزنبور والبازي جمعهما الطيران وخفق الأجنحة ، وفرقهما اختلاف الصيد في الجنس والقيمة ، والشاعر ونخاطبه جمعها البسكاه ، ثم فرقهما ألباعث عليه .

والألفاظ المكررة بارزة لا يعوزها البيان .

وقد مثل له الخطيب بقوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » (١٢ : الإسراء) .

ومن أمثلته في (أنوار الربيع) (١) قوله تعالى : « الله يتوفى الأتقى حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، (٤٢ : الزمر)

وقول مروان بن أبي حفصه :

تشابه يوماء عليه فأشكلا فأنحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغر محجل

والتفريق بين أيام المدروح في جنس واحد وهو أعلى المسكارم ، جاء على تجاهل العارف ، بعد الجمع بين يوميه بالتشابه الذى هو أعلى من التشبيه فى اتحاد الصفات المشتركة ، وكل ذلك مؤكد للغرض المسوق له الكلام وهو المدح .

وقول البحتري :

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رأتى الدر حسناً ولا فقهه
فن لؤلؤ تجلوه هند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

لقد جمع بين الدرين المجازيين فى التعجب ، وفرق بينهما بما يحلى عنه وما يساقطه ، والاول أسنانها والثانى كلماتها ، وشرق الجميع الثغر .

ويقول التهامي :

قاوا : تأس بحفنها فى سفحه شتان بين سقامه وسقامى
سقم الجنون - وإن تزايد - صحة أبداً وسقمى قد أذاب عظامى

فالجمع بين أجنان المحبوب والشاعر فى الاتصاف بالسقم ، والتفريق

أولاً على وجه الإجمال بلفظ « شتان .. » ثم بالبيان والتعليل الظاهر
فى ثانى البيتين .

ومما استلطف منه قول أعرابى سمع صوت دواليب الماء :

بكرت نحن وما بها وجدى وأحن من وجدى إلى نجد
فدموعها تحيا الرياض بها ودموع عيني قرحت خدى
وبساكني نجد كلفت وما يغنى لهم كفى ولا وجدى
لو قيس وجد العاشقين إلى وجدى ل زاد عليه ما عندى

ومن أمثله - وما أكثرها - قول أبى تمام :

غيثان : فالأنواء غيث ظاهر لك وجهه والصحو غيث مضمحل

٢٢- التقسيم

للتقسيم عند البديعين أضرب منها ما يكثر فيه التكرير ، وهو الذى عبر
عنه الخطيب بقوله : « استيفاء أقسام الشيء بالذكر (١) » ، والذى عناه
ابن معصوم بقوله : « أن يذكر قسمة ذات جزئين أو أكثر ثم يضيف
إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به (٢) » ، ويتضمن ذلك التعريف الثانى مع
التقسيم والتفريق .

ومن أمثلة هذا النوع عند الخطيب ، تقسيم ميراث الكتاب فى هذه
الآية بين المصطفين من العباد :

(١) بغية الإيضاح ٤ : ٤٢

(٢) أنوار الربيع ٥ : ٢٩٣

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا : فمن ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات يا اذن الله ، (٣٢ : فاطر)

وقوله تعالى في تقسيم المقدور من النسل :

« يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيلاً إنه عليم قدير ، (٥٠ : الشورى)

وقول زهير يقسم العلم على ظروف الزمان :

وأعلم علم اليوم ، والأمر قبله ولكننى عن علم مافى غد عسى

وقول طريح في تقسيم العلم على أحوال أهدائه :

إن يملوا الخير يخفوه ، وإن علوا

شراً أذاعوا ، وإن لم يملوا كذبوا

وقول نصيب يقسم القوم فرقا في الجواب بما لا جواب غيره :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم : نعم : وفريق قال : لا أدري

وبما ذكره ابن الأثير (١) في حجة التقسيم قوله تعالى :

« وكنتم أزواجا ثلاثة : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب

المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون أولئك المقربون ،

(٧ : الواقعة) .

والأمثلة جميعاً ملحوظة لناظرها التكرير اللفظي ، والآية الأخيرة فيها

— مع التكرير للأصحاب على وجه التقسيم — تكرير اتضخيم والتهويل في

« ما أصحاب الميمنة ، و « ما أصحاب المشأمة » ، ثم تكرير التأكيد لصفة التكريم

(١) الجامع الكبير : ٧٢٠

في السابقون السابقون ، ومنه قول بعض الإعراب . د النعم ثلاث: نعمة في حال كونها نعمة ، ونعمة ترجى مستقبلة ، ونعمة تأتي غير محتسبة ، فابق الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترتجيه ، وتفضل عليك بما لم تحتسبه ،

هذه إمامة سريعة بما اعتمد على التكرير بمعناه العام من أضرب البديع ، بما يشهد لتلك الظاهرة الأسلوبية في حياتنا الأدبية والنفسية بالأصالة ، وقد رأينا الوشائج القوية بين التكرير على أى وجه أتى وبين المثير النفسى ، كما رأينا ارتباط التكرير بالإثارة المستمع في شتى الأغراض ، لأنه انكاس على اللفظ المحرك لأوتار النفوس حزنا وبهجة ، من نفس يصور انفعالها بالوجود هذا الاتكاس الشاخص ، فوق ماله مطلقا من قيمة سمعية تشبه تردد الألحان من أوتار المعازف ، والآن ننتقل إلى بعض الدراسات المعاصرة لظاهرة التكرير .

(١) في البلاغة الغنية

كتاب (البلاغة الغنية) أحد المؤلفات الحديثة في المادة ، وهو لأستاذى الصديق على الجندى (رحمه الله) وقد أودع كتابه هذا فصلا ضافيا في (التكرار) هو الثامن والآخر منه ، في سبع وثلاثين صفحة (١) ودراسته - ككل ما تناول قلبه - ثمرة اطلاع واسع ، وإحاطة شاملة ، وحسن تخطيط ، ونضج شاعرية ، وإصابة نقد .

جمع الأغراض التي استحسن فيها الأسلاف ظاهرة التكرير ، ومثل

لجامع أمثلتهم بما يطابقها ، وأن طائفة مما عيب من التكرار على فوية من رجال النقد والبلاغة ، وتحدث عن طائفة من أمثلة التكرار في القرآن الكريم ، مقرأ ماقاله العلماء في أسبابه ، خاتماً بحثه برأى بعض نقاد الغرب وبكلمة مقارنة بين أسلوب الجاحظ وطه حسين ، ثم بكلمة في الترادف ، واختلافه باختلاف الأمزجة ، وهو أوفى سخاء على ذهن الدارس للموضوع دراسة عامة ، من كل دراسة للتكرار قدسبقتها لإلمامه بأكثر مما يحتاج إليه راغب المعرفة في هذا الصدد ، مع سعة التطبيق التي كانت شأن المؤلف الصديق والأستاذ أكرم الله مشواه .

(٢) في قضايا الشعر المعاصر

(قضايا الشعر المعاصر) كتاب للشاعرة النافذة فاذك الملائكة ، يختص فصلاه الثاني والثالث بموضوع أساليب التكرار في الشعر ، الحديث . وهو - على ما أرى - خير ما كتب في تطوير بحث هذه الظاهرة ، بما يواكب العصر ، وحركات التجديد في شعره ، وخير ما يمدى إلى هذا الموضوع من كتب البلاغة الحديثة والنقد المعاصر لأنه لمسات قابضة بالحياة الوجدانية لاوتار تعزف شجوة تلك الحياة ، تريد بهذه التمسات سلامة الإيقاع من النشاز وبعت النشوة بالنغم .

فالتكرار قانون من قوانين الفنون التي منها الشعر ، وله منه مكانه إذا أصاب موقعه .

وقد أدرك النقاد ذلك من القدم ، فاستحسنوا منه ما جاء صاحباً لاقفعال النفس وحق جانباً من حلاوة الجرس ، فكان له من لوني الموسيقى الخارجية والداخلية نصيبه المرموق . كما أسقطوا بالنقد الجريء كثرها من

تكرار أفذاذ الشعر ، الذين جانب تكرارهم هذا النمط ولو كان أحدهم المتنبي العملاق ، وأبو تمام الشاهق .

وظاهرة التكرار لم تكن قليلة الشيوع في هذا العصر - كما ترى الناقدة أنها شاعت لدى المعاصرين على صورة أوسع ، حتى أصبحت محاولة فنية ووسيلة تعبيرية يميل إليها شعراؤنا عن قصد ، وحتى عدت في فترة من هذا القرن لونا من ألوان التجديد - فإن الشعر القديم على اتساع ديوانه ، متحف كبير تلمع في جوانبه ألوان هذا الأسلوب أنى اتجهنا ، ومن شعراء تلك العصور من لودعونه شاعر التكرار لصدقنا : كأبي العتاهية والمتنبي ، وذلك حكم يستساغ مادام الشعر لغة العاطفة ولسان الانفعال ، وما دام التكرار ظاهرة تلزم التعبير المتكى على أفراح النفس وأحزانها تقريرا للانطباع بالثير الباعث على الشدو ، ولهذا قرنه الأسلاف من النقاد بفنون الشعر القائمة على هذه الانفعالات ، وطبقوا النظر على المسموع منه فأحسنوا التطبيق .

والبلاغيون القدماء - والبلاغة يملئ مسائلها المذهب - قد أخذت للتكرير معايير ، وميزات أجناسه ، وفصلت مواعقه ، وأعطت كل نوع منه ما يفرقه عن غيره من سمات على الوجه الذى أسلفنا صورته المصغرة في الكلام على البديع . وهم جميعاً - دون استثناء - يسقطون عن عرش الجمال الفنى كل تكرير لا يستره الطبع ولا يجرى فيه نفس العاطفة ، وذلك نفسه ما تدعو إليه الناقدة . إلا أنا مع رأيها في استحداث عصرنا لهذا اللون الجديد من شعر الحمس ، الذى صحبه في حركة التجديد ظواهر أسلوبية كثيرة منها الاعتماد على التكرار ، ولا نشك أن هذا الشعر لو سبق به الدهر على ما نراه الآن - لأخذت أفكار الأسلاف وأفلامهم في رصده وإبداء النقد عليه ، مأخذها من ظهور مبدسة بشار وأبى تمام ومسلم وغيرهم .

وإذا كنا بذلك نعرف حق القدامى ، فإننا لا يمكن أن ننسى أن صاحبة البحث قد سبقت نقاء العصر في أداء شطر من واجب ، ليس بالقليل ما بذلت فيه من جهد ، إذ أضفت على بحثها من شفافية النظر وحدته مما ما يعد به تجديداً في القاعدة تجديداً في التطبيق ، منبعثة إلى هذه التجربة لبناء بصدق عاطفي يسنده ذوق فني يدير النصوص على محوره الدقيق المرهف في أفاء تكشف سر الحسن أو سوءه ، حتى لا أعرف حكما صدر عن هذا الذوق على مثال في البحث أستطيع أن أرفضه ، سواء كان للشاعر أو عليه ، فالبحث من حقه أن يدخل البلاغة الحديثة عنصراً زاهياً من عناصر الإشراق وبعث الحياة .

العناصر اللامعة في

الفصل الثاني

أقامت الناقدة بحثها على نقاط أولها وضع القاعدة الأولية للتكرار وهي : أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام ، وإلا كان لفظية متكلفة لاسيلاً إلى قبولها ، كما أنه لابد أن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية ، (١) .

وقد ذكرت أولاً للتكرار تحفة هذه القاعدة العامة .

١ - أبسطها تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة ، وهذا النوع لا ترتفع نماذجه إلى مرتبة الأصالة والجمال إلا على يدى شاعر موهوب ، يدرك أن الممول في مثله لاعلى التكرار

نفسه ، وإنما على ما بعد الكلمة المكررة ، بحيث يكون المكرر منتهين
الارتباط بالسياق .

٢ - يلى تكرار الكلمة تكرار العبارة ، وهو أقل في الشعر المعاصر
من تكرار الكلمة ، وقد لاحظت كثرة نماذجه في الشعر الجاهلي ، وشدة
استدعاء ظروف الشاعر النفسية لهذا التكرار .

ومن هذا اللون تكرار البيت الكامل في ختام المقطوعة ، وهو لا ينجح
في القصيدة التي تقدم فكرة عامة لا يمكن تقطيعها ، لأن البيت المكرر
كالنقطة في ختام عبارة تم معناها ، يوقف التسلسل وقفة قصيرة ، ويهيئ
لمقطع جديد .

كما أن منه تكرار كلمة أو عبارة معينة في ختام مقطوعات القصيدة جميعاً ،
وشروط هذا النوع من التكرار أن يوحد القصيدة في اتجاه يقصده الشاعر
وإلا كان زيادة لاغرض لها .

٣ - تكرار المقطع كاملاً ، وهو كتكرار البيت يقف المعنى ، ويهيئ
لبدء معنى جديد ، وهو يحتاج - أطوله - إلى وعى كبير من الشاعر ، ويرفع
قيمه السيكولوجية لإدخال تغيير طفيف على المقطع المكرر ، ليس برعشة
من سرور المحادثة نفس السامع . والخطوة الثانية في هذا التكرير المقطعي
أن يقيم الشاعر هيكل المعنى في القصيدة على الارتباط بهذا التغيير ، الذي
يتجدد في المقاطع المكررة تنويعاً للأصل ، حتى يتعلق التكرار بالبناء العام
للقصيدة فيستحيل حذفه .

٤ - تكرار الحرف ، وهو نوع دقيق ، وجماله في شدة ارتباط الحرف
بجمال الصورة ، بحيث لو حذف لفقدت الصورة الفرعية كثير أ.ن جمالها (١) .

الفصل الثالث

١ - التكرار بالصفة الواسعة التي نملكها اليوم في شعرنا موضوع لم تناولوه كتب البلاغة القديمة ، فقد تبع التطور الملحوظ في أساليب التعبير الناشئة بعد الحرب العالمية الثانية ، فبرز بروزاً يلفت النظر ، حتى انكأ إليه الشعر المعاصر انكأ متطرقاً بعدد عن الاتزان أحياناً ، وهذا يدعونا إلى بحثه على ضوء شعرنا المعاصر بحثاً يكمل به مكانه في البلاغة ، دون إغفال للقواعد القديمة وجوهر اللغة الصافي .

٢ - الهندسة العاطفية :

أبسط قاعدة بالاستقراء نصوغ فيها التكرار هي أنه : إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ، وذلك كامن في كل تكرار يخطر على البال ، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس النص ، ويحلل نفسية كاتبه ، لأنه يضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على الشاعر ، أو هو هندسة عاطفية للعبارة ، يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما ، .

٢ - الهندسة اللفظية :

القاعدة الثانية أنه يخضع للقوانين الخفية إلى تحكم في العبارة ، وأحدها قانون التوازن ، الذي ينبغي محافظة الشاعر عليه ، لأن العبارة الموزونة كيافاً ومركز ثقل وأطرافاً ، وهي تخضع لنوع من الهندسة اللفظية الدقيقة التي لا بد للشاعر أن يعيها ، وهو يدخل التكرار على بعض مناطقها ، فتقرر أن التكرار يجب أن يحمى من العبارة في موضع لا يشغلها ولا يميل بوزنها إلى جهة ما ، .

هذان القانونان قائمان على الأساس العاطفي والهندسي للعبارة هما
المرطان الرئيسان في كل تكرار مقبول .

٣ - دلالات التكرار التي يغني بها المعنى ويمنح امتدادات من الظلال
والألوان والإيجاءات تظهر في ثلاثة أصناف من التكرار ، هي كما اقترحت
الناقدة أسماءها :

(١) التكرار البياني (٢) تكرار التقسيم

(٣) التكرار اللاشعوري .

(١) البياني: أبسطها ، وهو الأصل في كل تكرار تقريباً ؛ وإليه قصد
القدماء بمطلق لفظ التكرار ، والغرض العام منه هو التأكيد على الكلمة
المكررة أو العبارة ، وأساسه جهورية تماثي الحياة العربية القديمة ، التي كان
الشاعر فيها يعتمد على الإلقاء أكثر مما يعتمد على الحروف المكتوبة ليقرع
الأسماع بالكلمة المثيرة ، ويؤدي الغرض الشعري .

ومن ثم فلا بد لنا من ملاحظة الفرق بين هذه الجهورية ، وتلك الرهافة
والهمس ، في تكراراتنا الحديثة ، التي يؤدي بها الشاعر معاني أكثر اتصالاً
بمخيلات النفس والحواس .

التردد : ومن معاني البياني التردد ، وكأنما نمنى به الباحثة تكرار لفظ
يسبق من تكراره إلى ذهن السامع أو القارئ . توقف المتكلم ، أو تلكؤه
عن الاسترسال في تمام كلامه ، فسكاً ما نطق به المرة الثانية ليستجمع ويتغلب
على تردده بعد نطقه الأول .

وشرط هذا الصنف أن تحتوي الكلمة التي يتردد عندها الشاعر ، على
ما يبرر تخرجه من التلفظ بها .

٢ - تكرار التقسيم : وهو تكرار كلمة ، أو عبارة ، فى ختام كل مقطوعة من القصيدة .

ومن هذا الصنف نوع يرد فيه التكرار فى أول كل مقطوعة وهو ،
يؤدى وظيفة افتتاح المقطوعة ، ويدق الجرس مؤذناً بتفريغ جديد للمعنى
الأساسى . الذى تقوم عليه القصيدة ، ، وأكثر نجاحه فى القصائد التى يمكن
تقسيم فكرتها الأساسية إلى وحدات داخل الإطار الكبير ، لا القصائد
التي تقدم فكرة موحدة متسلسلة ، تباعقة ثم تنحل وتلاشى . لأن طبيعة
هذا التكرار تتعارض مع الوحدة العامة للقصيدة .

ومن الوسائل التى تساعد على تكرار التقسيم ، وتنقذه من الرتابة ،
أن يدخل الشاعر تغييراً طفيفاً على العبارة المكررة فى كل مرة يستعمل
فيها ، وبذلك يعطى القارئ هزة ومفاجأة ، مع قوة التعبير وجماله ،
وارتباط المكرر بما حوله لتغلب على الرتابة التى يضيفها التكرار إذا
فقد قوته .

ومن مزايا هذا التكرار انتقاء العبارة المكررة على أساس غنائى ،
فليس ذلك دأماً مستحجباً خاصة فى تكرار التقسيم ، الذى يميل بطبعه
إلى الغنائية .

٣ - التكرار اللاشعورى : لم يرد فى الشعر القديم الذى وقف نفسه
- فيما يلوح - على تبهر المحسوس والخارجى من المشاعر الإنسانية .

ولعل مراد الناقدة : أنه تكرار لفظ أو لعبارة طفرت من العقل
الباطن مع ذهول الوعى ، ولها فى حياة الشاعر الوجدانية ماضى
عميق .

وشرط هذا الصنف من التكرار أن يجرى فى سياق شعورى كثيف

يبلغ أحيانا درجة المأساة ، ومن ثم فإن العبارة المكررة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية ، تنفى الشاعر عن الإفصاح المباشر ، وتصل القارئ بمدى كشافاة الذروة العاطفية عنده . ويغلب أن تكون العبارة المكررة مقتطعة من كلام ممعه الشاعر ، ووجد فيه تعليقا مريراً على حالة حاضرة تؤلمه ، أو إشارة إلى حادث مشير يصحى حزناً قديماً ، أو ذمماً نائماً ، أو سخيرية موجهة ، ويصحب هذا التكرار البتر أحيانا للألفاظ المكررة ، تعبيراً عن كشافاة الدفقة الوجدانية وتثقل وقعها على اللفظ .

وقد يكون التكرار اللاشعوري من أصعب أنواع التكرار ، إذ يقتضى من الشاعر أن ينشئ له سياقاً نفسياً غنياً بالمشاعر الكشيفية ، فإن الترجيع الدرامى لا ينجى إلا عبر عقدة مركزة ، تجمل من الممكن أن تفقد عبارة معناها فتروح تتكرر فى حرية ، وقد تنبتر وتشكل بمزول عن إرادة الذهن الذى يعانها .

وقد ختمت الناقدة بحثها الذى أحسنت فيه التطبيق على اختياراتها من شعر العصر ، بالتحذير من أن يتخذ أسلوب التكرار عكازة لماء فقرات الوزن ، أو ألبه فقرات جديدة ، أو اختتام قصيدة متحررة تألى الوقوف ، وأملت فى النقد المتزن الوقوف أمام مثل ذلك فى صراحة وحرز يكفيان لردعه .

لقد رأيت لغفاسة هذا البحث حقاً يوجب العناية بالتنويه به ، ورأيت ألا يحرم قارئى من المأساة صريعة بأهم محتواه ، ولا غنى بهذا الموجز الخاطف عن الرجوع إلى الأصل ؛ الذى غنى غنى ذاخراً بسلامة الذوق فى العرض وكال الخبرة فى التطبيق ، والتطبيق هو روح القانون ، فى النص الذى يحيا فيه حياته الأولى المباشرة ، وهو أمر لا يستطيع هنا إلا بنقل الفصاين جميعاً من كتاب نازك الملائكة : قضايا الشعر قلعاصر ، وإن كنست من قبل ومن

بعد أترف بأن الشاعر تآبى قدراته وتدفق وجدانه الخضوع عند الإفناء بما يحمل قلبه من خواطر مثرية - لقوانين وقواب يضعا له النقد، وأن الشعر الشعر الذى هو فيض العاطفة فى كل واقعه، يتخذ شكله وخصائصه نظمها ومنها (التكرار) من قوة خفية ليست هى قواعد النقد ولا حدود البلاغة، وإنما ينتفع بهذين الصانع المتمهر، ومن يملك هند الإبداع الأكثر من الوعى والأقل من الوجدان .

وإذا كانت نازك الملائكة قد بحثت التكرار بروح أدبية نقدية، فإن لدينا دراسات معاصرة للتكرار على أسس علمية، لها كثير من الدقة الإحصائية وتنوع الأنماط، ولكنها إن صدقت على الجانب الوصفى للشعر الذى طبقت عليه، تبعد فى نظرنا عن القيمة الاستنتاجية التى يراها الباحث، وهى: أن الشاعر يعتمد عمداً إرادياً إلى انتخاب حروف تتكرر بعضها فى كل بيت على حدة يحدث تكرارها أصواتاً وإيقاعات موسيقية معينة، ويعتمد مثل ذلك إلى تكرار كلمات بعضها بتخويرها تخيراً موسيقياً خاصاً لتؤدى بجانب دورها فى بناء الصورة الشعرية إلى توفير إيقاع موسيقى خاص بكل بيت على حدة، كما يعتمد إلى توفير الحركات التى تتوالى متفقة أو مختلفة مع حركة الروى والغافية (١)، ونحن إذا سلطنا للباحث عن طريق التطبيق قوله فى شعر زهير: إنه كان مفتونا بالتكرار فنته عظيمة، وهو تكرار كان يعقد فيه تعقيداً صوتياً كان يقصد إليه قصداً، بحيث نستطيع القول على أساس من استقرار دقيق لقصائد ديوانه المختلفة أن تكرار الكلمات والحروف والحركات هو المفتاح إلى موسيقى أشعاره - إذا سلطنا ذلك لا نسلم طرد الحكم زهير والأعنى وأوس وطفيل على الشعر والشعراء عامة، وقد يكون من عوامل التسليم أن قصائدهم حوليات، كما يكون من

(١) كتاب: قضايا الشعر فى النقد العربى للدكتور إبراهيم عبد الرحمن.

هو امل عدم التسليم للتعميم ، أننا نجد هذه الأنماط التكرارية ذاتها في شعر البديهة ، الذي لا تصور أن الشاعر يملك عند إنشاده وقتاً لا يتخل المعجم وانتخاب الألفاظ والحروف والحركات انتخاباً ذا عمد ، ولدينا من الأمثلة المسعفة ما أنشده الفرزدق وقد رفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله ، فدى إليه بعض بني عيسى سيفاً كهاماً فنبأ حين ضرب به ، فضحك سليمان ، فقال الفرزدق ارتجالاً في مقامه ذلك يعتذر لنفسه ، ويمير بني عيسى بنو سيف ورقاه بن زهير عن رأس خالد بن جعفر .

فإن يك سيف خان أو قدر أبي	لتأخير نفس حينها غير شاهد
فسيوف بني عيسى وقد ضربوا به	نبأ بيدى ورقاه عن رأس خاله
كذلك سيوف الهند أنبؤ ظلماتها	ويقطعن أحياناً مناط القلائد
ولو شئت قط السيف ما بين أنفه	إلى عاق دون الشرا سيف جاسد

ثم جلس وهو يقول :

ولا نقل الأسرى ولكن فكهم إذا أنقل الأعتاق حمل المخارم (١) ،

ويمكن أن نستنتج من هذه الآيات الأربعة القليلة ، عدد المرات التي تكررت فيها الحروف على هذا الوجه البياني :

الحرف	مرات التكرار	الحرف	مرات التكرار
النون والتثوين	١٩	الراء	٧
الياء المحققة	١٢	الهاء	٦
الهمزة	١١	العين	٤
الباء	١٠	الطاء	٣
السين	٩	الخاء	٣
الذال	٩	الشين	٣
القاف	٧	...	
اللام	٧		

وعلى التفصيل لتمثيل المجرد ، نرى في كل بيت منفرد تكرار هذه الأحرف :

الأول :

الهمزة في : إن - أو - أبي - تأخير :

الياء في : يك - سيف - حينها - غير ،

الفاء في : فإن - سيف - نفس :

السين في : سيف - نفس .

الخاء في : خان - تأخير .

وزى فى الثانى :

الباء فى : بنى عبس - ضربوا به - نبا يبدى .

السين فى : سيف - عبس - رأس .

الراء فى : ضربوا - ورقاء - رأس .

الفاء فى : فسيف .

الياء فى : سيف بدى .

الواو فى : وقد - ورقاء .

العين فى : عبس - عن .

وفى البيت الثالث :

النون والتنوين فى : الهند - قابون - يقطعن - أحيانا - مناط :

اللام فى : الهند - القلائد .

الكاف فى : كذاك .

الهاء فى : الهند - ظبايتها .

الدال فى : الهند - القلائد .

وفى الرابع :

الفاء فى : السيف - ألقه - الشراسيف .

الهمزة فى : شئت - أذنه - إلى .

السين فى : السيف - الشراسيف .

العين فى : شئت - الشراسيف .

القاف فى : قط - علقى .

اللام في : لو - علق .

كما نرى ذلك التكرار الحرفي في الآيات الأربعة موصول الكلمات أحيانا ومفصولها أخرى ، يستوى في ذلك ما كان المكرر فيه صوتيا محضا إذ هو من بنية اللفظ ، أو صرفيا لأنه (مورفيم) يسبق اللفظ أو يلحقه كالحروف والضمائر وأشباهاها .

وبما توالت كلماته في البيت الأول : الياء في : (بك سيف) والنون في (نفس حينها) والياء في (حينها غير) .

وفي الثاني : الباء في : (بنى عبس) و (بنا يبدى) .

وفي الثالث : الكاف في : (كذاك) والباء (في تنبؤاتها) والنون في : (أحيانا مناط) واللام في (القلائد) .

وفي الرابع : الواو في : (ولو) والنون في : (بين ألقه) وهي مع التنوين في : (علق دون) .

أما تكرار الألفاظ ، فالسيف وهو المثير ، قد تكرر ثلاث مرات ، بين التنكير والتعريف ، والإفراد والجمع ، ومادة الحدث المنسوب إليه ، كررت ماضية الزمن في (بنا) وحاضرتة في (تلبو) لتأكيد وقوع الحدث في كل الأزمان في إطار التبريد الذي قامت عليه الآيات . وقد نرى من التجانس الاستدعائي - كما في كل النسق - الجمع بين (أبى) (نَبَا) في البيت الأول والثاني .

وأما تكرار الحركة ، فحسبنا منه أن نقول : إن الفتحة طويلة وقصيرة قد تكررت في البيت الأول ست عشرة مرة ، يتخللها الضم خمس مرات ، والكسر أربع مرات ، وبالسكون فيها عدا ذلك خضوعاً للتنوع القسري

الذى يمليه الوزن العروضى من جهة والموسيقا العاطفية التى وفرها الخيال
الثائر من فاحية ثانية .

بل إن بيتا واحداً استدركه عمر السعدى مرتجلاً على البديهة ، يستثنى
فيه النبى صلى الله عليه وسلم من تعميم التفضيل ، فى مدحته موسى الهادى -
ليحمل من التكرار الحرفى واللفظى ما لا يمكن أن يقال : إنه أثر الانتخاب
العامد للكلمات ذوات القيمة التكرارية .

نما أفتد الشاعر فى مدحه الهادى :

يا خير من عقلت كفاء حجزته

وخير من قلده أمرها مضمر

فقال موسى : إلا من^١ يا بئس ؟ فوصل الشاعر كلامه على الفور بقوله :

إلا النبى رسول الله ؛ إن له نفرا وأنت بهذا الفخر تفتخر^(١)

ثم انظر إلى مثل هذا التكرير فى قول أبى نواس ، وقد ارتجله فور
استثارة الخصب إياه بقوله وهما فى المسجد الجامع : أنت غير مدافع
فى الشعر ، ولكنك لا تخطب . قال :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى ألا تغدوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية أكل لجيات البلاد شروب

فإن يك باقى سحر فرعون فيكم

فإن عصا موسى بكف خصيب

سترى الميم فى : (منحتكم - مصر - من - رماكم أمير المؤمنين -

فيكم) .

والنون في : (منحتكم - نصيحتي - من - ناصح - بنصيب -
 المؤمنين - بحية - أكل - فإن - فرعون - فإن) .
 والراء في : (مصر - رماكم أمير - سحر فرعون) .
 والصاد في : (مصر نصيحتي - ناصح - بنصيب - عصا - خصيب)
 والباء في : (بنصيب - بحية - البلاد - شروب - باقى - بكف خصيب)
 والحاء في : (منحتكم - نصيحتي - ناصح - بحية - لحيات - سحر)
 والفاء في : (غفوا - فإن - فرعون - فيكم - فإن)
 واللام في : (أهل - ألا - المؤمنين - أكل لحيات البلاد)
 والكاف في : (منحتكم - رماكم - أكل - بك - فيكم - بكف)
 وهكذا نرى أن كثيراً منها على تناسع الألفاظ بلا فاصل . كما نرى
 تكرار المادة في (النصيحة) و (الناصح) و في (حية) و (حيات)
 ثم التجنيس الاستدعائي بين (نصيب) و (خصيب) .

بحث التكرار في الشعر

ومن الدراسة العلمية للتكرار في الشعر على منهج علم الأسلوبيات القوي ،
 بحث دقيق للدكتورة فاطمة محبوب ، نشرته مجلة الشعر (١) يبدأ بمقدمة تبين
 أنماط التكرير في الشعر عند البلاغيين من الإغريق ، الذين نوعوه أنواعاً
 ثمانية بحسب الموقع من الكلام ، يتميز كل منها باسم على الوجه التالي :

- ١ - أنافره : وهو تكرار اللفظ أو العبارة في أوائل الأبيات المتعاقبة .
- ٢ - أبيستروفي : وهو التكرار في أواخر الأبيات المتعاقبة .
- ٣ - سيمبلوس : وهو التكرار في أوائل الأبيات المتعاقبة وأواخرها

(١) مجلة الشعر - العدد الثامن سنة ١٩٧٧ ص - ٤٠ .

٤ - أناديلوسيس : وهو تكرار اللفظ أو العبارة الواقعة آخر البيت في أول البيت أو الآيات التي تليه .

٥ - أبزو كسن : وهو تكرار اللفظ أو العبارة تكراراً متعاقباً بلا فاصل .

٦ أنيس تروفي : وهو تكرار الجملة مع قلب تعاقبها .

٧ - بالتوتان : وهو تكرار اللفظ نفسه مع لواحقه المختلفة أو بحالات إعرابه المختلفة .

٨ - هومو أنالوفان : وهو تكرار الوحدة الصرفية نفسها (السوابق ، واللاحق ، والدواخل) مع اختلاف اللفظ .

وقد بينت الباحثة أن معظم هذه الأنواع توجد في شعرنا العربي ، وأنت لها بأثلة متعددة منه ، ثم انتقلت إلى الموضوع ذاكرة أن علماء (الأسلوبيات) اليوم لا يرون جدوى لهذا التنويع ، وإنما الجدوى في دراسة التكرار في إطار مبادئ علم اللغة الحديث وهو ما ستفعله :

ودخلت موضوعها ببيان منزلة التكرار من الفنون ، التي تقوم كلها على عنصرى : التكرار والتنوع ، وكذلك للشاعر فهو يكرر أصواتاً بعينها وهو بذلك يحقق لقصيدته النظم والبناء .

وهذا التكرار يقع من الشاعر لأصغر وحدة صوتية هي (الفونيم) (١) كما يقع لأكبر وحدة وهي الجملة أو الشطر ، وهو في الشعر الجيد له أهداف عدة منها : لإحداث الأثر الموسيقى ، وتوكيد الألفاظ والمعاني .

(١) الفونيم : هو الوحدة الصوتية التي تتكون منها مع مثلها الكلمة ، وتطبق عندما على حرف الهجاء . ويطلقون على الفونيمات ذرات اللغة ، لأنها اللبنة التي تتكون منها ألفاظها . ويمكن بعض الحروف أن تكون من فونيم في بعض الحالات .

والتأكيد بالتكرار ظاهرة لغوية كما تأتي في الشعر نراها في الكلام العادي ، إلا أنه عشوائي في الكلام العادي ، أما في الشعر ، فيحدث التكرار وفقا لأنماط معينة . ونحن في تحليلنا العلمي للمادة اللغوية لا نلتقي بالآلى ما يحدث عشوائيا ، وإنما ما نلقت إليه ونوليه عنايتنا هو الأنماط ، فإذا وجدت الأنماط بدأنا في حصرها ، وتصنيفها ، وصياغة القوانين التى تحكم فيها . .

وقد ساقَت الباحثة قصيدة ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن نخاق السكر
وهى واحد وأربعون بيتا رقتها على التوالى ، رائية أنها خير مثال لتطبيق منهجها العلمى فى دراسة التكرير ، الذى بدأت تحليله على المستوى الصوتى (الفونولوجى) (١) معنى ببيان الأنماط التكرارية للصوت ، مصنفة إياها فى الأنواع التالية ، مستعينة بالتمثيل لها من القصيدة .

النوع الأول . تكرار صوت بعينه فى أوائل الكلمات المتوالية ، ويعرف بالتجانس الاستهلالى ، وتحت كليات تتجاور تجاروا مباشرا ، وكليات يفصل بينها عنصر أو أكثر ، واتجانس الاستهلالى إما صوتى بحمت إف الحروف المكررة من بنية الكلمة ، أو صرفى بحمت حيث يكون المكرر وحدات (مورفيمات) (٢) كالمساوبق من الحروف ، أو صوتى صرفى ، بأن يكون أحد الحرفين من البنية والآخر وحدة صرفية .

النوع الثانى : تكرار الصوت داخل الكلمة نفسها صوتيا بحمتا إذا كان ويسوق الباحثة الاحتراس والتقفى إلى وجوب الحذر من اللبى الإملاتى فى تحديد المقاطع ، لتمييز التجانس عن غيره :

(١) هو علم أصوات الكلام (Phonology) .

(٢) يدخل فى الوحدات الصرفية الحروف الرابطة والعاملة والضمائر
الإلاخة الكلمات .

من بنيتها ، أو صوتيا صرفيا بأن يكون أحد الحرفين من البنية والآخر وحدة صرفية .

وبهذا التفصيل مع التمثيل للصوتى الصرفى بحرف اللام من لفظ داهل ، حيث إن اللام الأولى سابقة صرفية تفيد الجر ، واللام الثانية صوت من بنية الكلمة ، نرى الباحثة تخالف المقرر عند النحاة وما جرى عليه إعرافنا اللغوى من عد هذه السابقة كلمة برأسها ، والمسبوقة كلمة أخرى ، فهما عندها من (تكرار الصوت داخل الكلمة نفسها) .

النوع الثالث : تكرار الصوت عبر حدود الكلمتين المتواليين ، أى : بين المقاطع ، وهو خلقي أمامى : متى كان أحد الحرفين آخر مقطع فى الأولى ، والآخر أول مقطع فى الثانية ، ويدخل ذلك التجانس الناشئ عن القلب والإبدال .

النوع الرابع : التجانس الخلفى : وهو تكرار الصوت الصامت الأخير من الكلمات المتوالية ، وقد يكون صوتيا ، أو صرفيا ، أو صوتيا صرفيا معا .
النوع الخامس : التكرار المقطعى ، وهو تكرار مقطع أو أكثر ، ويكون صوتيا بحتا ، أو صرفيا ، أو صوتيا صرفيا أو نحوياً .

النوع السادس : تكرار الحركات التى يقع عليها الثبر ، وبخاصة الحركات الطويلة لما تحدثه من رنين .

وقد أطنبت الباحثة فى التجلية عن تكرار النغمة المسطحة والنغمة الهابطة ، ثم انطلقت إلى المستوى الصرفى فى القصيدة ، فوجدت أن ابن الفارض يعتمد إلى الأكد بتكرار الوحدات الصرفية ، سواء كانت أصول كلمات ، أو لواحق ، أو أدوات ، وسمعت جدولا لتكراريا لعدد استعمال الضمائر فى القصيدة (نحن - أنا - م - - هو - م - أنا - أنت) ملتزمة أسباب الكثرة والقلّة ، وضربت الوفهر من الأمثلة لتكرار الأدوات على وجه التناسق . كالم نفس تكرار الصيغ ، ومنها صيغة (فعل) التى رأتها باقية فى تسعة

وثنين موضعاً من القصيدة ، مجتهدة في تحليل هذه الكثرة ، بأن النص يلوح حول (خمر بلاكرم) فصيغة اللفظين كأنها الأساس لبناء نظمه .

والأكثر من هذا استقصاء أن الباحثة راحت تنظر على المستوى النحوى في تكرير التركيب ، الذى ينتج فيه تكرير اللفظ نفسه أو الحرف . وآخر الأنواع التى تناولها النظر ، هو التكرار اللفظى الذى يهدف التأكيد ويسهم فى إحداث الموسيقى كغيره من الأنواع ، وردت ذلك التكرار عند ابن الفارض إلى الجناس :

« فاللفظ إما أن يتكرر كما هو ، أو يتكرر بعد أن تدخل عليه الواحش ، أو تتكرر مشتقانه ، وختام البحث إشارة إلى التكرار على مستوى المعنى (السيماتيكى) (١) والقصيدة كلها تكرار بنى فكرة واحدة حتى تصل إلى القمة ترسيخاً فى ذهن السامع أو القارىء ، هى الانجاء إلى طريق الله والخير العائد على من أخلص .

والنتيجة المستخلصة هى قولها : « وإذا نستعيد ما أحصيناه فى بحثنا هذا من أنماط التكرار ، يتضح لنا فى النهاية : أن الأمر أو لا وأخيراً يرجع إلى الاستقراء أو الانتقاء ، ونقصد به اختيار الألفاظ ، فالشاعر ينتقى الألفاظ التى تحقق تكررأ فى الأصوات ، وتكرارأ فى المقاطع ، وتكرارأ فى الوحدات الصرفية ، وتكرارأ لتراكيب النحوية .

ولا يسنى بعد هذا انعرض لأصول بحثها - باستثناء الأمثلة - إلا أن أقول : إنه من وجهة النظر التى قام عليها بحث جدير بالتقدير ؛ لما بذل فيه من جهد وصبر واستقصاء ، ولكنه من وجهة النظر النقدية للأدب يُعفى عن المدارس بلا كبير من الجدوى على ثقاته الغنية ، ثم إن هذه النتيجة - على ما أسلفنا - محل للنظر ؛ فإن الشاعر - فى الأهم الأغلب - يخرج التجربة من لسانه أو قلبه مكتملة بحث بعضها بعضاً فى الانطلاق ، بقوى كامنة فيه ،

(١) نسبة إلى السيماتيكاً أو السيماتيكاً وهو اصطلاح البحث للنحوى من جهة الدلالة على المعنى .

هى أقوى من اتبائه للتخير والانتخاب لكل هذه الأنواع ، ولا أحب ابن الفارض إلا مدفوعاً بهذه القوة حين سجل قصيدته ، التى أخذت أنماط التكرير فيها ذلك البحث الممتع الدقيق . ولو شئنا أن نرى هذه الأنماط ذاتها فى قصيدة مرتجلة ، أو خطبة على البديهة ، أو (موال بلدى) يهتف به شوق الرجل الأسمى - لأمكن أن نراها ، وما أصدق ما يقول الجاحظ فى الشعر القديم وشاعره ، وأراه ليس بعيداً عن أن يقال على كثير من الشعر الحديث وشاعره : « فكل شئ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه لإطام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، وإلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بر ، أو يحذو بعيره ، أو عند المقارعة والمناقاة ، أو عند صراع ، أو فى حرب - فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتثال عليه الألفاظ انثيالاً » (١) .

وهذه حقيقة لا يعكر عليها أن جماعة من الشعراء فى كل عصر يقفون من الشعر موقف التشقيف والقويم ، فما أظهم مع ذلك يذهبون إلى كل هذه الأنماط يقدمونها قبل القول ، وإلا افقدت أشعارهم أكثر مما حققوا لها : صدق التعبير عن الوثبة العاطفية المشيرة للإنشاد ، وظهرت باردة جامدة مهما كانت جودة التنسيق وتوفير الأنماط .

وتأكيداً لما قررت من قبل أقول : إن البحوث العلمية للتكرير قد بلغت الغاية فى الدقة والتقصى ، والتقسيم والتفريع ، فاستحقت بذلك أن يعرف قدر القائمين عليها من الحصافة والعبر ، ولكن الدراسة الأدبية للموضوع وإن وصفتها البساطة والجنوح إلى اليسر - هى أجدى على دارس النص الأدبى من الوجهة الجمالية ، التى ليس التكرير إلا عنصرأ واحداً من عناصر الحسن فيها ، ولكل فن مذهبه ، وإنما سقنا حديثنا ذلك تماماً للجولة ، وتنوينا بالجهود النكحرة المبذولة فى موضوع بحثنا ، تأكيداً لمكانته من البيان الإنسانى عامة ومن فنون البلاغة خاصة . ومن الله نستلهم الرشاد ونستعين للتوفيق . ٩

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٤	التكرير الصوتى فى اللغة
٧	تكرير الحرف
٩	مزىة التكرير الحرفى
٩	القيمة السمعية فى لغتنا
٢٠ - ١١	حالة ذلك بالتكرار الحرفى - النون والميم - موضع المكرر
٤١ - ٢١	موقف العلماء من هذا التكرير - نقل الحركة وطلب التجانس -
	عزى إلى تكرير الحرف - أمليت وأملت - ابن الأثير مرة أخرى - القامشندى .
٦٧ - ٤١	التكرير والحسن - القيمة السمعية لتكرار الحرف فى الكلام -
	التزام الحرف - ابن الأثير وتفریق المكرر - تكرار المدود -
	مواقع المدود - أفرع اند - المدود والفواصل .
٧٩ - ٦٧	الوظيفة الفكرية لتكرير الحرف - الدلالة بالصيغة - صيغة (فعل) -
	(افعل) - (افعل) - (افعل) - (فعل) .
٧٩	تكرير الكلمة والكلام
٧٨	مزىة التكرير
٧٨	المثير للتكرير
٨٨	التكرير على وجه الإطناب
١١٥ - ٩٠	آراء العلماء : الجاحظ - ابن قتيبة - أبو سليمان الخطابي - ابن فارس -
	ابن جنى - أبو هلال العسكري - ابن سنان الحفاجى -
	ابن رشيق - ابن الأثير - ابن أبى الأصبع .
١٦٧ - ١١٥	الأغراض الجزئية للتكرير - تكرار المبالغة - تكرار القسم -
	تكرار التحذير - تكرار الإغراء - تكرار التعليل - تكرير
	البيان والنصوب - تكرار التحسر والتحزن - تكرار

الصفحة	الموضوع
١٣٧-١١٥	التهمك - تكرار التحدى - تكرير التثريك والموافقة -
	تكرار المفارقة - تكرار التشبيه .
٢١٢-١٣٧	الأغراض العامة للتكرير :
١٣٨	الغزل
١٥٩	للتذكير والحنين
١٦٦	الاعتذار والتوصل
١٧١	المدح
١٧٦	الفخر
١٧١	الهجاء
١٨٨	الثناء
٢٠٣	التلطيف والاستمالة
٢١٢	التكرير والبديع :
٢٣١-٢١٤	الجناس - أضرب الجناس - التام - غير التام - الالتزام -
	في الجناس .
٢٣١	العكس أو التبديل
٢٣٤	ملايستهيل بالانكاس
٢٣٥	نقابة الأطراف
٢٤٥-٢٣٩	رد الأفعال على الصدور - أمثلة المكررين - أمثلة
	المتجانسين - الملحقين بالمتجانسين
٢٤٥	التكرير بالمعنى الخاص
٢٥٥-٢٤٩	الترديد - التردد المتعدد - ترديد إيهام التأكيد - ترديد الجبك
٢٥٥	للتبديل
٢٥٨	للتحطيف

الموضوع	الصفحة
المشاكلة	٢٦١
الإرصاد أو التسليم	٢٦٢
الازدواج	٢٦٥
السلب والإيجاب	٢٦٧
التطريز	٢٧٠
للمشاكلة	٢٧٣
المراجعة	٢٧٤
التخيير	٢٨٨
التوأم	٢٨٠
التفريع	٢٨١
التفريق	٢٨٤
الجمع مع التفريق	٢٨٦
التقسيم	٢٨٨
التكرير في الدراسات المعاصرة :	٢٩٠-٣١١
في البلاغة الفنية	٣٩٠
في قضايا الشعر المعاصر - العناصر اللاحقة في	٢٩٣
الفصل الثاني - الفصل الثالث : التكرار بالصفة	
الواسعة - الهندسة العاطفية - الهندسة	
اللفظية - دلالات التكرار - التكرار البياني - تكرار	
التقسيم - التكرار اللاشعوري .	
بحث التكرار في الشعر	٣٠٥
فهرس الموضوعات	٣١١
فهرس الكتب المساعدة .	١١٤
الخطأ والصواب ،	٣١٩

الكتب المساعدة

- ١ - أبو القهاية أخباره وشعره لمحمد محمود الدش . القاهرة ، دار الكتاب العربي .
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي . ت . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤ .
- ٣ - اسد الغابة في معرفة الصحابة لأنى الحسن على بن محمد عز الدين ابن الأثير . القاهرة ، دار الشعب . - ١٩٧٣ .
- ٤ - أسرار البلاغة لمبد القاهر ، القاهرة ، المنار .
- ٥ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطايومى ، بيروت دار الجيل - ١٩٧٤ .
- ٦ - أنوار الربيع لابن مفسوم : السيد على صدر الدين - النجف ١٩٦٩ .
- ٧ - البرهان لبدر الدين الزركنى ت . محمد أبو الفضل ، القاهرة ، الحلبي ، ١٩٧٦ .
- ٨ - بقية الايضاح - عبد المتعال الصعدي .
- ٩ - بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ط ٢ - ١٩٥٢ .
- ١٠ - البلاغة الغنية لعلى الجندى ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ١١ - بلوغ الأرب لمحمد شكرى الألوسى ، القاهرة ، دار الفكر العربى
- ١٢ - البيان والتبيين لأنى عثمان عمر بن بحو الجاحظ ، ت . عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، الحانجى ، ط ٣ ، ١٩٦٨ .
- ١٣ - تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى - بلاشيم ، ت . إبراهيم كيلانى ، بيروت .

- ٤٦ - اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد . القاهرة ، الأنجلو المصرية
١٩٦٩
- ٤٧ - امة الخمس الدكتور مصطفى أحمد شحاته ، القاهرة ، الهيئة العامة
للكتاب - ١٩٧٢ .
- ٤٨ - مبادئ علم النفس العام الدكتور يوسف مراد ، القاهرة ،
دار المعارف .
- ٤٩ - مبادئ النقد الأدبي لريتشارد ز. ت. د. مصطفى بدوى ، القاهرة
١٩٦٣ .
- ٥٠ - المثل السائل في أدب الكتاب والشاعر لضيأ الدين بن الأثير ،
القاهرة ، ط ١ ، ١٩٣٥ .
- ٥١ - المحاسن والأضداد للجاحظ ، ت. فوزى عطوى ، بيروت ،
الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩
- ٥٢ - مختصر المعاني لسعد الدين الفتاوانى ، ت. محمد محي الدين -
ط . صيدج .
- ٥٣ - مراتب النحويين لأبى الطيب المغوى ، ت. محمد أبو الفضل
ابراهيم ، القاهرة ، نهضة مصر ، بدون تاريخ .
- ٥٤ - المزهر للسيوطى ، ت. محمد أحمد جاد الحولى وغيره - القاهرة
الحلبى ، ط ١ ، ط ٢
- ٥٥ - معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ، ت. على محمد
البجاولى ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٦٩
- ٥٦ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى ، ت. محمد الحبيب
ابن الخوجة ، تونس ، ١٩٦٦
- ٥٧ - منهج البحث فى اللغة للانسون ت. د. محمد مندود ، بيروت ،
دار العلم للملايين

- ١٤ - تاويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ،
ت. السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار التراث ، ط ٣ - ١٩٧٣ .
- ١٥ - تحرير التجير لابن أبي الأصبع المصري ، ت. حفي محمد شرف
القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
- ١٦ - التعازى والمرائى لأبي العباس محمد بن يزيد المبره ، دمشق ، مجمع
اللغة العربية ، ١٩٧٦ .
- ١٧ - تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ت. محمد
على النجار . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .
- ١٨ - تيسير الوصول إلى جامع الأصول لعبد الرحمن ابن علي بن الدير
الشيباني ، القاهرة ، الحلبي - ١٩٣٤ .
- ١٩ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد الفاهر ،
ت. محمد زغلول سلام وزميله ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ١ .
- ٢٠ - الجامع الكبير لضياء الدين بن الأثير .
- ٢١ - جنان الجناس لصفدى .
- ٢٢ - الحديث النبوى من الوجهة البلاغية للدكتور د. الدين على السيد
المحمدية - ١٩٧٣ ، ط ١ .
- ٢٣ - الحيوان للجاحظ ، ت. عبد السلام هازون ، القاهرة ، الحافى
- ٢٤ - خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصهبانى الكاتب .
محمد بهجة الأثرى ، بغداد ، وزارة الأعلام ، ١٩٧٣ .
- ٢٥ - خزانة الأدب لابن حجة - الخيرية .
- ٢٦ - الخصائص لأبي العنتخ عثمان بن جنى ، ت. محمد على النجار ،
لقاهره ، دار الكتب - ١٩٥٦ .
- ٢٧ - الذيل والتكملة لمحمد بن محمد عبد الملك الأنصارى الأومى
المراكشى ، ت. د. إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة .
- ٢٨ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، القاهرة - الرحانية ، ١٩٣٢ .

- ٢٩ - شرح الملوكى لموفق الدين بن يعيش .
- ٣٠ - شروح التلخيص - مطبعة السعادة ، ١٣٤٢ هـ .
- ٣١ - الشعر والتأمل لروستريفور هاملتون ، ت . محمد مصطفى بدوى
القاهرة . وزارة الثقافة - ١٩٦٣ .
- ٣٢ - الصحاح لابن فارس ، القاهرة ، السلفية - ١٣٢٨ هـ .
- ٣٣ - صبح الأعشى لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى ، القاهرة ،
سلسلة تراثنا ، بدون تاريخ .
- ٣٤ - الصناعتين لأبى هلال العسكري - القاهرة - مختلفة .
- ٣٥ - الطراز ليحيى بن حمزة العلوى ، القاهرة ، المقتطف - ١٩١٤ .
- ٣٦ - العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسى ، ت . محمد سعيد
الريان ، القاهرة ، التجارية ، ط ١ ، ١٩٤٠ .
- ٣٧ - العمدة لأبى الحسن بن رشيق القيروانى الأزدي ، ت . محمد يحيى الدين
عبد الحميد ، بيروت ، دار الجليل ، ط ٤ - ١٧٧٢ .
- ٣٨ - عيون الأخبار لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدهنوى ،
القاهرة ، سلسلة تراثنا - ١٩٦٣ .
- ٣٩ - فقه اللغة وخصائص العربية الدكتور محمد المبارك ، دار الفكر ،
١٩٦٨ .
- ٤٠ - فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالى ، القاهرة ، الحلبي ،
١٩٣٨ .
- ٤١ - فقه اللغة د . على عبد الواحد - السلفية .
- ٤٢ - فن الجناس لملى الجندى .
- ٤٣ - قضايا الشعر المعاصر انازك الملائكة - المطبعة الاولى .
- ٤٤ - الكشف عن الزعمشى ، ط . دار الكتاب العربى ، وط . التجاوية
- ٤٥ - لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، ت . أحمد شاكر ، القاهرة ،
الرحمانية - ١٩٣٥ .

٥٨ - تفحات الأزهار على نسجات الأسحار لمبد الغنى النابلسي، للقاهرة

١٢٩٩ هـ .

٥٩ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه لسيد قطب . ط ١٩٦١

٦٠ - نهاية الأرب في فنون الأدب للتوحيدي ، القاهرة ، دار الكتب .

مختلفة .

٦١ - النوادر في اللغة لابن ثابت الأنصاري ، بيروت ، دار الكتاب

العربي ، ط ٢ ، ١٩٦٧

دوريات

١ - العدد السادس من مجلة الشعر سنة ١٩٧٧ م

٢ - العدد الثاني من مجلة المورد سنة ١٣٩٦ هـ

هذا ، عدا دواوين الشعراء ومجموعات الشعر المختلفة ، وافقه الموفق

تصويب

ص	ص	خطأ	صواب
٢٠	٣	موجبة	موجبه
٢٢	١	ينفصل	يتصل
٢٩	١	الرقاى	الرقاشى
٣٦	٦	آية	آية
٤٣	١١	نما - معظمكم - جميعا	×
٦٣	١١	وضوحا	وضوحا
٧١	٧	تكست	تكفى
٧٥	١٧	جزئية	جزئية
٨٧	٧	الإرصار	الإرصاد
١٠٣	٢	ست	حسن
١١٥	١	مثل	دلى
١٢٠	١٩	وقها	وقها
١٤٧	١١	العجائب حبيته	العجائب حبيبة
١٤٩	١٤	تخلقى الحبا	تخلقى حبى
١٥٥	٧	وأمتها	وأمتها
١٧٢	١٠	العفرانى	العفرنى
١٧٩	٢٠	عن عن	عن
١٩٧	١٧	هالنا	هالنا
٢٠٠	٢٢	بادها	نادها
٢٠٥	١٩	فالبصير	فالبصير
٢٠٩	١٧	تستوطى	تستوطى
٢١٠	٢	لويل	الويل
٢٢٠	٧	تقاب	تقارب
٢٢٦	٢	عل	عل

ص	س	خطأ	صواب
٢٣٨	٨	وتشاء	وتشابه
٢٤٠	٩	(١)	×
٢٤٤	٣	فالسلاام أنشاء	فالسلاام الذى أنشاء
٢٥٠	٢٠	المتنى	المتنبى
٢٥١	١٢	ضاربوا اعتنقا	ضاربوا اعتنقا
٢٥٤	١٥	ولذ	إذ
٢٥٦	١٠	قولد	تؤكد
٢٥٩	١	باختصاصه	باختصاصه دونهما
	٢	دونهما	×
٢٦١	١٥	إذا	إذ
٢٦٢	١٠	بثلاث	بثلاثة
٢٦٧	٣	بملة	بلة
٢٧٩	٩	العيش	العيسى
٢٨٣	٤	الرنجمانى	الرنجمانى
٢٨٤	٨	سبق	سيق
	٩	المتنسبى	المتنبى
٢٨٦	١٣	جمعها	جمعهما
٢٨٨	١٥	والتفريق	التفريق
٢٩١	٦	عن	ن
٢٩٨	٢٤	بجلة	بجلة الشعر
٣٠٠	١٤	نقل	تقتل
٣٠٢	١٠	تنبون	تأبون